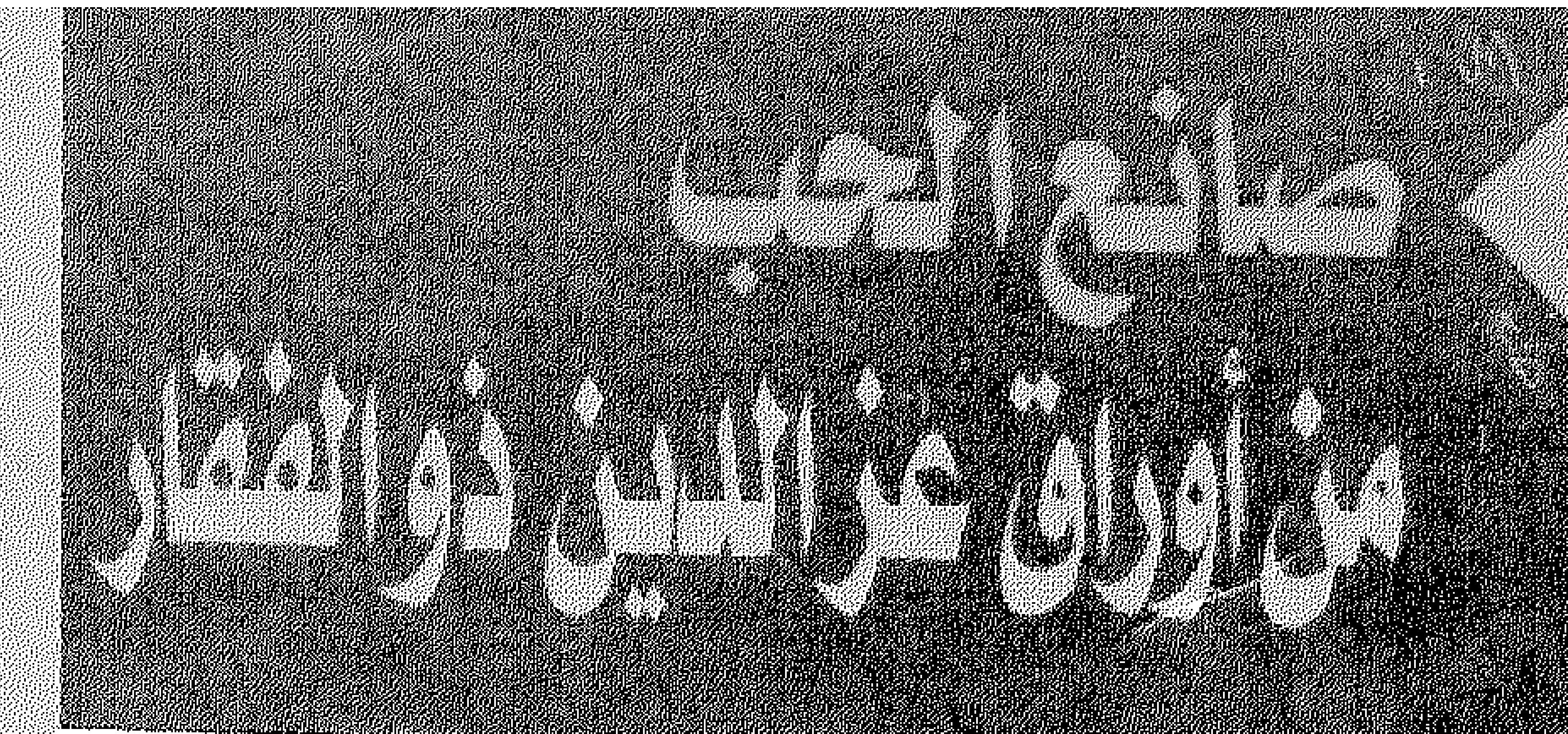


صانع الحب

من أوراق عز الدين ذو الفقار



أيمن الحكيم



اهداءات ٢٠٠٤
مجلس الأعلى للثقافة
القاهرة

صانع الحب

من أوراق "عز الدين ذو الفقار"

أيمن الحكيم



٢٠٠٣

إهداء

إلى نادية لطفى

«السيدة» التى تتعلم منها «الرجولة»

أيمن

مقدمة

إجابة مدهشة عن سؤال قديم

أحببت «عزالدين ذوالفقار» من أفلامه..

في صباي عشقت ثلاثة أفلام، أثرت فيّ، وكنت انتظر عرضها على شاشة التليفزيون، وأجلس لأشاهدها في كل مرة مشدوهاً، مسحوراً، منبهراً، وكأني أراها لأول مرة، أولها في منتهى الدقة والرومانسية «نهر الحب»، وثانيها كان عندي قمة الكوميديا «شارع الحب»، وثالثها مثال للواقعية والجرأة «امرأة في الطريق»، واكتشفت بعد فترة أنها لمخرج واحد رغم الاختلاف الكبير بينها.

وبدأ اسم «عزالدين ذوالفقار» يشغلني، خاصة بعد أن أضيفت إلى القائمة أعمال أخرى عليها بصمته، وفيها من روحه، التي تعرفها وتتسرب إليك بعد أن ترى المشاهد الأولى، حتى وإن لم تلتقط اسمه.. وهكذا أضيف «رد قلبي»، و«إني راحلة»، و«بين الأطلال»، و«الرجل الثاني»، و«الشموع السوداء».

حملت في وجداني تقدير خاص لهذا الرجل، الذي لم أكن أعرف عنه سوى اسمه، ومعلومات بسيطة مثل أنه شقيق صلاح

ومحمود ذوالفقار.. وكان زوجاً لسيدة الشاشة العربية «فاتن حمامة».

ومنذ تلك السنوات وسؤال كبير يرتسم على الشاشة أمامي كلما شاهدت فيلماً له، وتسرب سحره إلى نفسي: من هو هذا الرجل صانع هذا السحر؟!

كانت بداية الإجابة من ابنته «دينا».. وضعتها المقادير فى طريقى.. ومن خلالها وصلت إلى السيدة التى تملك الإجابة كاملة.. أرملته «كوثر شفيق». من حسن الحظ أن ذاكرتها متقدة، تحكى لك عن وقائع حدثت منذ سنوات بعيدة وكأنها طازجة لم يمض عليها سوى ساعات.. إنها تحمل حباً جارفاً لهذا الرجل الذى ارتبطت به زوجة لمدة ٩ سنوات، عرفته كما لم يعرفه أحد.. وأحبته كما لم يحبه أحد.. وحافظت على أسراره وأوراقه وذكرياته كأنها صندوق مجوهرات ثمين، وأصداف غالية، تضعها ليس فى خزائن محكمة، بل فى نن العين.

إن أوراقها وذكرياتها هى محور حياتها، ومركز اهتماماتها.. إنها تتحدث عن «عز» وكأنه موجود.. حكاياتها عنه ساخنة، وكأنه لم يمر نصف قرن عليها، تغيرت فيه الدنيا والناس والدول.. وحتى المبادئ.

وجلست إليها، واطمئنت .. ففتحت خزائنها، وكشفت أوراقها، وأخرجت ذكرياتها، فتضاعف حبى لهذا الرجل، الذى أحببته دون أن أعرفه.

وفى مجلة «نصف الدنيا» نشرت ذكرياتها وأوراقها فى حلقات مسلسلة ابتداءً من العدد رقم «٦٤٦» الصادر بتاريخ ٣٠ يونيو عام ٢٠٠٢، وعلى مدى ٦ أسابيع متصلة..

الصدى الطيب لتلك الحلقات، وما أثارته من ردود أفعال ولّد فكرة هذا الكتاب..

إن الحلقات تصلح نواة الكتاب عن «عزالدين ذوالفقار» الإنسان والفنان معاً .. فالاثنان لا ينفصلان، فالإنسان حاضر فى أفلامه، وأفلامه مصنوعة من روحه وإنسانيته.

إن الفضل فى ظهور هذا الكتاب ـ بعد توفيق المولى عز وجل ـ هو لتلك السيدة التى حافظت على أوراق «عز».. وذكرياته وسيرته وحبه.. لنكتشف بين سطورها وكلماتها وحروفها وجدرانها تفسيراً لذلك السحر الذى يشع من أفلامه.. ولتجيب عن السؤال القديم الذى شغلنى طويلاً.. حتى وجدت عندها الإجابة.. كاملة.

أيمن الحكيم

عزالدين ذوالفقار

بقلم: صلاح أبوسيف

عرفت «عز» منذ أكثر من ١٥ سنة، كان وقتها قد دخل الوسط السينمائى صديقاً يجلس مع المخرجين، ويعرض عليهم آخر أفكاره واطلاعاته فى الكتب الأجنبية عن الفن.. وكان «عز» وقتها ضابطاً بالجيش، وكان قد هوى السينما وقرر أن يستقيل ليعمل بها.

وبدأ «عز» من أول الطريق، اشتغل مساعداً لزميلنا المخرج «محمد عبدالجواد»، وكان متفانياً فى عمله.. يعطيه كل حبه واهتمامه.

وأصبح «عزالدين ذوالفقار» مخرجاً.. أخرج «أسير الظلام».. ونجح الفيلم نجاحاً شعبياً كبيراً.. واختلفت آراء الزملاء فى «عز» كمخرج، ولكنها أبداً لم تختلف على أن «عز» كسب جديد للسينما العربية.

والواقع أن علاقتى بـ «عز» فى بدايتها كانت علاقة زمالة فقط.. ولا أنكر أن فكرتى عنه أول الأمر كانت هى ما أسمعه من

بعض الزملاء عنه، من أنه يميل إلى مغامرات الليل، عفيف فى علاقاته بأصدقائه.. حتى التقينا ذات يوم فى عمل يخص السينمائيين بالنقابة، وعرفت «عز» فى هذه الجلسة تماماً، عرفته طيب القلب، لا يعرف الحقد، ولا يحمل قلبه إلا الحب.. الحب للجميع.

لقد كان «عزالدين ذوالفقار» يحمل قلباً من قلوب الملائكة، وكانت أولى ميزاته أنه قد باع حياته وصحته للفن، كان فنه هو كل شىء فى حياته.. ويخيل إلىّ أنه كان يلقى كثيراً من المشاكل الحرجة، وكان دائماً يفضل مصلحة فنه، على سعادة حياته الخاصة.

قد اجتمعت لـ «عزالدين ذوالفقار» عدة صفات فنية: فهو قارئ ممتاز، وكان يقرأ فى كل يوم كتاباً جديداً، وينتهى منه وكأنه ملأ معدته بألذ أنواع الطعام.. وكان مرهف لسماع الموسيقى، وقد رأيته مرة يتوكأ على عصاه، وهو يسعى إلى محل لبيع الاسطوانات.. وقلت له:

– كيف تغادر فراشك وأنت على هذه الحال؟

وأجابنى «عز»:

– من السهل أن أعالج المرض، ولكنه من الصعب أن أعثر على اسطوانة فى السوق، إذا لم أسع إليها قبل أن تختفى من السوق.

وكان «عز» أديباً؛ تشهد بذلك القصص التى كتبها للسينما، وكان شديد الطموح؛ كان يسعى إلى تنفيذ مشروعات ضخمة تتطلب ما لا يملكه من المال، وتعرض لأكثر من أزمة مالية، ولكن طموحه هو الذى فوّت على هذه الأزمات أن تستمر معه! وقد خلقت هذه الصفات كلها من «عزالذين ذوالفقار» إنساناً قاسياً على نفسه، لم يرحم قلبه المريض، لم يستمع إلى نصائح الأطباء، حتى إنه واصل إخراج أحد أفلامه وهو على كرسى متحرك!

رحم الله «عزالدين».. فقد كان فناناً كبيراً فقدناه، ولن نعوضه!

عشت كما لم يعش أحد من الناس

أنا عشت.. عشت.. عشت، لدرجة أنى مستعد أن أصاب بأكثر من ٣٠٠ مرض آخر وأنا غير نادم ولا آسف.. ولو عاد بى الزمن سأعيش وأعيش وأعيش.. حتى لو كانت هذه الحياة ستجلب لى أمراض الدنيا.. فأنا عشت حياة لا يمكن لأحد أن يحسها أو يصل إليها.. لدرجة أننى الآن وأنا مريض وجالس فى سريرى أستعيد المغامرات التى عشتها والتجارب التى مررت بها، فأحس بابتسامة تعلو شفتى، وتجعلنى أضحك من الناس!

إن حكمتى فى الحياة هى: «إن الحياة تأخذ منك، فخذ منها أنت قبل أن تأخذ هى منك».. إن الطريق المظلم يثيرنى، يأكل شوقى، يأخذ قلبى، يثير فىّ روح المغامرة، أما الطريق العادى فما قيمته؟! طريق مكشوف لا جديد فيه.. وخالى من الإثارة.

وأنا سأسافر إلى الخارج لأعالج، وأسترد صحتى، ثم أعود لأعيش مرة أخرى.. أعيش.. وأعيش.. وأعيش.. كما لم يعش أحد من الناس.

عزالدين ذوالفقار

الفصل الأول

أنا الماضى

طبقاً لشهادة ميلاده الرسمية، فإن «عزالدين ذوالفقار» من مواليد ٢٨ أكتوبر عام ١٩١٩، وكان محل ميلاده فى «سنورس» بمديرية الفيوم، حيث كان والده «أحمد مراد» يعمل بها فى وظيفة باشمفتش بوزراة الداخلية.

أنجب «أحمد مراد» خمسة من الأبناء هم بالترتيب: محمود، عز، كمال، صلاح، وممدوح. عمل ثلاثة منهم بالفن، وكان أسبقهم هو «محمود»، الذى جمع بين الإخراج والتمثيل والإنتاج، وتزوج من «عزيزة أمير»، ثم «مريم فخر الدين»، ثم لحقه «عز» وكان أبرعهم فى الإخراج، أما «صلاح» فكان أكثرهم موهبة فى التمثيل.

نشأ «عز» نشأة عادية، ولم تظهر عليه أى ميول فنية أو إبداعية فى صباه، باستثناء حبه للقراءة، وشغفه بالكتب، وخاصة الأدبية والفلسفية، وما يتصل بعلم الفلك والتنجيم.

لم يخطر فى باله يوماً أن يحترف الفن، حتى بعد أن نجح فيه شقيقه الأكبر، وأحرز بعض الشهرة.. كانت مسألة التمثيل أو

الإخراج أبعد ما يكون عن تفكيره، خاصة مع تشجيع والده له على الانخراط فى سلك العسكرية، والالتحاق بالكلية الحربية، ليتخرج فيها ضابطاً، يرث هيبة والده واحترامه، ويعيش حياة مستقرة بعيداً عن تقلبات المهن وعواصف الزمن.

هكذا خطط والده، وهكذا نفذ الابن واستجاب.. عن هذه الفترة يحكى «عز» فى حوار مع «فوميل لبيب»: «لست أنا الذى قال أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، إنما أنا رجل عادى جداً، تلتقى بمئات مثلى فى الطريق كل يوم، كل الفارق بينى وبينهم أن الأقدار أرادت أن أكون مخرجاً.. بل أنا لم أكن أعرف وأنا التهم كتب أبى التى تحتويها سحارة كبيرة فى بيتنا فى العباسية الشرقية. لم أكن أعرف أن هذه القراءات هى المختزن الذى أدخره لغد أصبح فيه مخرجاً».

«وفى القراءة سبقت سنى.. ولم يكن أبى يمنعنى من القراءة ليحولنى إلى كتب المدرسة.. بالعكس.. فقد كنت أول فرقتى دائماً، وكان يكافئنى على هذا فيطلق لى الحرية لأفعل ما أشاء.. وبينما شقيقى الأكبر «محمود»، وأشقائى الأصغرون: «صلاح، كمال، وممدوح» يلوذون فى البيت مع صلاة العشاء التى يؤديها أبى فيتمم عليهم فى حجراتهم، وويل لمن يتخلف.. بينما هم فى هذه القيود أعود أنا متى أشاء العودة».

«وتعلمت بالمجان لتفوقى فى كل مراحل الدراسة، وإحقاقاً للحق، وانتصاراً للعدل، كان أبى يعطينى مصاريف المدرسة أفعل بها ما أشاء.. ولم أكن أشاء أكثر من شراء الكتب، ودخول السينما التى كانت تستهوينى، حتى إننى أذكر أننى دخلت فيلم «لحن الخلود» الذى مثلته «جوان فونتين» مع «شارل بواييه» ثلاث مرات فى يوم واحد».

ويكمل «عز»: «شىء واحد لم أفعله فى ريق الشباب، وهو الجرى وراء الفتيات فى الشوارع، لعلنى اختزنت هذه الطاقة فبدأت اتقانها بعد أوانها.. أم هل تجد عندك تفسيراً آخر لحياة النزوات التى رويت لك أطرافاً منها؟! كنت أعجب لزملائى الذين يقفون بالساعات يعاكسون بنت الجيران، وأنصحهم: اقرأوا يا مغفلين، افتحوا عقولكم لكنوز المعرفة، فإنه ما من طريق يصعد بكم إلا إذا كان رائدكم عقولكم.. لا قلوبكم».

«وعندما التحقت بالكلية الحربية - لأن أبى كان ضابطاً، ويحب أن يرى أولاده ضباطاً - أقول عندما التحقت بالكلية الحربية قررت أن أكون أحسن الضباط لأرضى أبى.. لابد أن أرضيه، فإننى أخذت منه درساً ذات مرة حين جاء ترتيبى الثالث فى امتحان ما .. فبصق على وجهى!»

«وفى الكلية الحربية بدأت أقرأ علوم الفلك، والتقيت باللواء عبدالمنعم صالح بعد أن تخرجت، ووجدت فيه علامة فلكياً فذاً، وتتلمذت على يديه فى تحضير الأرواح، وإلى جانب هذا كله عشقت الموسيقى الكلاسيك، ونظمت الأغانى، ففازت لى أغنية مطلعها: «يا قلبى فاكر ولا أنت ناسى»، بجائزة محطة الشرق الأدنى وغناها لى «كارم محمود».

ثم كان للمقادير تصريف آخر فى حياة «عز» الأولى، التى وصفها بأنها كانت تقليدية روتينية، لا تتفق مع روح الفنان التى يحملها، وتضغط عليه للانطلاق والتحرر بعيداً عن الحياة العسكرية وصرامتها.

يحكى «عز» عن مفترق الطرق فى مشواره: «ومرة كنت أجلس فى بار «جروبى»، فالتقيت بالمرحوم «كمال سليم»، ومرة في مرة تحدثنا وصرنا أصدقاء وتبادلنا الكتب، وأعجبته قراءاتى، فقال لى: من الناحية الفكرية أنت تصلح للسينما! وكنت إذ ذاك ضابط مخابرات وقائداً لبطارية فى المدفعية».. ومع «كمال سليم» نصل إلى مرحلة التمرد فى حياته: «وبدأت أحس أن كل شىء روتين فى روتين، وأننى سأظل مقيداً بالدور فى الترقية، وبأعمال محفوظة عن ظهر قلب تؤدى هى هى كل يوم مع شكليات لا تتفق كثيراً مع طبيعة تريد الانطلاق، وبوهيمية كامنة تقمعها الرتب العليا ودروس الطاعة».

ويخجل «عز» أن يضيف إلى أسباب القمع سبباً آخر هو والده، كان «عز» يحبه جداً، ومتعلق به جداً، ويطيع أوامره جداً، على الرغم من قسوة الأب وصرامته فى التعامل مع أولاده.. كان «عز» يشعر تجاهه بعاطفة خاصة، تجذبه لهذا الرجل، وتجعله متسامحاً معه، ضعيفاً أمامه بلا حدود.. ولذلك طوال حياة والده لم يفكر «عز» فى احتراف الفن، لأنه يعلم أنه سيواجه بثورة عارمة من «الأب»، نتيجتها معروفة سلفاً.

والمفارقة أن حزن «عز» على رحيل والده كان هو السبب الذى جعله يغير مسار حياته.. نعود إليه ليحكى: «ومرض أبى.. بالسرطان أصيب ولم أكن أتصور أن ذلك الأسد يمكن أن يستسلم للمرض. ولم يكن يستطيع النوم، وإذا رآنى يكبت الآه، ولم أطق العيش فى البيت معه، حتى لا أرى عذابه، فانتقلت إلى شقة أخرى، بحجة أنها قريبة من عملى، وكنت أعوده، أدخل الحجرة بوجه جامد وأغادرها بوجه أكثر جموداً.. إخوتى قالوا عنى إننى جاحد، أما أنا فدموعى كانت عصية لأنها تحجرت.. أشد أنواع الألم، وكنت أبيت فى البيت أحياناً ولا يطاوعنى النوم، فأقوم على أطراف أصابعى، والليل يطلق دموعى فأصل إلى باب حجرته الموصدة فأقف عنده، كإنما أراه عبر الجدران، ويحس هو بى، قلبه يدله علىّ.. فيصيح من فراشه: عز.. لا تبك!»

ومازال «عز» يقرأ فى كتاب حياته: «وذات ليلة كنت عنده حتى العاشرة، ثم عدت إلى شقتى.. وفى الفجر أيقظونى من النوم قائلين: قم أبوك مات.. مات أبى وحزنى عليه كان كبيراً».

وفى حوار آخر لـ «عز» ـ مجلة الإذاعة عدد ٢٩ أكتوبر عام ١٩٦١ ـ وصف مقدار هذا الحزن على فقدان الأب: «بقيت زى المجنون.. وما بقتش مصدق.. رحت قعدت جنبه أربع ساعات ساكت حتى الدموع ماكنتش تنزل من عينى.. وكونى لم أكن بجانبه فى الليلة دى ساعة ما مات أثر علىّ جداً، لدرجة أننى بعد وفاته حصل لى انهيار عصبى، وبقى يعالجنى الدكتور «على عيسى»، وكان طبيباً فى الجيش وقتها.. فنصحنى بإجازة شهر، والشهر بقى شهرين، كنت أمشى طول الليل فى الشارع من غير ما أنام، وبعدين جاء الدكتور «على عيسى» وقال لى حاجة غريبة جداً.. قال لى: أنت لازم تعالج نفسك بنفسك.. إزاى يا دكتور؟ قال لى: تغير حياتك كلها.. أغير حياتى يعنى إيه؟! يعنى تغير أصدقاءك وعلاقاتك وبيتك وأماكن فسحتك.. وقبل كده لازم تغير شغلتك.. أغير شغلى إزاى وأنا ضابط فى الجيش.. إيه اللى اشتغله غير كده».

وتتدخل المقادير من جديد.. لقاء بالمصادفة جمعه بالمخرج «محمد عبدالجواد»، وكان مساعداً لـ «كمال سليم» صديقه القديم

الذى كان أول من اكتشف فيه بذور الفن ودله عليها، كان «كمال سليم» قد رحل قبل ذلك بشهور، وترك جرحاً آخر فى نفس «عز».. وكما فعل الأستاذ فعل المساعد.. كرر عليه «محمد عبدالجواد» فكرة العمل بالسينما، خروجاً من الحالة النفسية المتردية التى يعيشها، وعملاً بنصيحة الطبيب، وفى هذه المرة لم يجد «عز» عذراً، وقبل أن يعمل مساعداً لـ «محمد عبدالجواد».. ومن سخرية القدر أنه لم تمر سوى أعوام قليلة حتى انقلبت الآية، وأصبح «محمد عبدالجواد» هو مساعد «عز» الذى لمع اسمه بسرعة، وأصبح مطلوباً من المنتجين بأى ثمن، بعد نجاح أفلامه، واحتفاء النقاد به.

وفى ٣ فبراير عام ١٩٤٧، ظهر فيلمه الأول «أسير الظلام» الذى قام ببطولته: «سراج منير» و«مديحة يسرى».. ولفت الفيلم إليه الأنظار رغم أنه لم ينجح النجاح التجارى اللازم.. فكان سبباً فى ترشيحه لإخراج أول فيلم يجمعه مع «فاتن حمامة» فى العام نفسه، وهو فيلم «أبوزيد الهلالى».

كانت أفلام «عزالذين ذوالفقار» الأولى لوناً جديداً ومختلفاً لم يعتده جمهور السينما ولا منتجوها.. ولذلك لم تجد الإقبال اللائق، وعانى مخرجها طويلاً حتى يقنع الجميع بها.. ويحكى «عز» فى حوار مع صديقه «جليل البندارى» الذى أطلق عليه لقب

«الضبع الأشقر» لوسامته ولكثرة مغامراته النسائية: «لقد بدأت حياتي في أعقاب الحرب العالمية الثانية.. كنت مخرجاً فاشلاً.. كانت الأفلام الرائجة في ذلك الوقت هي أفلام التهريج، وأنا لا أعترف بهذا النوع من الأفلام، فقد كنت طوال عمري مؤمناً بالأفلام العاطفية الرفيعة، وعشت متعطلاً مدة طويلة، ولكن لم أيأس ولم أعتبر نفسي فاشلاً، وصممت على أن أسير في طريقي حتى أقنع الناس بأفكاري وأجعلهم يؤمنون بمبادئي.. وكتبت سيناريو فيلم «أنا الماضي» - وهو سابع فيلم في مشواره بعد «أسير الظلام» و«أبوزيد الهلالي» و«الكل يغني» و«خلود» و«إجازة في جهنم» و«صاحبة الملاليم» - كتبته في سنة كاملة.. وكان منتج الفيلم «جبرائيل نحاس» يعطيني أجري بالتقسيط البسيط، وكان القسط الواحد لا يزيد على خمسة جنيهات.. وقد تحملت هذا الذل في سبيل أن تخرج فكرتي إلى النور.. ولكني فوجئت قبل التصوير بيوم واحد بالمنتج وهو يقول لي بالتليفون: إحنا ما نقدرش نعمل الفيلم ده يا أستاذ.. وقبل أن أرد عليه بحرف واحد قال: روح دلوقتي قهوة «عماد الدين» حتلاقي هناك «عباس فارس» اسمع منه الرواية المضحكة اللي كتبها، واعمل حسابك حتصورها بعد ٣ أيام.

قلت له :

– مش جايز الرواية دي ماتعجبنيش؟

فقال:

- لكن عجبانى أنا.. هى دى اللى هتنجح وتجيب إيراد.

- والرواية دى اللى باكتبها بقى لى سنة؟!

قال:

- سيبك منها دى هتضيع مستقبلك.

ويواصل «عز»: «كنت فى ذلك الوقت فى حاجة إلى المليم، فذهبت إلى قهوة «عماد الدين»، واستمعت إلى قصة «عباس فارس».. قصة تهريج فى تهريج، واضطررت إلى إخراجها من أجل الخبز، وظهر فيلم «إجازة فى جهنم».. أخرجته وأنا أتعذب عذاباً أشد من عذاب جهنم.. وسقطت القصة وسقط الفيلم، ولكنى لم أسقط.. وحاولت إقناع «جبرائيل نحاس» مرة أخرى بقصة «أنا الماضى»، فقال لى: أنا لست مجنوناً حتى أنتج هذا الفيلم. وأخذت أبحث عن رجل مجنون ينتجه فلم أجد سوى «حسنى نجيب».. واجتمعت بـ «حسنى نجيب» الذى كان يشغل منصب مدير استوديو مصر، والسيد «محمد رشدى» الذى كان عضو مجلس الإدارة المنتدب، و«محمد رجائى» نائب المدير، ورويت لهم قصة «أنا الماضى».. وفى اعتقادى أنهم لم يقتنعوا بالقصة، ولكنهم اقتنعوا من فرط إيمانى أنا بالقصة».

«وعرض الفيلم، واتصل بي «رجائي» ليحمل إليّ نبأ نجاح القصة.. فقد درت في اليوم الأول ألف جنيه.. وفي اليوم الثاني ألف جنيه.. وظلت تدر في كل يوم هذا الألف حتى نهاية الأسبوع الأول، ونلت عنها الجائزة الثانية في الإخراج».

وعندما أجرى الاستفتاء السنوي لمجلة «الكواكب» عن أحسن المخرجين في عام ١٩٥٨، جاء ترتيب «عز» في المركز الأول، ليحمل لقب أفضل مخرج في مصر، ونال ١١٤٠ صوتاً بنسبة ٥٧٪ من عدد الأصوات، وجاء غريمه «صلاح أبوسيف» في المركز الثاني، ونال ٢١٠ أصوات، وتلاه «حسن الإمام» ١٩٠ صوتاً، ثم «يوسف شاهين» ٩٠ صوتاً.

في تلك السنوات كانت المنافسة بين «عز» و«أبوسيف» على أشدها على زعامة الإخراج في مصر.. كان «عز» يقرأ كثيراً في كتب تعليم الإخراج والسيناريو، ويتابع أحدث ما يأتي من أوروبا في فن السينما.. ليس للاستفادة منه في تطوير نفسه كمخرج، ولكن لسبب آخر يبدو طريفاً.. فعندما سألوا «عز» مرة: «لماذا تقرأ كل هذه الكتب، وأنت مخرج ناجح، لم تدرس السينما، ولكنك حققت فيها مجداً لم يحققه الذين عاشوا عمرهم يدرسوها.. فكان جوابه: علشان لما أقعد مع المخرجين المثقفين زي «صلاح أبوسيف» و«أحمد كامل مرسي» أقدر أناقشهم وأتكلم زيهم!».

لم يبالغ «عز» كثيراً عندما كان يصف نفسه بأنه مخرج شيطاني.. دخل مجال الإخراج السينمائى دون أن يدرسه فى معهد ولا أكاديمية.. واعتمد على موهبته الفطرية، وعلى الخبرات التى يكتسبها بالممارسة والتجربة.. ولذلك جاءت أفلامه شبيهة بشخصيته وفيها الكثير من روحه.. وصدق عواطفه.. وكان «جليل البندارى» محقاً عندما كتب: «وعزالدين ذوالفقار رجل يبالغ فى كل شىء حتى في عواطفه.. فاللقطة الدرامية يبالغ فى إخراجها، حتى يجعلك تنزف الدماء من عينيك بدلاً من الدموع.. وإذا أخرج لقطة هزلية جعلك تقع عن مقعدك من كثرة الضحك والمبالغة.. وهو يبالغ فى تناول الطعام والويسكى.. وإذا ظهرت عليه أعراض الحب بالغ فى هذا الحب واندفع فيه إلى أقصى الحدود.. فهو لا يعرف الاتزان فى الكلمة التى يكتبها، ولا اللقطة التى يخرجها، ولا الكأس التى يتناولها، ولا الحب الذى يعترض طريقه».

وكان «عز» يغضب من تشبيهه بالمخرج العالمى «هيتشكوك» ويقول: «أنا أعتبر نفسى من مدرسة «وليم ويلز» و«إيليا كازان» و«بيلى وايلدر».. والأول صاحب فيلم «أحسن سنين حياتنا»، والثانى قدم لنا فيلم «عربة اللذة»، و«شرق عدن».. والأخير أذكر له فيلم «سابرينا».. وهذه المدرسة تميل إلى البساطة، وتحاول دائماً الوصول إلى النفس والتعبير عن الغرض المطلوب بأبسط الوسائل».

أما «هيتشكوك» ـ يقول «عز» : «أنا أعتبره مدرسة هندسية وليست فنية.. والعمل الذى يقدمه لنا عبارة عن مسألة حسابية يعقدها ثم يحلها واحدة واحدة.. وهذا ليس فيه عمق ولا انفعال.. وعيب «هيتشكوك» أنه يحب أن يراه المتفرج قبل أن يرى الفيلم.. أما المدرسة الثانية فتحرص على أن يكون الفيلم سيد الموقف، وأن المخرج ليس إلا وسيلة، ولا يفرض شخصيته على الجمهور».

وكان «عز» يردد دائماً: «مدرستى فى الإخراج مبنية كلها على الأحاسيس فهى التى تكتب الكلمة، وتخرج الانفعال وتحرك الكاميرا».

وكان يرى أن سر نجاحه يكمن فى إجادته كتابة السيناريو.. «فأنا أكتب السيناريو بتفصيل سينمائى، يفصل الأفكار على الورق إلى صورة وضوء وصوت وحركة».

ثقة «عز» بنفسه وبإمكاناته وبموهبته جعلت كثيرين يتهمونه بالغرور.. فقط صديقه «إحسان عبدالقدوس» كان يرى غروره ظاهرة صحية، بل ويشجعه عليها.. حتى إنه كتب مرة والمرض ينهش فى عظام صديقه: «كان أكثر ما أخافه أن يقضى المرض على غرور «عزالدين ذوالفقار».. ولكنى رأيته مغروراً كما

تعودت أن أراه.. وغرور الفنان هو إيمانه بفنه.. إيمانه بقدرته على الخلق والإبداع.. وسيقفز «عز» من فراشه بعد أيام ليخلق ويبدع».

* * *

عن «عز» المخرج لا نجد أفضل من تلك الخاتمة.. رأى المخرج الكبير «توفيق صالح» فيه وفى أسلوبه: «عزالدين ذوالفقار» واحد من الذين شكلوا وجدان هذا البلد لمدة عشر أو خمس عشر سنة.. وكان يعشق الطبيعة بكل مفرداتها، وكان هذا العشق هو من قبيل مكملات اللغة، وهى مكملات لبناء مضمون أو عاطفة مشهد أو فيلم.. فلحظة الغروب أو شروق الشمس أو البحر أو غيرها لا توضع بلا مغزى، وإنما للإيحاء بإحساس ما».

ويضيف «توفيق صالح»:

«ولم يكن «عز» يسرد قصة فى فيلم سينمائى مجرد سرد، لأن أى مخرج يفعل ذلك، وإنما كان «عز» يصنع إحساساً يتواصل معك وتتواصل معه، كما لم يستطع أى مخرج آخر أن يصنعه.. ولم أر مخرجاً فى حياتى يفهم الإشارة الموحية فى السيناريو كما كان يفهمها «عز». فقد كان مخرجاً متمكناً من أدواته، مالكاً لها، بالإضافة إلى مفاهيمه الخاصة ووعيه واختياراته لموضوعات أفلامه».

ولا يجد «توفيق صالح» غضاضة فى أن يخلع عليه صفة العبقرية، وفوقها ثراء الشخصية، ورقة الشاعر وفرط الحساسية.. التى أوصلته إلى الأزمة القلبية.

الفصل الثانى

"موعد فى البرج" قتل عز الدين ذوالفقار

لا يحتاج «عزالدين ذوالفقار» إلى مناسبة للحديث عنه، أو لمبرر لإحياء ذكره وذكراه.. وهل يحتاج إلى مناسبة ذلك الذى قالت عنه سيدة الشاشة «فاتن حمامة»: «إن الله خلق لهذا الرجل طاقة من الحساسية لا يجاريها أحد، وكان يستطيع أن يبكينى بسهولة أمام الكاميرا، حيث كان يقول لى: أريد أن أرى دموعك فى هذا المشهد، فأقول له: إن كلماته لا تدعو للبكاء، فيبدأ فى تمثيل الدور وتنهمر دموعه، فأعيد أداء المشهد وقد انهمرت دموعى تأثراً به».

ذلك الذى وصفه «فؤاد المهندس» بأنه «اختراع»؛ لا يوجد لهذا الرجل شبيه، فهو مخرج واحد لا ثانى له. ووصف «جليل البندارى» أفلامه بأنها خالدة كقصائد «إبراهيم ناجى» و«كامل الشناوى».. «عاشت فى ملايين من قلوب الناس الذين كانوا ينسون عقولهم ويعيشون بقلوبهم فى أفلامه الغرامية الملتهبة حباً ووجداً وعاطفة».

لا يحتاجها إذن صاحب «رد قلبى»، «الرجل الثانى»، «نهر الحب»، «شارع الحب»، و«الشموع السوداء».

إن أفلامه الطازجة دائماً، المحشوة بالسحر والعبقرية والدهشة والموهبة الطاغية أهم من كل المناسبات، وفوق كل المبررات.. فما بالك لو كانت هناك أكثر من مناسبة وأكثر من مبرر، فى مقدمتها اختيار مهرجان الإسكندرية السينمائى له ليكون فى صدارة المكرمين، باعتباره ثالث ثلاثة من ضباط الثورة الذين خدموا السينما المصرية، وتركوا علامات مضيئة على جدرانها، وشكلت أفلامهم أبرز روائعها وأخلد كلاسيكياتها. إن أفلام «عز» و«أحمد مظهر» و«يوسف السباعى» مازالت تدهشنا وتسحرنا، حتى إن لم تلحق بعصر السينما الملونة وتكنولوجيا زمن العولمة، ومازالت تحتاج لمن يقرأها، ويعرف قيمتها، ويكرم أصحابها، حتى لو جاء التكريم ضمن الاحتفال باليوبيل الذهبى لثورة يوليو.

ثم هناك الذكرى التاسعة والثلاثون لرحيله، التى تهل مع هلال شهر يوليو، فقد فارقنا «عز» فى عز شبابه أول يوليو عام ١٩٦٣، ولم يكن تجاوز الرابعة والأربعين عاماً من عمره.

وهناك أوراقه وصوره وخطاباته وأسراره التى تذيعها أرملته «كوثر شفيق» للمرة الأولى.

وبين الأوراق والصور والخطابات والأسرار ستكتشف عبقرية هذا الفنان الذى أهملناه ولم نعرف قيمته، وبرغم أنه لم يبحث عن التقدير يوماً، فإنه كان ينتظره، وعندما لم يأت قال: «دعوهم.. سيأتى يوم ليفهمونى».. فهل جاء هذا اليوم؟

* * *

قصة هذه السيدة نسخة من أفلام الرجل الوحيد الذى عشقته، وتزوجته، وعاشت فى بيته تسع سنوات هى محور حياتها، وأجمل أيام عمرها، منقوشة تفاصيلها على جدران ذاكرتها، فتحدثك عنها وكأنها تتكلم عن أمور جرت قبل أيام، أو كأنها تقرأ فى كتاب مفتوح، مع أن ما تتكلم عنه ذكريات مر عليها أكثر من ٤٠ عاماً، تغيرت فيها الدنيا والناس والأحوال والمبادئ والدول والأسماء والأشياء.

قصتها معه فيها من روح روائعه السينمائية، ومن قصص أفلامه الخالدة، فيها الحب والرومانسية والعذاب والدموع، فيها الابتسامات والآهات.. السماء والماء والصحراء.. الثراء والعز والترف.. والحرمان كذلك.

وإذا كانت أفلامه تنتهى غالباً بالنهاية السعيدة التى ترسم الفرحة على وجوه مشاهديها، وتنقذهم من توترهم، وتريح

أعصابهم بعد ساعتين من الإثارة والتشويق والصد والهجران ومؤامرات العوازل وفواجع القدر، فإن نهاية قصتها معه لم تكن كذلك، فقد حملت لقب أرملة وهى بنت ٢٧ عاماً، أى فى عز شبابها، فكتب عليها أن تواجه حياة قاسية، مسئولة فيها عن طفلة صغيرة تحتمى بصدرها وترتوى من لبنها، بعد أن أصبحت تمثل لها الأم والأب معاً.

إن حكاية «كوثر شفيق» - الفنانة والإنسانة والأم والزوجة - مع شاعر السينما ومخرج الروائع «عزالدين ذوالفقار» تستحق أن تروى.. إن ما تملكه من حكايات وأسرار وأوراق ووثائق وصور وذكريات يلقى الضوء - لا على حياة زوجها وحده - بل يكشف أيضاً كواليس الحياة السينمائية فى سنوات مجدها وتألقها.. ولنبدأ الحكاية من البداية.

الخيوط الأولى للقصة نسجت فى أسيوط، المدينة التى انتقلت إليها الطفلة الصغيرة الجميلة بحكم عمل والدها، بعد ميلادها فى العاصمة، حيث تزوج الأب ذو الأصول المنصورية – نسبة إلى مدينة المنصورة– من الأم ذات الأصول الصعيدية.

إلى أسيوط انتقل الأب - كومندان الإسعاف - ومعه أسرته، لتلتحق ابنته كوثر بمدرسة الفرنسيسكان، وتوافق الأم على

دخولها القسم الداخلى، لبُعد المسافة بين المدرسة والبيت، وخوفاً على الابنة الصغيرة، الغريبة فى تلك المدينة البعيدة ذات التقاليد الصارمة.

فى المدرسة الابتدائية بدأت البذور الأولى للفن تنمو داخل كوثر.. انضمت إلى فريق التمثيل والإنشاء بالمدرسة، ولبراعتها كانوا يستعينون بها للترتيل بالكنيسة، ورغم جو المدرسة الصارم، ونظام التربية الحازم كانت البنات يتغلبن على كل القيود ويهربن المجلات الفنية فى حقائبهن الصغيرة، وكانت متعتهن الكبرى فى الفرجة على صور الممثلين والممثلات، ومتابعة أخبارهم وأعمالهم ومغامراتهم.. تحكى كوثر: «كان كمال الشناوى هو فارس أحلامنا فى تلك الأيام.. وكنت أقول لزميلاتى ونحن نستذكر دروسنا فى المساء، ويقطعها حديثنا المفضل عن الفن ونجومه: بكره إن شاء الله لما أرجع مصر كل اللى أنتم شايفينهم فى المجلات دى سأجلس معهم، وهيبقوا أصحابى.

«كانت الكلمات تخرج فى براءة وعفوية، وتقابلها البنات بسخرية، منى ومن أحلامى التى بدت لهن مستحيلة، وظللت مصرة على رأيى، وكانت الأحلام تكبر وتتراقص أمامى مع الصورة المهزوزة التى أشاهدها على شاشة سينما «مقار» القريبة من المدرسة، فقد كان فى استطاعتى أن أتابع ـ مع بعض الجهد ـ ما يجرى على الشاشة وأنا أجلس فى الشباك».

ومرت السنوات وعاد الأب إلى القاهرة بعد خروجه إلى المعاش، ولحقته الأسرة، وجاءت كوثر لتلتحق بمدرسة «الأميرة فوقية الثانوية»، ولم تفارقها أحلامها القديمة، بل بات أنها توشك على التحقق، لتنتقم من ضحكات زميلاتها الصغيرات بأسيوط، وسخريتهن من تلك التي تريد أن تصل إلى النجوم.. كانت المدرسة الجديدة ـ بالمصادفة السعيدة ـ تطل على العمارة التي يسكن فيها فتى الأحلام في تلك الأيام «كمال الشناوي»، وكانت كوثر بين التلميذات المعجبات اللائي يقفن في شباك المدرسة، متزاحمات لرؤية النجم الوسيم وهو ينزل من بيته، ليركب سيارته الكابورليه الشهيرة، فتخرج التنهدات حارة، إعجاباً بشكله الأنيق، وقوامه الرشيق، وشاربه الدقيق، وابتسامته الساحرة.

وتوالت المفاجآت السعيدة «في يوم ذهبت إلى حفل عيد ميلاد طالبة زميلتي، وتصادف أن كان ريجسير موجوداً، ولاحظت أنه ينظر لي طويلاً مع أنني كنت مشغولة بالغناء والرقص، ثم اقترب مني وهمس في أذني: تحبي تشتغلي في السيما؟

وصرخت: أحب قوي.. موافقة طبعاً.. ده أنا حاتجنن علشان أطلع في السينما!

وعرفت منه أنه يبحث عن بنت صغيرة شكلها جميل، وجسمها حلو لتظهر فى دور صغير فى فيلم جديد لـ «فريد الأطرش».

وتنبهت إلى أن الدور يحتاج إلى تمثيل، وهو أمر لم أجربه، ويحتاج إلى تدريب وهو شىء لا أعرفه، ولكن هذا الريجسير الذى تحول إلى منتج فيما بعد، وتوفى قبل شهور قليلة، راح يبعث فىّ الطمأنينة، ويؤكد لى أن المسألة بسيطة، وأن الدور لا يزيد على جملتين، ترديدهما سهل، ولا يحتاج إلى تدريب ولا موهبة.

وكدت أطير من الفرح، وهو يقدمنى بعدها بأيام إلى «فؤاد الأطرش»، الذى كان مشرفاً على إنتاج الفيلم، وكبرت طموحاتى، وتعددت أحلامى بين التمثيل والرقص، حتى إن «فؤاد الأطرش» لاحظ حجم الطموح، فقال لى على سبل النصيحة:

- لازم تحددى موقفك من الأول.. يا التمثيل يا الرقص - لكن دراستك أهم من ده وده - لازم تخلصى تعليمك الأول.

وهكذا ظهرت فى فيلم «عايزة أتجوز» - تقول موسوعة دليل الأفلام فى القرن العشرين إن عرضه الأول كان فى ١٩٥٢/٨/٨، وقام ببطولته: فريد الأطرش، ونور الهدى، وأخرجه: أحمد بدرخان».

ويعدها رشحت للظهور كموديل فى إعلان عن مشروب لـ «إحدى شركات المياه الغازية».. أظهر فيه وأنا أرتدى المايوه وأشرب زجاجة المشروب فى استمتاع، على خلفية من أغنية مناسبة للإعلان بصوت «عفاف شاكر» شقيقة الفنانة «شادية»، وذهبت إلى ستوديو «مصر» لتصوير الإعلان، الذى كان يسبق أفلام السينما، ويعرض خصيصاً فى دور العرض قبل ظهور التليفزيون.

وفى ستوديو «مصر» قابلت «عزالدين ذوالفقار» للمرة الأولى كنت أعرف اسمه، وأرى صوره فى المجلات، وأكاد أكرهه.

فأيامها كان متزوجاً من «فاتن حمامة»، وكنت من عشاقها، وكنت لما أنظر إليها فى المجلة وهى بجوار زوجها ضخم الجثة، فكأنها عصفورة صغيرة رقيقة وقعت فى أسر هذا الصياد القاسى، فكنت أسأل نفسى: كيف توافق «فاتن حمامة» على الزواج من هذا الرجل الضخم؟!

فى ستوديو «مصر» أحس «عزالدين ذوالفقار» - وكان موجوداً لتصوير أحد أفلامه - بضجة فى البلاتوه المجاور، فذهب لاستطلاع الأمر، ووقع بصره على التلميذة الصغيرة، المعجبة بجمالها وقوامها وهى تصور الإعلان، فوقف يتفرج للحظات، ثم

همس في أذن مساعده بكلمات.. وما أن انتهت «كوثر» من التصوير حتى ذهب إليها المساعد، وقال لها بأدب جم:

- ممكن تتفضلى معانا يا آنسة نوصلك لأول الشارع.

ذلك أن ستوديو «مصر» كان يفصله عن شارع الهرم الرئيسى مسافة طويلة، عليك أن تقطعها سيراً على الأقدام وسط زراعات وطريق ترابى حتى تصل إلى الشارع لتستقل تاكسياً أو تركب الأتوبيس.. يوم أن كانت الأتوبيسات خالية لا تجد من يركبها.

وفرحت جداً بالعرض ونسيت غيظى القديم منه، ووافقت بلا تردد، وركبت بجوار «عزالدين ذوالفقار». وامتدت التوصيلة، ونزل مساعده فى ميدان الجيزة، وأصبحنا منفردين.. وسألنى وكأنه يهمس:

- إنت أخبارك إيه؟

ورحت أحدثه عن نفسى وظروفى وأحلامى وحبى للفن، وسألنى من جديد فى ود ظاهر:

- إنتى محتاجة للشغل قوى؟

وأجبته:

- لا.. بس أنا بحب أساعد نفسى.

وفوجئت به يطلبني للعمل في أفلامه الجديدة.

ويومها كان «عز» مازال متزوجاً من «فاتن»، ولكن الخلافات بدأت تعكر صفو حياتهما، ولاحظت نظراته لي، ولم يخطر ببالي أنه إعجاب أو حب، وساءت الأمور بينه وبين «فاتن»، ووصلت إلى شفا الطلاق، في تلك الأثناء كان اسمي قد بدأ يتردد ويصادف بعض الشهرة، بعد مشاركتي في «موعد مع الحياة» و«رقصة الوداع» وعدد آخر من الأفلام، وانضمامي بشكل دائم إلى المجاميع الراقصة، بأجر ٥ جنيهات، وهو مبلغ شديد الاحترام في تلك الأيام».

مازالت «كوثر» تحكي: «وزاد إعجابه بي.. حتى كان يوم فوجئت به يطلبني للزواج ولم أستطع الرد، فلم أكن يومها أعرف يعني إيه زواج وارتباط وأسرة وبيت، كان عمري لا يزيد على «١٧ عاماً»، ولا أعرف شيئاً في الحياة، وليس في عقلي من تجاربها وخبراتها سوى القليل».

وأمام إلحاحه وافقت «كوثر شفيق» الطالبة بالصف الرابع الثانوي لم تزل، وكان «عز» يسكن في العوامة ١٠٦ بشارع الجبلاية، واحتفاءً واحتفالاً بالعروس الصغيرة استأجر فيللا أنيقة بشارع المنصور محمد بالزمالك، ولكن كان له طلب ـ بل رجاء ـ

واحد، هو أن يكون الزواج عرفياً، وكان مبرره أن الناس متعاطفة معه جداً بعد أن تركته «فاتن»، وفضلت عليه «عمر الشريف»، و«فاتن» لم تتزوج من «عمر» بعد، ومن ثم فيمكن أن يخسر هذا التعاطف إذا عرف الناس أنه تزوج من فتاة صغيرة، والجراح فى نفسه لاتزال ساخنة.. معنى ذلك أن حبه القوى لـ «فاتن» الذى يدعيه ليس حقيقياً، وعواطفه زائفة.. هكذا سيقول الناس.

واقتنعت «كوثر»، وتم الزواج العرفى، وذهبت لتعيش معه فى فيللته الجديدة، دون علم أسرتها. كان المهر «٢٥ قرشاً»، ومؤخر الصداق «٢٠٠ جنيه»، وأحد شهود العقد هو مساعد المخرج «عبدالله بركات»، الذى تحول إلى مخرج تليفزيونى فيما بعد، وتزوج أحد أبنائه من الفنانة الراحلة «هالة فؤاد».

واكتشفت الأسرة «الكارثة» بمقاييس تلك الأيام، ابنتها تزوجت عرفياً، وبدون علمها، حتى لو كان من أحد ألمع مخرجى السينما المصرية وأكثرهم شهرة.

وذهب شقيق «كوثر» محتجاً وثائراً ومهدداً ومتوعداً وصارخاً فى وجه «عز»: أختى ما تتجوزش عرفى!

وتناول عقد الزواج ومزقه بعنف، وكادت تحدث أزمة، لولا أن تدارك «عز» الموقف وذهب بسرعة وأحضر المأذون، وعقد قرانه

رسمياً على عروسه الصغيرة أواخر عام ١٩٥٥ . هكذا أصبحت «كوثر شفيق» زوجة «عزالدين ذوالفقار» على سنّة الله ورسوله.

ولا تختلف رواية «عز» عن الظروف التي جمعته بـ «كوثر شفيق» وزواجه منها كثيراً عن روايتها إلا في التفاصيل وشاعرية الرؤية.. في أوراقه كتب «عز» هذه المقالة التي تحمل عنوان «قصة حبي»، يحكي فيها تفاصيل تلك القصة، وتدخلت «كوثر» لتضيف عبارات، ترى أنها سقطت من ذاكرة «عز»، وبدونها تبدو الصورة مشوشة، وإضافتها لازمة لتمحو هذا التشويش.

كتب «عز» يقول: «بعد طلاقي من السيدة «فاتن حمامة» قررت أن أعيش بلا قيود وبلا مسئوليات، فانغمست في عالم الحرية والانطلاق، علّني أنسى خمس سنوات من زواج انتهى بفراق. كنت أقضي وقتي كما تشتهي نفسي، ممتعاً إياها بكل شيء.. سهر.. مرح.. ضحك» وتتدخل كوثر لتضيف: «إن أبلغ وصف لحياته كما عرفتها في هذه الفترة أنه كان يعيش كهارون الرشيد.. لم أره في صحبة أقل من ثلاث نساء.. وزجاجة ويسكي».. ويكمل «عز»: «وكنت في ستوديو «مصر» أقوم بإخراج فيلم «أغلى من عينيه»، ولم أكن أدري أن القدر يدخر لي بين طياته في ذلك اليوم بداية قصة حب جديدة يشغلني عن الدنيا التي ارتضيتها لنفسي، والعالم الذي ارتميت بين أحضانه.

في ذلك اليوم قابلت «كوثر» لأول مرة، كانت في مريلة المدرسة، وضفيرتين وفيونكة، طفلة صغيرة العمر والقد، ابتسامتها على شفتيها وفي صوتها عذوبة، ووجهها شاحب جميل التقاطيع، كانت قد جاءت مع أحد مساعدى في العمل، وعرفنى بها على أنها تلميذة في مدرسة «الأميرة فوقية الثانوية» - «الأورمان» حالياً - وغاوية سينما موت، وأنها جاءت لتشاهد كيف يجرى العمل في الاستوديو.

وسلمت «كوثر» علىّ بأنامل رقيقة مرتعشة، وبنظرة منكسرة على أهدابها الطويلة، قالت لى والدم يتفجر في وجنتيها: «أنا أعرفك من زمان يا أستاذ، بس ما شفتكش قبل كده.. شفتك بس في الصور وفي السينما»، وانصرفت عنها إلى عملى، وجلست هى تراقب ما يدور حولها بكل اهتمام، ولكن نظرتها كانت بمثابة السهم الذى «اندب» في قلبى فجذبتنى إليها». تقطع كوثر استرساله لتضيف ذلك التعليق: «إنه في نفس اليوم سأل مساعده الذى قدمنى إليه عن تفاصيل كثيرة تتعلق بى وبأسرتى».. ويواصل «عز»: «ووجدت نفسى بلا إرادة أختلس النظر إليها بين الحين والحين، ثم أراها تبتسم نفس الابتسامة الهادئة الساذجة، فأرد على ابتسامتها ببساطة وعدم تكلف.. وقبل أن تغادر الاستوديو أقبلت علىّ تشكرنى بنفس الابتسامة

الرقـيـقـة، والأنامل المرتعـشـة والنظرة المنكسـرة على أهدابهـا الطويلة.

ومرت أيام انشغلت عن ابتسامتها ونظرتها في تيار العمل والانطلاق، ولكن القدر الذى أودعـهـا فى طريقى يومـاً شـاء أن يكمل دوره فى حـبك قـصـة الحب، فـشـاهـدتهـا فى أحـد الاسـتوديوهات تمثل وقد فردت ضـفـائرها، وخلعت فـيونكتـهـا، ولبست الحذاء ذا الكعب العالى، والفستان «الجابونيز». كانت جميلة ونفس الابتسامة الساذجة على شفتيها، ووجدت نفسى مشدوداً إلى البقاء إلى جوارها، وهى تمثل بكل أعصابها دوراً صغيراً فى «شوت» إعلان عن «الكوكاكولا»، وأعجبتنى طريقتها فى التمثيل». وتتدخل كوثر للمرة الثالثة لتضيف هذا التعليق اللاذع: «بلغ من إعجابه بى كممثلة أنه مُصر على ألا أعمل فى السينما أبداً».. «وشعرت أن هناك ما يدفعنى للتكلم معها، لم أعـرف هذا الدافع فى حـينه، قـد يكون الحب من أول نظرة.. وعشت دقائق ممتعة مع ابتسامتها ورنة صوتها الدقيق النابع من القلب فى براءة وصدق.

وانتهى التمثيل، وحانت ساعة الرحيل، وبحثت عن وسيلة للمواصلات تنقلها إلى قلب العاصمة، وكانت بصحبة بعض صديقاتها، ووجدت نفسى أعرض عليها توصيلها إلى حيث تشاء،

وكنت فى طريق عودتى أتمنى من قلبى لو أن صديقاتها تركننا بمفردنا لحظات.

وكان القدر كبيراً فرتب لنا الأمر، وأصبحنا ـ والحب فى قلبى ـ بمفردنا، عرفت منها أنها لظروف عائلية خاصة اضطرت لقطع دراستها والنزول إلى ميدان العمل، ولشدة غرامها وولعها بالسينما قررت النزول إلى ميدانها، رغم علمها بما فيها من عقبات وصعوبات، وودعتها إلى لقاء قريب، وقد شغلت من فكرى حيزاً كبيراً.

بدأت مقابلاتنا تتكرر بعد ذلك، وكنت أشعر بارتياح عندما تكون إلى جوارى، وأفرح عندما أراها تخطو خطوات سريعة فى ميدان السينما، وكنت أتجسس عليها، لأعرف طريقة سلوكها، وبدأت بدورى أطلبها للعمل معى فى الأفلام، وكنت أعاملها معاملة تختلف تماماً عن معاملاتى لغيرها، وأحاول التخفيف من آلامها، كلما شكت من قسوة الحياة. كنت أجد راحة فى أن أجنبها الكثير من الصدمات، وأبذل لها النصائح عن طيب خاطر وبضمير مرتاح.

وبدأت بيننا صداقة، كانت تتردد علىّ فى أوقات كثيرة، وكنت أجد لذة فى صحبتها إلى فسحة أو جلسة هادئة، وأصبحت

أشعر أنه لا طعم للضحك أو الكلام إلا معها، أصبحت هى كل فكرى ووقتى.

وجاء يوم كان علىّ أن أسافر إلى الإسكندرية للقيام بإخراج فيلم هناك، وعرضت عليها صحبتى، فوافقت وضربت بمعارضة أهلها عرض الحائط. وفى الإسكندرية تأكد لى أنها تحبنى، كانت تكتم الدموع فى مقلتيها وقلبها كلما رأتنى فى حديث مع غيرها». مداخلة من كوثر: «إنه فى هذا الوقت كان مغرماً فعلاً بفنانة معروفة.. وكان اصطحابه لى ستاراً لهذه العلاقة»، ويواصل «عز»: «شعرت أنها تغار علىّ، وكثيراً ما كنت أضبط هذه الدموع، وهى تنفلت من مقلتيها، وعندما كنت أسألها عن السبب، كانت تنكر حقيقة شعورها، فكنت أمسح هذه الدموع وفى قلبى ألم.

وكنت فى قرارة نفسى أستكثر أن تقوم بيننا علاقة حب، فقد كانت تصغرنى كثيراً، ولكنى كنت لا أستطيع مقاومة هذا التيار الجارف الذى يجذبنى إليها، أصبحت أراها فى كل خطوة أخطوها، فى كل وجه أكلمه، فى كل حلم أحلمه. لقد أحببتها ولا يستطيع قلبى أن ينكر هذا الحب، ولكن فارق السن كان يؤرقنى». توضيح من كوثر: «الفرق بيننا ١٦ سنة فقط، ولكنه يتخذ هذا كحجة لمعاملتى كطفلة».. «ولم أصرح لها بحبى، وعدنا

إلى القاهرة وفى قلبها حب وفى قلبى عطف، كنت أعرف أنها تتألم، فقد كانت تؤمن فى قرارة نفسها أن حبها مصيره الفشل، كانت تعتقد أن هناك موانع كثيرة تحول بينى وبين حبها، وإننى لا يمكن أن أكون لها فى يوم من الأيام.

وفى القاهرة، بدأت أفتقدها، ويبدو أنها قررت أن تدوس على قلبها حتى لا تكون سبباً فى آلامى وآلامها فى قصة حب تؤمن أنه لن يكتب له النجاح. إننى لم أصرح لها بحبى ونحن فى الإسكندرية رغم ما وجدته فى عينيها من دموع صادقة، وأخفت هى حبها عنى، رغم أنى كنت أراه فى عينيها وفى حديثها، ولو كان الأمر بيدى لصرحت لها بحبى، ولكن كنت أحكم عقلى قبل قلبى، بعد تجربة اللهو والمرح، بعيداً عن القيود والمسئوليات.

وبدأت «كوثر» تقطع اتصالها بى، امتنعت عن لقائى، وامتنعت عن الذهاب إلى الاستوديوهات للعمل، لقد حرمت نفسها من كل شىء، إلا من حبها المكتوم فى قلبها». كوثر تضيف: «كنت أعرف من مصادر خاصة أين يسهر كل مساء ومع من؟ وأطلبه فى التليفون دون ذكر اسمى، وعندما يحضر للرد أقفل السكة، وكان هذا يسبب له متاعب كثيرة بينه وبين من تكون فى رفقته».

«وبحثت عنها فى كل مكان، سألت عنها كل من يعرفها، ذهبت إلى منزلها، فقد كنت أشعر وهى بعيدة عنى أننى تائه فى

صحراء كبيرة، لم أكن أجد لذة عندما أسهر بمفردى، أو معى أصدقائى. كنت أفتقدها فى كل لحظة، شعرت أننى لا أستطيع الصبر على بعادها، إننى أحب أن تكون دائماً إلى جوارى، إننى أرتاح لحديثها.. إن هذا هو الحب، من قلبى أقوى من عقلى، وبدونها لن أحس العيش ولا العمل.

وتحايلت بشتى الوسائل حتى أمكننى الاتصال بها، ووجدت الدموع فى عينيها، فمسحتها برفق وحنان، وعرفت أن سر اختفائها يعود إلى معارضة أهلها لرغبتها. لقد اعترضوا على صداقتنا، وبدأوا يحرمّون عليها الخروج أو الاتصال بى، بل منعوها من العمل فى السينما، ولكنها كانت تضرب عن الطعام، وتغلق على نفسها حجرتها، وتظل فى البكاء حتى استسلم أهلها أخيراً.

وكنت أسكن فى هذه الفترة فى مصر الجديدة، فى فيللا كبيرة، خالية من العفش والأثاث. وكنت أمر بظروف مالية قاسية، وكانت هى البلسم الشافى لكل أزماتى، تخفف عنى بابتسامتها وتفرج عنى بمرحها، وكنت معها أنسى كل الهموم، وأشعر بأننى أملك الدنيا رغم كل ما أعانيه.

وحدث أن مرضت مرضاً شديداً، وأرسل الله لى هذه الإنسانة لتعيش إلى جوارى، تمسح بحبها آلامى، وتسهر على

راحتى بلا كلل. كانت تبكى عندما ترانى أتألم، وتبتسم عندما ترانى فى راحة. كانت تقضى لياليها إلى جوار فراشى، لا يغمض لها جفن. كان مرضاً وفقراً، وتحملت كل ألوان البؤس والشقاء بفدائية وقلب كبير. وكتب الله لى الشفاء بعد طول آلام.

وكان أول شيء فعلته بعد مغادرتى الفراش أن أحضرت مأذوناً وعقدت عليها، وكان شقيقها شاهد الزواج ووكيلها..» جملة اعتراضية من كوثر: «لقد كان بيننا عقد زواج عرفى استمر أكثر من عام قبل ذلك».

ويختتم «عز» قصة حبه قائلاً: «اكتشفت فيها زوجة مخلصة محبة، مؤمنة بالبيت وبالزوج.. والحمد لله أن وفقنى إلى إنسانة تحبنى وتفهمنى وتخلص لى. إنها إنسانة أحبها من كل قلبى وسأظل أحبها طالما حييت».

انتهت رواية «عز» التى تضيف إلى رواية «كوثر» كثيراً من التفاصيل والمواقف.. كما أنه كتبها برؤية فنان رقيق، ومخرج متمكن، وسينارست بازع، فجاءت أكثر تشويقاً وإثارة.. وحبكة وروعة.

* * *

ونعود إلى ذكريات «كوثر» من جديد.. تحكى:

«في الإسكندرية كان شهر العسل، ولم يكن شهراً بل شهرين، ولم يكن عسلاً خالصاً إذ كان خليطاً من العمل وإجازة الزواج». كان «عز» مرتبطاً بتصوير فيلمه الجديد «شاطئ الذكريات»، ووجدها فرصة ليصطحب عروسه إلى الإسكندرية، وعلى رمال البلاج فى أبى قير صباحاً، وفى الكابينة مساءً، دخلت «كوثر» الوسط الفنى من أوسع أبوابه كما تمنت يوماً، وأصبحت بين عشية وضحاها صديقة لشادية وعماد حمدى بطلى فيلم زوجها الجديد، وكانا ـ عماد وشادية ـ متزوجان آنذاك.

عاشت العروس الصغيرة فترة قبل أن تتأقلم على هذه الحياة الجديدة الصاخبة، سنها الصغيرة وقلة خبرتها وعدم درايتها كان يوقعها فى مشاكل بدت لها صعبة، ولزوجها طريفة. كانت كلمة مدام – وهى بنت ١٧ سنة ـ تصيبها بصدمة، وكانت كلمة «عز» ـ كده حاف – ثقيلة على لسانها، فهو يكبرها بـ «١٦ سنة»، ولا يصح أن تناديه باسمه حتى لو كان زوجها، فاعتادت أن تخاطبه رسمياً: يا أستاذ «عز»!

وجاء العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦، وكان صوت الغارات والدانات يرعب الزوجة الصغيرة، فاصطحبها «عز» إلى الفيوم، وكان شقيقه كمال ضابطاً فى المدينة البعيدة الهادئة.. تحكى كوثر: «نزلنا فى أوتيل اسمه «شكشوك»، وهو من أغرب ما

صادفت من أوتيلات، حجراته لا تزيد على ثمانى، وهى محجوزة صيفاً وشتاءً، إذ كان المكان المفضل لعدد من نجوم الفن فى تلك الأيام، ولما ذهبنا وجدنا الموسيقار محمد عبدالوهاب وزوجته إقبال نصار وأولادهما، وجاء على الزرقانى - السيناريست اللامع وأحد الذين كان يستريح «عز» فى العمل معهم - وبصحبته زوجته «عزيزة حلمى». وملأنا غرف الأوتيل، وفى إحدى المرات ونحن نتناول طعام العشاء سوياً لاحظت «عزيزة حلمى» أننى أنادى زوجى رسمياً، ومسبوقاً بكلمة أستاذ.. ظننتها مداعبة فى البداية منى لـ «عز»، ثم اكتشفت أن الموضوع جد.. فسألت باستغراب:

- هو «عز» ده مش جوزك؟

- آه طبعاً.

- وبتنادى له يا أستاذ «عز»؟

- آه.. ليه؟

- وفى البيت بالليل برضه بتقولى له يا أستاذ؟

واحترت فى الإجابة، ونصحتنى بأن أختار له اسم دلع مناسباً حتى أتخلص من هذا الحرج، ولا أعرف لماذا اخترت له اسم «شرشر»، ربما سمعته مرة من جليل البندارى، أحد

المقربين لـ «عز»، وهو يشنع على صديق له ويقول إنه «شرشر» أى شر زائد شر.

ومن يومها أصبحت لا أنادى «عز» إلا بهذا الاسم، وشاع هذا اللقب فى الوسط الفنى كله، حتى أن «عز» استخدمه فى فيلم «شارع الحب»، كاسم دلع لـ «عبدالحليم» فى مشهد شهير يجمعه مع «منيرة سنبل».

«كوثر» أيضاً كانت سبباً فى الذقن الشهيرة ـ السكسوكة ـ التى أطلقها «عز»، وأصبحت جزءاً أساسياً من ملامح وجهه لسنوات طويلة، وقلده فيها كثيرون فيما بعد.. وجاءت الحكاية بالمصادفة: «فى يوم استيقظ «عز» من نومه فاكتشف فى وجهه التهابات حادة، تركزت فى المنطقة التى فى أسفل فمه.. فحلق كل ذقنه ماعداها، وخرج من الحمام، ونظرت إليه، واكتشفت أن «السكسوكة» التى تركها تزيد ملامح وجهه وسامة، فاقترحت عليه أن يتركها.. وتركها، حتى بعد أن زالت الالتهابات.. وأصبحت هى «الحلقة» المفضلة له».

وبرغم أن المسألة جاءت مصادفة، فإن «عز» راح بعد ذلك فى حواراته يفلسف الحكاية، ويؤكد أنه لم يطلق لحيته «عياقة»، بل يرى أن وجودها منبه يشعره بعبء العمل، ويجعله ينتظر فى البيت ليدرس كل ما يتطلبه الغد.

وتحولت ذقن الأستاذ إلى موضوع تفرد له المجلات صفحاتها، مثل ذلك الذى نشرته «الكواكب» بعنوان: «عز شايل دقنه»، وكان الحوار كله ينصب على الذقن وأسبابها ونتائجها، راح «عز» فى نهايته يطالب شباب القطرين الشمالى والجنوبى - أيام الوحدة مع سوريا - بإطلاق لحاهم والسبب فى رأيه «كان كل شباب العصور الوسطى يتباهون بإطلاق لحاهم، وكذلك كان شباب العرب أيام الفتح الإسلامى، ولا شك أن شباب الجمهورية العربية المتحدة سيكونون أكثر احتراماً لأنفسهم لو أطلقوا لحاهم، خاصة شبان الإقليم الشمالى - سوريا - فوجوههم بيضاء والذقون تليق عليها جداً».

وكما ألحت عليه «كوثر» أن يترك لحيته، عادت لتلح عليه أن يحلقها، بعد أن تسرب شعور خفى إليها بأن تلك «السكسوكة» كانت نحساً عليه، فتراكمت عليه الأمراض والديون والأزمات الفنية والمالية، وربما لو حلقها لانفك النحس.. وحلقها «عز».

* * *

ولـ «عز» مع المرض و«القلس» قصص وحكايات.. وأما المرض فقد تسلل إلى جسمه منذ أن كان ضابطاً فى الجيش.. وجاءت أماكن خدمته فى أماكن ساحلية، وخصوصاً مرسى

مطروح، فتسرب الروماتيزم إلى جسده الرياضى القوى، ففى شبابه كان «عز» مفتول العضلات، ومارس لعبة «الملاكمة»، وكادت هذه القوة المفرطة تدخله السجن مرات.. بينها مرة بسبب «فاتن حمامة».

والقصة تفاصيل..

كان ذلك فى أوائل عام ١٩٥٣، وكان «عز» يومها متزوجاً من «فاتن»، وجاء المخرج الإنجليزى «جون ميللر» إلى القاهرة، وأقيم له حفل استقبال فى «سميراميس»، حضره عدد كبير من نجوم الفن.. وفتن المخرج الإنجليزى بملامح «فاتن»، وطلب منها أن تراقصه فرفضت.. ذهب ثم عاد، وألح عليها، وخرجت منه عبارات غزل سمعها «عز» فطار صوابه، وظن أن المخرج الإنجليزى يعاكس زوجته، فانهال عليه ضرباً بكل قوته، ولم يتركه إلا بعد أن أصابه بعاهة مستديمة فى عينه.

الطريف أن تحية كاريوكا التى كانت حاضرة انتابتها نوبة شهامة على طريقة أولاد البلد، فخلعت حذاءها وهات يا ضرب فى المخرج الإنجليزى تعس الحظ، الذى أقام دعوى قضائية ضد «عز» و«تحية»، ظلت متداولة فى المحاكم حتى شهر نوفمبر من عام ١٩٦١، حيث حكمت المحكمة بتغريم «عز» ٢٠ جنيهاً، والمخرج الإنجليزى ١٠ جنيهات.

تسلل الروماتيزم إلى جسد «عز» القوى للمرة الأولى، وهو ضابط بالجيش، يخدم فى كتيبة لسلاح الفرسان فى مطروح.. وعلى الرمال الناعمة وبالقرب من البحر الساحر كان «عز» يقضى أغلب وقته، مستلقياً ومستمتعاً بهذا السحر الربانى.. ولأنه كان يرتدى ملابس البحر غالباً، تسللت موجة الروماتيزم الأولى، وربما زاد من تأثيرها حالة الاكتئاب التى عاشها بعد رحيل والده.. كان «عز» مرتبطاً ومتعلقاً ومتأثراً به إلى حد بعيد، وتسبب رحيله المفاجئ فى صدمة شديدة، أفقدته توازنه، وأصابته بمرض نفسى، جعل الأطباء ينصحونه بتغيير أسلوب حياته، والبحث عن شىء جديد يشغل وقته، ويأخذه من التفكير القاتل فى العزيز الراحل.. فكانت السينما التى أحبها عن طريق صديقه «كمال سليم» وشقيقه «محمود ذوالفقار» الذى كان قد سبقه إلى عالمها كاتباً للسيناريو، ثم ممثلاً ومخرجاً فيما بعد.

وسرعان ما تحولت السينما من مجرد هواية، ومخدر ينسيه آلام الفراق وقسوة الأيام، إلى عشق حقيقى ذاب فيه وأعطاه كل حياته، ومن أجله ترك الجيش، وقدم استقالته وهو برتبة «يوزباشى»، يوم كانت البدلة العسكرية أملاً للشباب، ومنصباً يعمل له ألف حساب.

وازداد الروماتيزم على «عز» بسبب الواجب الوطنى أيضاً، تحكى أرملته: «عندما حدث العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦، صدر

تكليف لـ «عز» بأن يسافر إلى الجبهة لتصوير العدوان لصالح هيئة الاستعلامات، حتى تستخدم المشاهد فى الدعاية السياسية، ولتقدم للعالم صوراً حية للاعتداء الغاشم، وللشعب نماذج للبطولة والبسالة.. وسافر «عز» مصطحباً المصور القدير الحاج «وحيد فريد» وكاميرته الفريدة.. واستطاعا إنجاز المهمة على أكمل وجه، واستغل «عز» تلك المشاهد فيما بعد عندما أصدر عبدالناصر توجيهاته بتخليد المعركة فى فيلم سينمائى، فكان «بورسعيد».

«تقول موسوعة السينما إن الفيلم كتب له القصة والسيناريو وأخرجه وشارك فى تمثيله «عزالدين ذوالفقار»، وكتب حواره على الزرقانى، وشارك فى بطولته: فريد شوقى، هدى سلطان، ليلى فوزى، وشكرى سرحان. وكان عرضه الأول بسينما «ريفولى» فى ٨ يوليو عام ١٩٥٧».

ومازال كلام «كوثر شفيق» متصلاً: «فى مقابل هذه المهمة، اشتد الروماتيزم على «عز»، بسبب المجهود الذى بذله، إذ كان عليه أن يركب قطار الصحافة الخالى من أية رفاهية ويغطس فى بحيرة المنزلة لساعات طويلة عارياً، حتى يصل إلى جبهة القتال، ويصور المعارك على الطبيعة، ويسجل بطولات الشعب، ومقاومته الباسلة من بيت إلى بيت».

وسافر «عز» إلى العلاج فى لندن، وعاد لينشغل فى عمله، مقاوماً الأوجاع بالغرق فى مشروعاته الجديدة، وأحلامه التى لا تنتهى، حتى بعد أن تضاعفت الآلام، وازدادت الأمراض، ولم يعد الروماتيزم هو عدوه الوحيد، بل أضيف إليه متاعب الكلى، والقلب والمعدة.

وعندما مات «عز»، وهو ابن «٤٤ عاماً»، كتب صديقه الساخر جليل البندارى يلخص تجربته مع الألم فى تلك العبارات المكثفة الجامعة المانعة: «لقد هاجمت الأمراض والعلل «عزالدين ذوالفقار»، هاجمه الروماتيزم منذ أكثر من خمسة عشر عاماً واحتل قطعة من عظامه، ثم أخذ ينتقل من مكان إلى مكان، ويتوسع فى احتلال جسده كالاستعمار تماماً، ولكن «عز» لم يعبأ به. وهددته الذبحة الصدرية بالموت أكثر من مرة، ولكنه لم يعبأ بها. وهدده ضيق التنفس بالاختناق عدة مرات فلم يعبأ به، ثم داهمته القرحة فى المعدة فاهتز لها كيانه كله. كان يعلم أن القرحة هى التى ستعجل بنهايته أيضاً «أخبار اليوم ١٩٦٣/٧/٦».

ولكن المفاجأة التى تفجرها زوجته بعد ٣٩ عاماً من رحيله أن «عز» لم تقتله القرحة، ولم تؤد به الذبحة الصدرية، ولم يعجل الروماتيزم بنهايته، إنما الذى تكفل بالمهمة هو فيلمه الأخير

«موعد فى البرج».. توضح «كوثر»: «كان «عز» ضعيفاً أمام شقيقه «صلاح»، يحبه ولا يرفض له طلباً، ولما عرض عليه «صلاح» أن يتولى إخراج فيلمه «موعد فى البرج» وافق «عز»، برغم أنه لم يكن راضياً عن السيناريو، ويرى أن به ثغرات تحتاج إلى جهد لإصلاحها وعلاجها. ووقتها كان «عز» مريضاً لا يغادر فراشه، وأخذ «صلاح» يلح فى بدء التصوير، ونزل «عز» إلى البلاتوه، وشرع فى تصوير المشاهد الأولى، ولكن صحته خانته فعاد إلى سريره، وكلف مساعده «عبدالله بركات» باستكمال التصوير، بعد أن قدم له «عز» تصوره الكامل لإخراجه «الأماكن، الحركة، والتقطيع..» ورضى «عز» أن يوضع اسمه على أفيشات الفيلم، برغم أنه ليس مخرجه الحقيقى، ولم يعطه من روحه المميزة، التى تسرى فى كل أعماله، وتحسها فى كل مشهد من مشاهده.

ولما شاهدت الفيلم واجهته بالحقيقة، وقلت له: إن الفيلم فاشل، وأقل كثيراً من أفلامك، إن لم يكن أقلها، ومن ناحية أخرى كان يسمع عن إيرادات الفيلم فيصاب بالهم والغم.. ليست هذه إيرادات فيلم يحمل اسم «عزالدين ذوالفقار».

وأعتقد أن المرض تمكن من جسده بسبب هذا الفيلم، كان فى استطاعة «عز» أن يهزم المرض، ويتحدى الألم، ولكن لم يكن

فى استطاعته أن يتحمل الفشل وفى هذه المرحلة بالذات، وهو الذى عاش عمره صديقاً للنجاح والتفوق.

الفصل الثالث

صائد الجميلات

أخرج «عزالذين ذوالفقار» للسينما ٣٣ فيلماً، وخرجت عنه ٣٣ شائعة.. ففى كل فيلم يدخل لتصويره تتناثر الأخبار والهمسات بأن المخرج الوسيم وقع فى غرام بطلته الجديدة الجميلة طبعاً، وأنه لا يطيق فراقها، وأن نهاية سعيدة تنتظر القصة، كما ينتظر الجمهور النهاية السعيدة فى أفلامه.

«عز» يحب «صباح» وسيتزوجان قريباً..

هكذات خرجت الشائعات أثناء تصوير «شارع الحب» عام «١٩٥٨»، ومع كل يوم تصوير كانت الشائعة تكبر، ويزداد وهجها، وتتعدد تفاصيلها إلى الدرجة التى جعلت إحدى المجلات تنسج منها قصة درامية، وتحول الشائعة إلى حقيقة وتقدم الأدلة:

«لأن صباح تركت سيارتها الخاصة لـ «عزالدين» عند سفرها إلى بيروت، وأن «عز» ترك بيت الزوجية ـ وكان متزوجاً وقتها من «كوثر شفيق» – وأصبح يعيش الآن مع والدته، وأن زوجته قالت لصديقاتها إن «عز» قال لها إن الحياة الزوجية

بينهما أصبحت مستحيلة، وأنه شكرها على الفترة التى قضياها معاً فى بيت الزوجية، وأبدى استعداده لأن يقدم لها كل الضمانات التى تكفل لها حياة هادئة بعد الطلاق».

وتمضى المجلة فى السرد وكأنها تتكلم عن حقائق ووقائع: «وصباح تستنكر هذه الشائعة وتقول إن مروجيها يحلو لهم ترويج شائعات كاذبة عنها، وأن كل ما بينها وبين «عز» لا يخرج عن علاقة زميلين فى وسط واحد، ولكن فنانة شهيرة تؤكد أن الزواج واقع لا محالة وأن «عز» سألها شخصياً عن «صباح» وهل يتزوجها أم لا؟»

وانتهى تصوير الفيلم، وماتت الشائعة، ذهب «عز» إلى بيته، وذهبت «صباح» تبحث عن فيلم جديد ومخرج جديد.

«عز» يحب «سامية جمال»، والزواج واقع لا محالة... هكذا عادت الشائعات تنمو من جديد و«عز» منهمك فى تصوير «الرجل الثانى» عام «١٩٥٩». وترعرعت الشائعة حتى إن صحفياً فى وزن «جليل البندارى» صدقها وذهب إلى بطلة الفيلم «سامية جمال» ليسألها عن حقيقة الزواج المنتظر.. ولماذا لا يصدق و«سامية» خارجة من خطوبة فاشلة مع الملحن الشاب «بليغ حمدى»، و«عز» متخانق مع زوجته وترك لها البيت.

ولم تنكر «سامية» أن «عز» أحبها من زمن طويل، وأنه عرض عليها الزواج قبل ذلك في سنة ١٩٤١، ولم يتم شيء «لأن مفيش قسمة، وهي الآن لا يمكن أن تخطفه من بيته، وتأخذه من زوجة أخرى، لتبني سعادتها على تعاسة زميلة لها».

وسألها «البنداري» وكأنه يستجوبها في محضر بوليس:

– ولكنه طلق زوجته «كوثر شفيق» بناءً على اتفاق سابق بينكما؟

– هذه شائعة.

–ربما كانت حقيقة وأنت التي ترددت في آخر دقيقة؟

– وما الذي يمنعني من الكلام إذن؟

–لأنك علمت أن هناك محاولات للصلح بينه وبين زوجته؟

– الحقيقة أنا أكره الزواج، ولا أفكر فيه إطلاقاً!

– لماذا؟

– علشان ما ليش بخت مع الرجالة!

– وما هو عيبك بالنسبة للرجال؟

– عيبي الوحيد إني مخلصة أكثر من اللازم.. لما أحب راجل أتفاني في حبه.

- إلى أية درجة؟

- إلى درجة العبادة.

- وبعد ذلك؟

– وبعد ذلك يتبين لى أنه رجل أنانى أو مستغل أو غيور لدرجة «الحماقة».

ثم قالت:

– وفيه رجالة تحب الضرب أو الشتيمة، وأنا أحب أن أتبادل الاحترام مع الرجل الذى أحبه.

ولكن «سامية» لفت ودارت ولم تبح بالسبب الحقيقى لهروبها من حب «عز»، وهو قصة حب صامتة كانت تعيشها مع بطل الفيلم «رشدى أباظة».

وانتهى تصوير «الرجل الثانى»، وراح «عز» يبحث عن بطلة جديدة وفيلم جديد وشائعة جديدة.. وذهبت «سامية» للزواج من بطل الفيلم «رشدى أباظة».

وقبلهما وفى «رد قلبى» عام «١٩٥٧»، انطلقت الهمسات وانتشرت الشائعات عن علاقة حب بين مخرجه وبطلته الجميلة «مريم فخر الدين».. وخرجت التأكيدات بأن «عز» سيتزوج

الأميرة «إنجى».. وخرست الشائعة بأن اكتشف مروجوها أن الأميرة تزوجت من «محمود ذوالفقار».

وكما خرست شائعة «مريم» بزواجها، خرست قبلها شائعة «سميرة أحمد» ـ بطلة فيلمه «أغلى من عينيه» عام «١٩٥٤» – بزواجها من السيناريست «وجيه نجيب» والد ابنتها الوحيدة «جليلة».

ولم يسلم «عز» من الشائعات حتى وهو على فراش المرض يحلم بإخراج فيلمه الجديد «الناصر صلاح الدين»، فقد انتشرت الهمسات تردد أن المخرج الوسيم يحب الوجه الجديد الصاعد بسرعة الصاروخ «نادية لطفى»، وخاصة بعد أن رشحها لدور رئيسى فى «الناصر».

وسألوه عن سر اهتمامه بـ «نادية»، وكان السؤال يحمل إشارات يعرف مغزاها جيداً.. فلم ينكر اهتمامه بها.. وأضاف: «هذا صحيح، إننى أهتم بكل موهبة يمكن أن تتفوق، وليست «نادية لطفى» وحدها هى التى تحظى باهتمامى، فهناك «سعاد حسنى» و«مها صبرى» و«زيزى البدراوى»، كلهن مواهب تبشر بالخير.. ولقد رشحت «نادية لطفى» لأحد الأدوار الثلاثة الرئيسية فى فيلم «الناصر صلاح الدين»، بعد أن رأيتها فى فيلم «حب إلى

الأبد»، وأعجبت بها، ولمست عمق أدائها التمثيلي، وتحققت من أن عندها موهبة فنية ضخمة تحتاج المخرج الذي يعرف كيف يوجهها توجيهاً فنياً سليماً».

ولم يكن «عز» في حاجة إلى نفي أو إنكار.. و«نادية» كذلك.. فلقد ماتت الشائعة في مهدها، بعد أن عرف الجميع أن النجمة الصاعدة تزوجت من القبطان البحري «عادل البشاري»، الذي أنجبت منه ابنها الوحيد «أحمد».

وهكذا في كل فيلم شائعة، إما أن تموت بنهاية الفيلم أو تتحول إلى أزمة.. ربما أشهرها ما حدث له في «الشموع السوداء»، إذ تسببت الشائعات التي ربطته ببطلة الفيلم «نجاة» في طلاقه مرتين من زوجته «كوثر شفيق».. فطوال مدة تصوير الفيلم ولا حديث للصحافة الفنية إلا عن قصة الحب الملتهبة بين «عز» و«نجاة»، والتي توشك أن تكلل بالزواج، وكان طبيعياً أن تشعر الزوجة بنار الغيرة، وتثور لكرامتها.. حتى يعود الزوج إلى رشده فتعود إلى بيته.

والمفاجأة التي تفجرها «كوثر شفيق» هنا أنها هي التي رشحت «نجاة» لبطولة «الشموع السوداء»، يومها كانت أغنية «لا تكذبي» على كل لسان، وجعلت من «نجاة» نجمة يتردد اسمها في

كل مكان، ويومـها جـاءت «نجـاة» لتسكن الطابق الخـامس فى العـمارة نفسـها التى يسكنهـا «عز» و«كوثر» فـى «١٧ شـارع البرازيل بالزمالك».. وفى العمارة نفسها يسكن «محمود المليجى» وزوجته «علوية جميلة» فى الطابق الثانى الذى يعلو «عز» مباشرة.

وكان لابد من سلامات وتحيات ترحيباً بالساكنة الجديدة، بدأت بتليفونات وبوكيه ورد، ثم نزلت «نجاة» ـ التى كانت قد انفصلت قبل أسابيع عن زوجها المهندس «كمال منسى»، والد ابنها «وليد» ـ لتزور جارها الجديد.. المريض.. وتوطدت الصداقة.. كان ذلك فى مطلع عام ١٩٦١، وكان «عز» يحضر لفيلم جديد أو بالأحرى معالجة جديدة عصرية لفيلمه الأول «أسير الظلام» الذى كان قد عرض عام ١٩٤٦.

وأحست «كوثر» أن زوجها حائر فى اختيار أبطال فيلمه، فهمست له ذات مرة: لماذا لا تكون «نجاة» هى بطولة «الشموع السوداء»؟

وأدار «عز» الاختيار فى رأسه التى صقلت السنين خبراتها، «نجاة»؟! ولم لا؟! صحيح أن تجاربها السابقة مع السينما فاشلة ـ قدمت قبل ذلك فيلمى «بنت البلد» عام ١٩٥٤ مع «إسماعيل ياسين» و«كيتى» والمخرج «حسن الصيفى».. و«غريبة» عام ١٩٥٨ مع «عماد حمدى» والمخرج «أحمد بدرخان» -..

ولكن الذنب لم يكن ذنبها، لأنها لم تجد المخرج الذى يفهم مفاتيحها ويخرج مواهبها التمثيلية الكامنة، ووافق «عز» على الترشيح، بل فكر فى استغلال نجاح الأغنية سينمائياً واشتراها من «عبدالوهاب»، برغم أن الأخير غالى فى ثمنها وطلب ألفى جنيه لتغنيها «نجاة» فى الفيلم.. ودفعها «عز».

وهو المعنى نفسه الذى قصدته «نجاة الصغيرة» ضمن معانى أخرى متعددة وهى تحكى بنفسها عن قصة لقائها مع «عز» فى «الشموع السوداء»، وملابسات ترشيحها للدور، وكيف أقنعها «عز» بدهاء بأن تصالح السينما، بعد الجفوة التى حدثت بينهما.

تحكى «نجاة» وننقل عنها بنص كلماتها: «ماعرفتش أنام إمبارح، طول الليل سهرانة بافكر.. فيه فكرة كبيرة شاغلانى الأيام دى، وبافكر فيها ليل ونهار.. فكرة قرار جديد فى حياتى.. قرار جديد بالغى فيه قرار قديم سبق وأن اتخذته من ٤ سنين، وألزمت نفسى بتنفيذه لغاية النهاردة.. القرار ده كان أنى أقطع كل علاقاتى بالسينما، وعدم العمل فيها ـ كممثلة ـ على الإطلاق.. بعد ما فشلوا الفيلمين اللى مثلتهم وما قابلوش إعجاب الجمهور.. صحيح الجمهور كان عنده حق، لأنى أنا نفسى بعدما شفت الفيلمين ـ «بنت البلد» و«غريبة» – شعرت بأنى أخطأت فى

حق نفسي لما قبلت أني أمثلهم.. أدوار مش مرسومة بعناية.. ومش مرسومة علشان أمثلها أنا بالذات.. شخصية الدور نفسها مكانتش بتاعتي أبداً.. وكانت النتيجة أن الأفلام دي لازم تسقط.. وسقطت.

ومن بعدها قررت أني أبعد عن السينما خالص، ولا أفكرش فيها أبداً بعد كده.. والقرار ده كان زي ما قلت من ٤ سنين، وطول الأربع سنين دول المنتجين مابطلوش إلحاح عليّ علشان أرجع للسينما.. وكنت باستمرار بارفض.. الأيام اللي فاتت حصلت لي حاجة غريبة خالص.. أنا ساكنة في نفس العمارة اللي ساكن فيها المخرج «عزالدين ذوالفقار».. وبحكم مرض «عزالدين» في الفترة الأخيرة كنت بازوره كتير.. كان مكار قوي «عز». ماعرضش عليّ عرض مباشر، لكن قعد يحكي قدامي قصة فيلمه الجديد اللي هيخرجه.. حكى لي دور بطولة الفيلم بطريقة حسيت بها أن الدور بتاعها مرسوم لي أنا مخصوص، ومتفصل عليّ أنا بالذات.

كان «عزالدين» بيلاحظ انفعالي بالدور، وهو مكار زي ما قلت.. سكت عليّ لغاية ما تمنيت في نفسي لو أني أمثل الدور ده.. وفي حموتها عرضه عليّ.. ولم أتردد ثانية.. وافقت على طول.

ده تفكيرى اللى بيخلينى ما أعرفش أنام الأيام دى.. أنا قلقانة باستمرار من فكرة رجوعى للتمثيل فى السينما، وكل اللى باتمناه أنى المرة دى أقدر أحقق النجاح اللى ما قدروش الفيلمين الأولانيين بتوعى يحققوه».

وكلمات نجاة ضمن باب كان يحمل اسم «صفحات من مذكرات فنان» بمجلة «الكواكب»، ومنشورة فى فترة التحضير للفيلم «الشهور الأخيرة من عام ١٩٦١»، وبعد موافقة «نجاة» رسمياً على بطولته، إحساساً منها أنه سيغسل فشلها القديم فى السينما.

أما اختيار «صالح سليم» للبطولة فله قصة ترويها «كوثر شفيق»: «كان المرشح الأول للبطولة هو «عمر الشريف» الذى أعجب بالسيناريو، ووافق مبدئياً خاصة بعد نجاح فيلمه الأول مع عز «نهر الحب»، ثم عاد «عمر» واعتذر بعد أن رشحه «ديفيد لين» لبطولة فيلم «لورانس العرب» مع «بيتر أوتول»، وكان عليه أن يسافر إلى أمريكا ليلحق بهذه الفرصة الذهبية.. وكما أحس «عز» أن فى «نجاة» موهبة تمثيلية تحتاج لمن يفجرها، شعر بنفس الإحساس تجاه صديقه «صالح سليم».. كان «صالح» يومها أشهر لاعب فى مصر.. و«عز» كان أهلاوياً صميماً وأجمل أوقاته تلك التى يقضيها فى حديقة النادى الأهلى بصحبه «فكرى

أباظة» والفريق «مرتجى».. ومثل «نجاة» كان لـ «صالح» تجربة سينمائية لم تصادف نجاحاً فى «السبع بنات» عام ١٩٦١ مع «عاطف سالم»، ثم فى «الباب المفتوح» عام ١٩٦٣ مع «بركات»، وبعد إحدى جلساته فى حديقة النادى الأهلى قفز اسم «صالح سليم» إلى ذهنه بطلاً لفيلمه الجديد.

وبدأ تصوير الفيلم وبدأت الشائعات.. زوجها يحب بطلة فيلمه الجديد.. جملة سمعتها «كوثر» كثيراً واعتادتها فى أفلامه السابقة.. واعتادت أن تقابلها بالابتسام وتلوذ بالصمت، فهى أكثر من يعرف «عز».. إنه يرتبط ببطلة فيلمه دائماً.. إنه ليس حباً، بل حالة أقرب إلى الصدق الفنى، كما فسرتها «مديحة يسرى» بعد أن جربتها فى «إنى راحلة» عام «١٩٥٤»، أو لأن «عز» كان بداخله ممثل لم ينجح فى التعبير عن نفسه أمام الكاميرا، ومن ثم كان هذا الممثل قادراً على أن يوحى للممثل أو الممثلة وهو يقف خلف الكاميرا بالحركة والإحساس، ومن فرط حالة الصدق التى كان يعيشها ربما كان يدخل أيضاً فى قصة حب ويعيش دور البطل ويقع فى غرام البطلة.. وبعد أن ينتهى من تصوير الفيلم ويبدأ فى معايشة فيلم جديد يتقمص دوراً آخر ويعيش قصة حب أخرى مع بطلة جديدة.. فلم تكن مشاعر «عز» حباً بقدر ما كانت معايشة فنية كما فسرها الناقد السينمائى

«طارق الشناوى» وهو يكتب عن «عز» عند تكريمه فى مهرجان القاهرة السينمائى عام «١٩٩٨».

إنها حساسية الفنان الحقيقى المفرطة التى كتب عنها صديقه «إحسان عبدالقدوس» يسخر منها ومنه ذات مرة:

«منذ عشرين عاماً، منذ كنا طلبة فى مدرسة «فؤاد الأول الثانوية» نستذكر دروسنا معاً، وأنا أرى دموعه، أنه إنسان حساس، وعندما تتجمع أحاسيسه ولا تجد مخرجاً لها.. تنبثق دموعاً، ويبكى «عز».. مالك يا «عز»؟ بحب.. وأبدأ فى علاج نوبة الحب التى أصابته، ثم أعود إليه بعد أسابيع لأجده يبكى.. مالك يا «عز»؟ ما بحبش.. وأكفكف له دموعه، وأجلس معه فى انتظار حب جديد.. ويبكى «عز».. مالك؟ متخانق مع «كوثر»!

ثم يبكى «عز».. مالك؟! متصالح مع «كوثر»، وأعطيه منديلى ليجفف دموع الفنان، وينظر فى المنديل ويشتد فى بكائه.. أهئ.. أهئ.. أهئ.. إيه اللى حصل يا «عز»؟! ماتخبيش علىّ.. حتى إنت بتخبى علىّ.. مفيش صداقة.. مفيش أخوة.. ماتنكرش، أنا عرفت كل حاجة من المنديل.. عرفت إيه يا «عز»؟ عرفت أنك مزكوم.. ويستمر فى البكاء».

ولأنها تعرف طباعه كانت تسامحه دائماً.. إنه طفلها الذى يذهب ليلهو ثم يعود إلى أمه، تبتسم «كوثر» وهى تحكى:

«كنت أعرف أنه سهران فى سهرات مليئة بالجميلات.. وعندما يعود فى ساعة متأخرة من الليل أستيقظ لأساعده فى خلع ملابسه، فأكتشف أن خصلات شعر نسائية تقف على كتف البالطو كدليل إدانة قاطع، ولما أسأله: شعر مين ده؟ يجيبنى وبراءة الأطفال فى عينيه: اسكتى.. كان معايا حتة واحدة لابسة فرير جديد وأصرت تسلم علىّ وتحضنى، ويضغط على كلماته وكأنه يغيظنى، وبعد أيام أتأكد أن كلامه مضبوط، فيعود ليغيظنى من جديد: بس لازم تعرفى إنى أقول نصف الحقيقة فقط، فأبتسم وأسامحه».

ولكن فى «الشموع السوداء»، لم تبتسم «كوثر» ولم تسامحه، بل طلبت الطلاق، وفى الانفصال الأول نجح «صلاح ذوالفقار» وزوجته «بيسة» أن يقوما بدور حمامة السلام، وعادت «كوثر» إلى عصمة «عز»، وفى المرة الثانية كان الذى نجح فى الدور هو «فريد الأطرش».

فى الخناقة الأولى انتقل «عز» ليعيش فى فندق «لونسان» التى كانت تملكه الفنانة «أمينة نورالدين»، وترك لها بيت الزوجية، وفى الثانية استأجر شقة تملكها الفنانة «زبيدة ثروت» فى العمارة نفسها التى يسكنها «كمال الشناوى»، وفى إحدى شققها تزوج «شكرى سرحان» من الراقصة القديمة «هيرمين»، وبعد زواج

«زبيدة» تركت الشقة، وانتقلت إلى شقة زوجها المنتج «صبحى فرحات» بعمارة «أبوالفتوح» المطلة على النيل.

حالة «كوثر» النفسية جعلها تنضم إلى شلة «فريد الأطرش»، تحضر سهراتها علها تنسى، وفى إحدى السهرات وجدت «فريد» يهمس فى أذنها: «عز» تعبان قوى وعايز يشوفك.

نسيت «كوثر» الخلافات، وعادت إلى الرجل الذى تحبه مهما تشوف منه، وكان المرض قد بدأ يتمكن من جسده، وعاشت الفترة الباقية ترعاه، وتسهر على راحته، بعد أن أنجبت له ابنتها الوحيدة «دينا»، ولم يمض سوى شهور حتى مات «شرشر».

كان «عز» صادقاً مع نفسه عندما تزوج المرأتين فقط اللتين أحبهما بالفعل، حباً خالصاً وليس من قبيل الصدق الفنى كما كان يفعل مع بطلات أفلامه.

أما «فاتن» فقد تزوجها عام ١٩٤٨، بعد قصة حب جارفة بدأت مع ثانى عمل سينمائى يجمعهما فى فيلم «خلود» الفيلم الوحيد الذى شارك «عز» فى تمثيله إلى جانب إخراجه «كان أول لقاء بينهما فى أبوزيد الهلالى عام ١٩٤٦ .

عاش معها «عز» ٦ سنوات أنجب منها ابنته «نادية»، وقدم لها خلالها مجموعة من أجمل أفلامها «موعد مع الحياة»، و«موعد مع السعادة».

كان يقول عنها إن جمال شخصيتها أقوى من جمالها المحسوس، وأنها لو وضعت وسط مجموعة من ملكات الجمال فى العالم، فستجذب الاهتمام وتخطف منهن الأضواء، لطغيان شخصيتها عليهن جميعاً.

أما «فاتن» الفنانة، فهى عنده الأروع والأبقى والأجمل والأكثرتأثيراً، كان يصفها بأنها المعجزة الفنية الثالثة فى القرن العشرين مع «أم كلثوم» و«عبدالوهاب».. وكان له فيها رأى يغضب كل النجمات، ومع ذلك لا يتردد فى أن يذيعه ويكرره ويعلنه بكل صراحة.. يقول: «إن «فاتن» تتصدر قائمة الممثلات، هى الممثلة الأولى فى مصر، ثم إن خانات القائمة تظل فارغة لا تجد من ينافسها، حتى تصل إلى الرقم «١١»، عندها يمكنك أن تضف إلى القائمة أسماء أخرى».

وبرغم هذا العشق وهذا التقدير، فإن الطلاق وقع بينهما، وفى أوراق «عز» تفسير ممتع صادق وصادم أيضاً لعلاقته بـ «فاتن» وأسباب انفصاله عنها زوجياً.. يقول:

«نعم لم أكن الزوج الذى يصلح لـ «فاتن حمامة»، لم يكن هناك أدنى توافق بين طبيعتنا ومزاجينا، هى أنثى رقيقة تحب الكلمة الناعمة وتعشق الأصول والإتيكيت والبروتوكول، وأنا رجل

«اللاوى» أموت فى الجلبية المبحبحة وأجلس على الأرض وأضع ساقاً على ساق والحذاء فى وجه صاحب النصيب.

ويضف «عز»: «كنت معجباً بها، وتصورت ذلك الإعجاب حباً، كانت ومازالت وستظل دائماً فنانة ممتازة، وأعجبنى فيها إحساسها بقدرتها كفنانة فريدة لا صنو لها، وكانت تعجب بى، والإعجاب المتبادل درجة من الحب مهما حاولت أن تجد له تسمية أخرى.

ومازال «عز» يكتب عن «فاتن»:

«تزوجنا فى مغامرة، كنا نعمل فى فيلم «خلود» وتلقت «فاتن» أمراً مكتوباً بالذهاب إلى الاستوديو، ولما التقينا ذهبنا إلى فيللا «فؤاد الجزايرلى» بجوار ستوديو «الأهرام»، وعقدنا القران، وكان شهود العقد «أنيس حامد» و«جليل البندارى» و«حسن فهمى» وهو ضابط صديق. وكان السبب فى السرية أن أهلها اعترضوا على الزواج، ومضت بنا أيام هانئة، ثم حدث ما لابد أن يحدث بين كل فنان وفنانة، أخرج فيلماً لفنانة أخرى فتفسر العناية بالعمل على أنها عناية بالبطلة.. وأفهمها وتعترض وأقنعها فلا تقنع، وأبحث عن الحب الذى كنت أريده فلا أجد، ثم انتهينا إلى قرار الطلاق، وكان قراراً سليماً، لم تطلق بعده رصاصة واحدة على سمعة أى طرف من الطرف الآخر.

ذهب ما توهمته حباً وبقى بينى وبين «فاتن» الشىء الخالد: الصداقة».

لم يقل عز الحقيقة كلها، وهرب من السبب الحقيقى الذى يعرفه كل الناس، وابتعد عن المنطقة الحساسة فى مسألة انفصاله عن «فاتن حمامة»، وهى المنطقة التى كان الكاتب الراحل إبراهيم الوردانى هو أجرأ من اقترب منها فى مقال شهير نشره وقتها فى مجلة «الموعد»، حكى فيه قصة الحب الملتهبة التى عاشتها «فاتن حمامة» - وهى مازالت زوجة لـ «عز» - مع النجم الصاعد حينها «عمر الشريف»، وتسببت فى طلاقها من «عز»، لتذهب إلى عصمة أول رجل أحبته بصدق.. وعنف.

كتب «إبراهيم الوردانى» يقول:

«هل كان «عمر الشريف» يحب «فاتن حمامة» حقاً؟! وهل هو صادق حين قال لمحرر المجلة الفنية إنه يحبها فى صمت منذ سنوات؟ وأن الحب بلغ الذروة معه حين حوصر من الناس والهمسات والشائعات والإشارات.. هل هو صادق حقاً فى هذا الاعتراف، أم أنه بإعلان إسلامه وزواجه كان يجهز بارعاً لقفزته الكبرى من فوق أكتاف «فاتن» عبقرية مصر، ليطل على امبراطورية الفن الكبرى وسط جماهير العالم.

لقد وصفت لك «عمر» من قبل، فقلت إنه كان شاباً طموحاً يبحث أو يشتهى مستقبل له فى غير مصر.. وأبداً أبداً لم يخطر على باله أن يركز طموحه فى حكاية السينما المصرية، إلا مع لفتة صديقه المهووس «يوسف شاهين».. يعنى السينما جاءت مجرد صدفة، فإن ثقافته، وتركيبه الشخصى كان يحتم عليه أن يكون متعالياً نافراً عن تأسيس مستقبله فى مصر، وأن يكون ممثلاً أو فناناً.

إن والده تاجر ورق شهير، وسفرياته إلى أوروبا كثيرة، وأخته هناك في إسبانيا، والحياة الشخصية له أجنبية تماماً، وليست فيها أية ظلال أو أمانى قومية.. أبداً البتة.. وخطواته الأولى نحو السينما شده إليها «يوسف» فوافق لمجرد المغامرة الظريفة.. ولكنه أبداً لم يتصور أن يجعلها محطة المستقبل له.. ولكنه عندما اندمج، ورأى الهالة التى تحيط بالنجوم، وخصوصاً «فاتن»، ورأى أرقام الشيكات المثيرة التى تصرفها بنسبة كل يوم قسط.. ثم رأى جنون «يوسف شاهين» بها وتعلقه الأهوج المخبول من ورائها.. ثم رأى هذا التداعى المحموم من «فاتن»، كل صباح تخرج من بيت زوجها «عزالدين ذوالفقار» وعلى وجهها مسحة من لوعة وألم وحرمان وحيرة.. بدأ يفكر فى اقتناصها كلقطة شهية.

إن صوته منغم جذاب، وهو مغازل ذرب ماهر شديد

الخبث والنعومة.. ثم له طلقات عينين يسددهما إلى قلب أية فتاة فيخفق هذا القلب، وهكذا لمجرد النزوة الشخصية، أو الغرور النفسى قرر أن يصطاد «فاتن»، وخصوصاً بعد أن رأى سهولة إيقاعها فى حبه.

وبدأ يرسم خطته، بأن يكون تلميذاً ناعماً شديد الطاعة، يتعلم من الإمبراطورة الفنية: الحركة، النطق، والأداء.. وصدقته «فاتن»، فتحمست لكى تتبناه فنياً، وأخذت تهتم بدوره أكثر مما تهتم بدورها.. كل هذا و«....» اللطيف «يوسف شاهين» يهتف حماساً لكرم «فاتن» وطاعة «عمر» واندماجه، لكى يخرج فيلمه «صراع فى الوادى» غازياً ناجحاً، واستعمل «عمر» أيضاً خطة أخرى.. رسم نفسه - فى الخلوات ما بين التصوير - أمام «فاتن» كشاب حائر وحيد فى هذه المدينة الهائلة.. إنه لا يحس بالعطف والحب من أحد.. إنه لا يجد أحداً يحنو على أحلامه الشابة، وأفكاره الصاعدة، وشاعريته المرهفة، وراح يسترسل بهذا الطنين العذب فى أذن «فاتن»، حتى استهواها أن تتبناه اجتماعياً أيضاً بعد أن تبنته فنياً.. وهكذا بدأ المنزلق.. تحركت عواطف «فاتن» نحو هوة حياتها.

وبدأت «فاتن» تتسرب من رقابة «يوسف شاهين» ومعها «عمر».. ليكتشفا لنفسيهما خلوات خاصة، يتبادلان فيها الهمس العذبْ والطنين الحالم.. أبداً لا اعتراف ولا وجود بعد لهذا

المخيف الذى اسمه الحب.. مجرد زمالة وصداقة بين اثنين جمعتهما الصدفة فى العمل والأمل.. وشكا لها، وشكت له.. وهكذا تسرب الحب إلى قلب «فاتن» أولاً، فاستهولت أن تقع فيه، وقررت أن تختصر جنونها بهذا التبنى الفنى والاجتماعى والعاطفي، ولكن «يوسف شاهين» كان حاضراً، وأهم شيء لديه لقطات الحب فى الفيلم بين البطل والبطلة، فراح يستحث «عمر» ألا يفارق «فاتن» لحظة، ويستحث «فاتن» أن تخلق من البطل الذى أمامها فتى أول ينفع السوق فى بطولات الأفلام المقبلة.. ثم أوعز للشلة - شلة أولاد جامعة فيكتوريا من ذوى الدم العربى الأزرق - أن يعزموا «فاتن» على سهرة عيد ميلاد واحد منهم.

وكانت فاتن قد حضرت لقاءات تلك الشلة أكثر من مرة، وفتنت بأسلوبهم الشهى فى المرح، والسهر، والانطلاق الشبابى البهيج.. سهرات بريئة عنيفة منطلقة، ليس فيها أكثر من مرح شباب، لا تقاليد شرقية، ولا تزمت ريفى، ولا عُقد رجعية.

وحضرت «فاتن» هذا «البارتى»..

وسعدت جداً بمرح الأولاد.. اسطوانات الموسيقى رائعة، وما أشهى الرقص عليها، ثم «البريدج» ما أحلاه، ثم شفطة ويسكى خفيفة، ثم جلس «يوسف شاهين» تحت قدمى «فاتن» فى

حالة هلوسة فنية، ليعلن للجيع أنهم سوف يتكلمون بعض الوقت في مشاهد الغد التى تصور فى الاستوديو.. وكانت لقطات الغد فيها مشهداً غرامياً شديد السخونة فى حواره بين الولد الصعيدى الشامخ البنيان، وبين البنت الأسوانية الحارة.

واقترح «يوسف» عمل بروفة للمشهد فوراً.. وتحمست «فاتن»، ووقف «عمر»، وبدأ الحوار العاطفى الساخن يضع شيئاً يشبه الاشتعال فى القلوب، وحسب المشهد يقع «عمر» فتتلقفه «فاتن» بين ذراعيها، يتبادلان نظرات الحب، ثم يدور الحوار، وتلقفت «فاتن» «عمر» أكثر من مرة كبروفة للغد.. كل هذا وهى تشعر بأقصى السعادة فى السهرة، ثم فجأة، و«عمر» بين ذراعيها، أفلتته هيناً، لتقول فى نشوة طارئة وكأنها سكرى من شيء آخر غير شفطة الويسكي:

ما رأيكم يا أولاد فى قنبلة سوف ينجح معها هذا الفيلم ويكل الفيلم؟!

ـ ماذا.. ماذا.. قولى لنا يا «فاتن»؟

ـ أضف يا «يوسف» إلى هذا المشهد «قُبلة».. نعم.. سوف أُقبل البطل الجديد فى الفيلم.. أه.. ما رأيكم؟ أول قُبلة على الشاشةلـ «فاتن حمامة»!

رأيهم؟! لقد ركع «يوسف شاهين» أمامها.. أما «عمر» فقد اضطرب فجأة، واحمر وجهه، وأحس بالحرج لدرجة أنه صنع أو اصطنع حركة.. إنه أسرع متوارياً من الحجرة، وكأنه يخاف أن يفضح مشاعره المكبوتة.. حركة لم تلحظها إلا «فاتن»، وهو كان يقصد هذا بالذات.. ولعله هنا وقعت تلك اللحظات التاريخية المثيرة التى قررت مستقبل فاتن العاطفى.. نعم لقد ولد حبها فجأة لـ «عمر»، ضخماً عارماً هائلاً جباراً طائشاً.

هذا الذى أرويه ـ والكلام مازال لـ «الوردانى» ـ وفيه القليل القليل من رتوش الكاتب، رواه لى بالنص واحد من أفراد تلك الأسرة.. ولن أذكر اسمه.

وظهر الفيلم، وكانت «القُبلة» قنبلة حقاً.. وبعدها بشهور طُلقت من «عزالدين» لتتزوج «عمر».

انتهى كلام أو رواية «الوردانى»، والتى حكى فيها ـ من وجهة نظره ـ تفاصيل قصة الحب التى نمت وشبت عن الطوق بين الفنانة الكبيرة والنجم الصاعد، وكانت السبب الرئيسى والحقيقى فى طلاقها من «عز»، وليس الجلابية المبحبحة التى رواها، وأراد بها أن يقدم سبباً رومانسياً مثل أفلامه لطلاقه من «فاتن».

حدث الطلاق الزوجي، واستمر الزواج الفني، كان إعجاب «عز» بـ «فاتن» الفنانة هو الأبقى، لقد شفع لها عنده، وجعله ينسى أنها أحبت «عمر الشريف» وهى على ذمته، وطلبت الطلاق من أجله.

وحاول «عز» بعد الطلاق أن يبدو متماسكاً، قوى الأعصاب، هادئ النفس، متحكماً فى ثورته، ويراكين غضبه.. حتى عندما سألوه وقتها عن رأيه فى «عمر الشريف» كممثل أجاب: «عنده استعداد لكى يكون ممثلاً ممتازاً، وهو الممثل الوحيد الذى يحفظ دوره قبل دخول البلاتوه، وهذا يساعد الممثل على الإجادة والإتقان.

وحتى عندما دخلت الأسئلة فى الممنوع، وحاولت استفزازه، وإخراجه من هدوئه وبرود أعصابه، وتحفيزه ضد طليقته التى فضلت عليه ممثل ناشئ، وهو المخرج الشهير الذى تتمنى كل النجمات العمل معه.. كانت إجابته:

«علاقتى بـ «فاتن» كزوجة انتهت يوم انفصالى عنها.. وهذا السؤال يذكرنى باليوم الذى أعلن فيه زواج «فاتن» من «عمر»، وكانا يعملان فى نفس الاستوديو الذى أعمل به، وعندما ذهبت إلى الاستوديو وجدته كميدان القتال.. الكل متوتر..

وإخوتى حضروا إلى الاستوديو.. فقمت بصرفهم فوراً.. وشاءت الصدف أن ألتقي بـ «فاتن» و«عمر» على السلم، فسلمت عليهما وهنأتهما، وبعد أن استدرت نادى عليّ «عمر» وقال لى: «إنى أقدرك وأحترمك».

ورغم أن «عز» بارك زواج «فاتن» من «عمر»، إلا أنه كان يدرك أن تلك الزيجة لم تبن على أسس سليمة، وأن ثمة شيء ما خطأ، ولن تستمر طويلاً.. وعندما حدثت الخلافات بين «فاتن» و«عمر» أفصح «عز» عن هذا «الشيء الما الخطأ»، وهي تركيبة «عمر» الشخصية.. قال «عز» بصراحة: «لقد كنت أعرف أن هذه المشاكل وغيرها وأكثر منها لابد أن تقع لـ «فاتن» فى حياتها مع «عمر الشريف».. فهو من النوع الذى لا يكاد يحس أن هناك من يهتم به ويحبه حتى يتعالى عليه و«يمرمطه»، وكل تصرفاته مع «فاتن» تدل على هذا بكل أسف.. فهو لا يحسن التصرف معها، ويحاول أن يتحرر من قيوده نحوها لإيمانه بأنها تحبه وتريده، هذا إلى جانب أن «عمر» يضايقه أن يعرف بأنه «زوج فاتن»، فقد كان يهمه العكس.. كان يهمه أن يقال عن «فاتن» إنها «مرات عمر».

ويضيف «عز»: «لقد وقفت من «فاتن» موقفاً سليماً منذ افترقنا ولم يحدث منى ما يخدش صلتى بها كفنانة زميلة أكن لها كل تقدير».

ولكن لماذا نستبق الأحداث..

إننا مازلنا الآن فى الفترة الحرجة التى عاشها «عز» بعد طلاقه من «فاتن» وزواجها من «عمر».

بعد سنوات قليلة من الطلاق، عادت «فاتن» لتسلم نفسها لـ «عز» المخرج، وكان فيلم «طريق الأمل» عام «١٩٥٧» هو بداية التعاون فى ظل الصداقة، وتلاه «بين الأطلال» فى العام التالى، وهو الفيلم الذى كتب فيه «عز» جملته الخالدة التى تصدرت الفيلم: «أيتها الشمس لا تغربى قبل أن تشهدى على أن حبى لها خالد كخلودك أبد الدهر، بل إنك تغربين، ولكنه لا يغرب أبداً».

ثم كانت الخبطة السينمائية الأهم والأشهر والأخطر.. فيلم يجمع «فاتن» و«عز» وغريمه «عمر الشريف».. كان صاحب الفكرة هو المنتج والمخرج «حلمى رفلة»، وتحمس «عز»، وفكر فى عمل مأخوذ عن الرواية البديعة «آنا كارنينا» لـ «تولستوى»، والتى سبق وأن قدمتها السينما العالمية فى عملين الأول عام ١٩٣٥ فى فيلم قامت ببطولته «جريتا جاربو»، والثانى عام ١٩٤٨ وكانت البطلة «فيفيان لى».. وشعر «عز» بأن القصة مازالت تغرى بمعالجة جديدة على طريقته.

ووافقت «فاتن»، بل وتنازلت عن «ألف جنيه» من أجرها إعجاباً بالقصة، ولأجل عيون «عمر الشريف» الذى سيمثل الفيلم دفعة كبيرة له إلى الأمام.

وتحكى «كوثر شفيق»: «فى بيتى هنا كانت بروفات الفيلم، جاءت «فاتن» و«عمر» مراراً، وفوجئت بأن «عز» أصبح صديقاً لعمر، وتوطدت صلتى بـ «فاتن»، رغم تأكدى أن فى قلب زوجى بقايا حب جارف لها.. فأنا أحب «فاتن» من زمان، وكانت أمنيتى وأنا طالبة أن ألتقى بها وأقترب منها، والأمنية تتحقق الآن، حتى ولو كانت طليقة زوجى.. بل أستطيع أن أقول إن «فاتن» من أكثر من ساندونى بعد رحيل «عز»، حتى أتغلب على الأزمات المالية، ونفقات الحياة وصعوبة المعيشة، وخصوصاً أن معاش «عز» لم يكن يزيد على «٥٠ جنيهاً»، فاضطررت إلى تأجير شقتى والانتقال أغلب شهور السنة للإقامة عند أسرتى، حتى ننفق من فلوس الإيجار، فساعدتنى «فاتن»، ووفرت لى فرص عمل فى أفلامها: «إمبراطورية ميم»، «الحرام»، و«لا عزاء للسيدات».. فقد عدت إلى ممارسة فن التمثيل الذى انقطعت عنه طويلاً بإرادتى.. فبعد زواجى من «عز» قال لى: شوفى بقى أنا أقدر أعمل من الفسيخ شربات، وممكن أصنع منك نجمة وأخلى اسمك على كل لسان، فانتى قدامك اختياران إما التمثيل أو الجلوس فى البيت.. فأخذت الأخير.. المهم رجعت أشتغل وقدمت أدواراً متنوعة ربما أهمها دور الفتاة اليابانية فى فيلم «فؤاد المهندس» و«شويكار» مطاردة غرامية.

وأدوارى فى أفلام «فاتن» فى تلك الفترة.. وأذكر أنها كانت تفركش التصوير بلا سبب، لمجرد أن تطول أيامه، حتى أحصل على أكبر فلوس ممكنة، فقد كان تعاملى باليوم، وأجرى عن يوم التصوير حوالى «٣٠٠ جنيه»، وهو مبلغ محترم فى تلك الأيام».

وكانت «كوثر» هى الحب الصادق الأخير فى حياة «عز».. فى أوراقه يكتب «عز» عنها: «أستطيع أن أقول إن تجاربى كانت بحثاً عن الحب، غير أن الأيام التى جاءت بعد طلاقى من «فاتن» وضعت فى طريقى قلباً فريداً فى نوعه، فبعد الطلاق أطلقت لنفسى العنان، عشت فى عائمة على النيل شهدت ليالى صاخبة كثيرة، وأصدقائى قالوا إننى أبالغ مبالغات «هارون الرشيد»، وأشفقوا علىّ من عاقبة ذلك كله ولم أكترث، كنت أسير فى طريق مفروش بقشر الموز، وتابعت الانزلاق حتى بلغت نهايته، وإذا بى أسقط مريضاً.. مريضاً جداً.. التهاب فى الركبة لا أتحرك منه، ورقدة فى الفراش تطول حتى أحسبنى فى سجن وأعمدة السرير البيضاء قضبانه، ونفد ما معى من مال، ولم أجد ثمن الدواء.. أما اللائى عرفننى للمال والنزوة والكئوس، فقد كن فص ملح وذاب، وتلفت حولى فلم أجد غير مخلوقة واحدة تسهر علىّ، وعيناها تنديهما الدموع، وتسهر الليل بطوله وأنا أرجوها: عودى

إلى أمك، إنها مشغولة عليك، فتجيب: لا أعود وأتركك وحيداً، وإذا لم تقدر أمي مشاعري فلن تعنيني مشاعرها».

ومازال «عز» يحكي عن حبه الكبير: «كنت رأيتها مرة في الاستوديو، تلميذة بريئة الصورة جاءت مع زميلاتها وسألتني كثيراً، وقالت إنها تريد أن تعمل في السينما، وجاءت إلى بيتي وأنا مريض، فإذا بها هي الوحيدة التي أراها حولي، وأحببت قلبها الحاني، واعتدت مروءتها، فلما تماثلت للشفاء لم نكن نجد طعامنا، واستبد بي الإفلاس والضيق، ولكنني لم أطرق باب صديق.. شقيق لي هو «كمال» أرسل لي «٢٥ جنيها» قال إنه يريدني أن أدخرها له عندي لحين يطلبها، ففرجت الأزمة، وفرجت مرة ثانية عندما جاءتني السيدة «آسيا» تقول لي إنها اختارتني لأخرج فيلم «رد قلبي» ووقفت على قدمي.. شفيت.. وسددت ديوناً بلغت عشرة آلاف جنيه، وجرت آلاف أخرى في يدي.. فهل أنسى فضلها؟ هل أجحد جميلها؟ هل أغفل أن «كوثر شفيق» هي الوحيدة التي عرفتني وأنا مريض مفلس؟ كلا لست أنا ذاك الرجل، إنما فعلت ما يفعله الذي يريد أن يرد الجميل.. تزوجتها، وهي الآن معي تحقق جانباً كبيراً من الحب الذي كنت أبحث عنه فلا أجده».

و«كوثر» هي أكثر امرأة كتب لها وعنها «عز» بأسلوبه الشاعرى الناعم، وبعباراته التى تفيض رقة وعذوبة، ومازالت «كوثر» تحتفظ بخطاباته لها، والتى كان يواظب على إرسالها لها من لندن التى سافر إليها عام ١٩٦١ للعلاج من الروماتيزم، ولم يخفف وجود «عبدالحليم حافظ» و«منير مراد» بها للعلاج أيضاً، وصحبتهما له من شعوره بالغربة، وضيقه من الابتعاد عنها، فكان يكتب لها خطاباً كل يوم، يحكى لها فيها بالتفصيل عن كل خطوة يخطوها، ويبثها شوقه للقياها.

يكتب إليها فى اليوم التالى لوصوله: «حبيبتى كوثر.. قبلاتى وأشواقى.. وصلنا لندن بخير ولم أشعر بتعب والحمد لله.. حصلت على موعد مع إخصائى القلب، والحمد لله سأعرفه غداً، وأنا مع منير مراد فى حجرة واحدة وهو يرعانى بشدة مثلك تماماً.. الجو جميل وأنا بخير.. أفتقدك دائماً.. قبلاتى وشوقى للجميع».. ويوقّع بإمضائه وبتاريخ «١٩٦١/٤/١٩».. وبين قوسين يكتب «اليوم الثانى».

وبعد يومين يكتب: «زوجتى الحبيبة.. إن الأيام تمر طويلة قاسية فى انتظار لقاء إخصائى الروماتيزم، وأنا أقضى معظم الوقت وحدى، ومهما قلت إننى أريد أن أعود إليك حالاً لن

يصدقنى أحد، ولكنها الحقيقة، فقد بت لا أطيق فراقك.. إن تعود الإنسان على شيء قد يربطه به أكثر من الحياة.. وأنا تعودت عليك وأحبك.. وأقسم لك أننى أعد الثوانى حتى أعود، ولن أذهب إلى أى مكان بعد اليوم بدونك، فأنا بعد كل هذا فى حاجة إليك دائماً».

وبتوقيع «شرشر» يكتب على ظهر كارت جميل يحمل صورة ساحرة لأحد معالم لندن، وبالمناسبة اعتاد «عز» أن تكون خطاباته على ظهر كروت جميلة: «زوجتى الحبيبة، عدت الآن من عند دكتورة تحليل الدم، والنتيجة ستظهر بعد يومين، لأن إخصائى الروماتيزم طلب التحليل، الوقت قاتم، والشوق نار تحرقنى، والدقائق هنا سنوات، وأنا أرجو كل من يخصنى بالسرعة، ذلك لأعود إليك مرة أخرى.. أقسم لك أننى لن أذهب لمكان بدونك ما حييت، أرجو أن أكون على بالك دائماً كما أشعر أنا.. فهذا كل ما أرجوه من هذه الدنيا».

ويأتى ذكر «عبدالحليم» فى خطابين.. الأول بطريقة ضمنية.. والثانى أكثر صراحة: «زوجتى الحبيبة، أرسلت لك تلغرافاً أمس، أرجو أن يكون وصلك.. ملخص التلغراف أننى شفيت من قلبى فقد طرد حبى لك المرض من قلبى.. «حليم»فى المستشفى تحت الفحص وأنا سأتلقى موعد إخصائى الروماتيزم

مساءً.. لم نذهب إلى أى ملهى بل كل يوم بعد العشاء ننام، وأنا أعد الثوانى لأعود إليك، فقد بت لا أستطيع الحياة بعيداً عنك.. قبلاتى لـ: «سعيد» و«جليل» و«جلال» وكل الإخوان.. ودمت للمخلص «عز».

وحتى بعد عودة «عز» من لندن لم تنقطع المراسلات بينه وبين «حليم» الذى ظل بها لفترة، ومنها هذا الخطاب المكتوب على كارت يحمل صورة لكوبرى لندن الشهير: «الأستاذ «عزالدين ذوالفقار».. سلامى أيها الفنان العظيم من لندن التى تناديك أنت ولا تطفئ الشمس».

أما الخطاب الأروع والأهم من بين خطابات «عز» إليها، والذى تعتبره أرق وأجمل ما كتب، وتحتفظ به داخل علبة فخمة وكأنه جوهرة ثمينة، رغم أن الورقة المكتوب عليها كادت تبلى، وحروفها بدأت تتآكل بفعل السنين.. فهو ذلك الخطاب الذى كتبه إليها على عجل، وهو يحارب بكاميرته أثناء العدوان الثلاثى على مصر، وينقل بعدسته الرشيقة تفاصيل العدوان لحساب مصلحة الاستعلامات.

أعلى الورقة كتب «عز» تاريخ إرسال الخطاب: «١٩٥٦/١٢/٢٩»، وتقول كلماته: «كوثر».. أعز الأسماء وأحب

نداء إليّ.. أكتب إليكى هذا فى عجلة فظيعة، فربما استطاع «عبده نصر» ـ المصور المرافق له ـ النزول اليوم إلى مصر بطريقة ما حتى الآن نبحث عنها.. المهم كيف أنتِ.. فأنا بخير والحمد لله، ولا ينقصنى إلا وجودك بجوارى، ويعلم الله كم أفتقدك، وكم أريد أن أرى وجهك «المكلبز» وعينيكى الجميلتين.. كم أريد أن تحتويكى ذراعى ويحتضنك صدرى ويضمك قلبى، فأنت دائماً جزء منى لا يتجزأ.

ما رأيناه.. وما مر بنا ستعرفيه يوم أن نلتقى.. ولكنه ما جعلنى أشعر بأننى رجل أكثر مما كنت طوال حياتى.. ولم يتخل الله عنى أبداً.. فقد كان يحرسنا ويرعانا دائماً.

العمل بالنسبة إلينا حتى الآن متعثر جداً، ولكننى سأحاول اليوم المستحيل.. المهم.. أنا.. أكثر من أكبر حاجة فى الدنيا، وأنتظر بفارغ الصبر الظروف التى تجمعنا.. أى ظروف تضايقك أرجوكى ألا تترددى فى الاتصال بـ «حلمى رفلة».. وما أفكر فيه دائماً وأريده دائماً هو أن تعرفى أننى أحبك كل الحب الذى بحثت عنه طوال حياتى.. وهذا سيجعلك دائماً تفكرى فى أن تكونى الإنسانة التى أحمل لها كل هذه العواطف، والتى تحرص على ذلك كل الحرص.. تحياتى للجميع.. وحبى وأشواقى لكى دائماً فى كل لحظة.. المخلص دائماً «عز».

وعلى هامش الخطاب كتب «عز» عدة ملاحظات شخصية:

١ - أرجو إرسال علبة الحقن التى اشتريتها أخيراً لأخذها مع الهايدروكورتيزون، التى بها بلية بيضاء، وأخرى سائل لإذابة البلية.

٢ - علبة حقن «أكتون».

٣ - حقنة كوريتزون «هايدوركورتيزون».

٤ - اطلبى مبلغ «٢٠٠ جنيه» من «فريد شوقى» بواسطة «حلمى رفلة»، ادفعى منها «١٠٠ جنيه» للخواجة «جانجى» بإيصال.

٥ - اطلبى مأمور الضرائب وفهميه أننى ببورسعيد وادفعى له على الأقل «٥٠ جنيه» لحين حضورى.

٦ - اخبرى مدام «آسيا» أننى ببورسعيد حتى لا تزعل منى وتظن أننى أهملت شغلها.

٧ - اكتبى لى ضرورى جداً جداً.. حدثينى عن أخبارك وكل شيء عنك.. اتصلى بصاحب البيت لإلغاء القضية المرفوعة ضدنا والتى ستنظر فى «٣٠ ديسمبر» لإلغائها، وإن حصل منه أى اعتراض اتصلى بـ «صلاح ذوالفقار» ليجعل عمى «مفيد» يكلم صاحب البيت، لأنهم أصدقاء من زمان.

وتنتهى كلمات الخطاب.. الأصلية والهامشية.. إن العذوبة والتلقائية والشاعرية والرقة التى تفيض من سطوره هى فيما نظن أحد الأسباب القوية التى أسرت زوجته، وجعلتها منجذبة دائماً إلى شخصيته الطفولية.. ومستعدة دائماً لأن تغفر له ما لا يغفره البشر.

الفصل الرابع

عزالدين ذوالفقار رفض منصب وزير الثقافة

عندما مات عزالدين ذوالفقار فى أول يوليو عام ١٩٦٣، كان يحمل لقب «أغلى مخرج فى مصر»، فقد وصل أجره إلى ٥ آلاف جنيه فى الفيلم، وهو أجر «فاتن حمامة» نفسه، أشهر ممثلات ذلك الزمان، ونجمة الشباك التى يسعى إليها الجميع.

كان عز يحمل اللقب على الورق، أما الواقع فمختلف، وغريب، ومدهش، يقبض «عز» الآلاف، يوم كان الجنيه فى عنفوانه، وله قيمته وسلطانه، فتتبخر فى أيام، وتسقط من جيبه المخروم، دائماً.. كان يعيش مثل «هارون الرشيد»، وينافسه فى بذخه، وترفه، وحياته الناعمة الرغدة، بيته لا يخلو من الضيوف، وسهراته متصلة، ومائدته عامرة، ولياليه تتحدى ألف ليلة وليلة.

فلوسه تبتلعها سهراته، وكرمه مع أصدقائه، واحتفاؤه بضيوفه، وتستنزفها سفرياته الكثيرة، وفوق ذلك وقبل ذلك نهمه للأكل، تحكى أرملته: «كان يموت فى الأكل، وأحب الأكلات إليه كفتة داوود باشا، والشراهة فى الأكل عادة ورثها عن أسرته، كان يحكى لى وهو يطلق ضحكته المجلجلة أن أمه كانت تضع

على مائدة الإفطار كل يوم أكثر من ١٥ بيضة مسلوقة، فإذا ما وضعت طبق البيض على السفرة، وذهبت إلى المطبخ لتحضر بقية الأكل يكون المفاجيع خصوصاً هو وصلاح قد التهموا البيض كله. وكانت من هواياته كذلك تربية الكلاب واقتناء أجود أنواعها، ولما أعجب بـ «روى» الكلب الذى شاهده فى كلية الشرطة مرة، واستعان به فى تمثيل فيلم «الشموع السوداء»، وتحول إلى أشهر كلب فى تاريخ السينما، حرص على أن يقتنى سلالته، وكان فى بيتنا ٤ من أحفاد «روى»، وكان عز يعاملهم كأبنائه، ويقوم ليطبخ لهم الأكل بيديه، مع أنه فى العادة لا يعمل فنجان قهوة لنفسه ولو القيامة قامت».

كرم «عز» وبذخه أوقعه فى أزمات مالية مستمرة، وصلت فى بعض الأحيان إلى قيام مصلحة الضرائب بالحجز على شقته، رهناً لمستحقاتها، وتصل أرملته هنا إلى ذروة صراحتها وهى تحكى كيف تصرفا فى الزنقة، وتخلصا من مطاردة مصلحة الضرائب: «عندما تزوجت عز همس فى أذنى: أنا ممكن أعمل منك أشهر ممثلة فى مصر، جوزك يعمل من الفسيخ شربات، عايزة تمثلى ولا تقعدى فى البيت؟!.

«ولكنى قبلت الاختيار الثانى عن رضا وبلا ضغط منه، لأنى أحب جو البيت والأسرة ودفء العائلة، فجلست فى بيته

أخدمه وأعتنى بشئونه وابتعدت عن التمثيل، برغم أنى قطعت فيه شوطاً، وحققت فيه بعض النجاح، فلما حدثت الأزمة المالية همست أنا فى أذن «عز»: «صلاح أبوسيف» طالب ممثلة تعمل دور واحدة رقاصة فى فيلمه الجديد «الوسادة الخالية»، عرضه على هند رستم، ولكنها اعتذرت لانشغالها بأعمال أخرى، وربما لقلة مساحة الدور، إيه رأيك لو عملت الدور، خصوصاً وأن لى خبرة بالرقص، وشاركت طويلاً فى المجموعات الراقصة فى عدد من الأفلام، وأخرج لى «عز» ـ وأنا زوجته ـ رقصة فى فيلم «الغائبة»، ووافق «عز»، وأقنع نفسه أن المسألة مساعدة وإنقاذ موقف لصديقه «صلاح أبوسيف»، وليس إنقاذ موقف لنا، برغم أن المائة جنيه التى رصدها المنتج تحل جزءاً كبيراً من أزمتنا، وترد هجوم مصلحة الضرائب عنا، وكانت المشكلة أننى حامل فى الشهر الرابع، ليس فى ابنتى «دنيا»، ولكن فى حمل سبقها ولم يتم، ولم يكن فى استطاعتى أن أرتدى بدلة الرقص، ووافق «صلاح أبوسيف» أن أرتدى فستاناً عادياً، وحصلنا على الفلوس لنفك زنقتنا، ولم أعد بعدها للبلاتوه، برغم النجاح الذى حققته «الرقصة» فسمونى بعدها «راقصة الوسادة الخالية».

ومن جانبه كان «عز» يعمل بكل طاقته وبأقصى جهده، فى عام ١٩٥٤ مثلاً عمل فى ٥ أفلام فى الوقت نفسه، وكان عليه أن

ينهيها جميعاً لتعرض معاً: «ابن الحارة» لـ: ليلى فوزى وجلال حرب، «أقوى من الحب» لـ: شادية وعماد حمدى، «وفاء» لـ: مديحة يسرى وعماد حمدى أيضاً، و«موعد مع الحياة» لـ: شادية وفاتن.. وفى سنة ١٩٥٨ قدم ثلاثة من أهم أفلامه: «امرأة فى الطريق» لـ: هدى سلطان ورشدى أباظة، «بين الأطلال» لـ: فاتن وعماد حمدى، و«شارع الحب» لـ: عبدالحليم حافظ وصباح.

كان «عز» يعمل بأقصى طاقته ليس من أجل المال فقط، فيما أظن وتظن أرملته والعارفون به عن قرب، بل لأنه كان يشعر أن عمره قصير وسنواته فى الدنيا لن تطول، وأن عليه أن يعمل ويعمل ليحقق جزءاً من أحلامه الفنية، وهى أحلام طويلة وعريضة وتحتاج إلى عمر ثان لإنجازها، وبسبب هذه الأحلام رفض منصب وزير الثقافة فى عصر عبدالناصر، هذا ما تؤكده «كوثر شفيق»، وتدل عليه سطور فى أوراق «عز» وخطاباته. جاءه العرض لا بوصفه فناناً فقط، وصاحب كفاءة فقط، بل الأهم لأنه من أهل الثقة، يوم كان الاختيار للمناصب المهمة يشترط فى صاحبه أن يكون موثوقاً به من القيادة، فأعداء الثورة متربصون بها، وناقمون عليها، ويريدون بها شراً مستطيراً، والخوف أن يتسرب واحد منهم فى غفلة من السلطة إلى منصب مهم، فيسيئ إلى الثورة ويزعزع الإيمان بها فى النفوس، ويبلبل اليقين العام لدى الجماهير.

والشرط الرئيسي متوفر جداً في «عز»، فقد كان من الأسماء القوية في خلايا تنظيم الضباط الأحرار، والمعروفة والمضمونة عند زعيمه جمال عبدالناصر، الذى كان يسبقه بدفعة في الكلية الحربية «دفعة عام ١٩٣٨»، وكان «عز» وهو طالب بها «الباشجاويش» لكمال الدين حسين، أحد الوزراء البارزين في العهد الناصرى.

وتضيف «كوثر»: «وفي مذكرات «عبداللطيف البغدادى» إشارة واضحة أنه استعان بـ «عزالدين ذوالفقار» الضابط بسلاح المدفعية أثناء التحضير للثورة، ووردت إشارات أخرى عنه في مذكرات «صلاح نصر»، وكلها تؤكد أن «عز» كان من الأسماء المعروفة في تنظيم الضابط الأحرار، وكان من الصور التى يعتز بها صورة تجمعه مع عبدالناصر وهما طالبان في الكلية الحربية، ولولا استقالة «عز» من الجيش، بعد ٥ سنوات قضاها في الخدمة لظروفه القهرية الخاصة - رحيل والده وإصابته باكتئاب حاد- لحصل على منصب مهم في البلد، وجاءه المنصب بعد أن خلع البدلة العسكرية، ولكنه بلا تردد فضل لقب مخرج على لقب وزير، وكانت وجهة نظره:

«مفيش فنان حقيقي يقبل يكون موظف، والفن لا يمكن تسكينه في وظيفة حتى لو كانت وظيفة وزير، أنا لا يمكن أتصور

نفسي قاعداً على كرسي كل يوم أمضي ورق وأعطي أوامر وجزاءات».

انتصر «عزالدين» للفن، ورفض المنصب ـ الوزاري ـ وراح يحلم بأفلام جديدة، ونجاحات جديدة، وعندما كان في سرير مرضه الأخير كان يتحدى الألم الرهيب بالعمل، برغم تحذيرات الأطباء المستمرة، وبالسخرية منه أيضاً، برغم أنه شل حركته، وجعله يكمل تصوير «نهر الحب» وهو على كرسي متحرك، ثم يقعده في سريره لثلاثة أشهر متصلة. ولـ «عز» جملة اشتهرت في السخرية من مرضه مع أنها تقطر مرارة، تقول: «إن الروماتيزم أكثر إخلاصاً من بني الإنسان، فقد كان العاشق الوحيد الذي لازمني كظلي منذ ٢٥ سنة، وقد جربت أن أدفن ساقي في الرمال، وجربت علاج البدو والحنظل، وأنقصت وزني ليخف ثقلي على المفاصل، ولكن العاشق لايزال متيماً بحبي».

وإلى جانبي كومة الأدوية المتراصة إلى جواره في مرضه الأخير، كانت توجد كومة أخرى من الملفات والأوراق، إنها الدواء الحقيقي الذي يخفف آلامه المبرحة، ويعطيه الأمل في الحياة، ولم يكن الدواء الحقيقي سوى مشروعات أفلامه الجديدة. ويوم أسلم «عزالدين ذوالفقار» الروح كانت في أحضانه وأدراجه ٥ مشروعات سينمائية جديدة، ربما كان أهمها، وأحبها إلى نفسه،

وأكثرها شغلاً لتفكيره فيلمه عن «الناصر صلاح الدين»، والدليل فى أوراقه حيث تستوقفك هذه السطور الساخنة: «عشت مع صلاح الدين الأيوبى مما يقرب من ثلاثة أعوام، كنت فى كل يوم أتحدث إليه وأستمع لحديثه، كنت أقرأ كل ما كتب عنه قديماً وحديثاً، جئت بأشعار معاصريه ونثرهم وقرأته سطراً سطراً فى شغف وحب، عرفت صلاح الدين كما عرفت أبى وأخى ونفسى».

حلم تقديم فيلم كبير عن «الناصر صلاح الدين» بدأ يداعب «عز» وهو يصور المشاهد الأخيرة من فيلمه «رد قلبى»، ولكنه لم يصرح به علناً سوى ليلة العرض الخاص، عندما راحت منتجة الفيلم السيدة «آسيا» تشد على يديه بحرارة، وهى تشاهد الاستقبال الجماهيرى الساحق لـ «رد قلبى» وتسأله بحماس:

- فيلمنا الجاى إيه؟!

ويرد «عز» بلا تفكير:

- صلاح الدين الأيوبى!

وكان صديقه «جليل البندارى» شاهداً على الواقعة وما تلاها من تطورات، وسجلها فى واحد من سيل مقالاته عن «عز» التى احتفظ بها الأخير فى أوراقه، مؤمناً على كل كلمة جاءت بها: «ولم تفهم آسيا شيئاً، وأخذت تنظر إلى عز ببلاهة لمدة

دقيقة، ثم رسمت على شفتيها ابتسامة عريضة وانصرفت، وبدا عليها أنها لم تكن قد سمعت عن هذا الاسم من قبل، ومضى كل منهما إلى بيته، ولم يلتقيا بعد ذلك ومضى أسبوع. وفتحت آسيا الراديو لتستمع إلى خطاب للرئيس جمال عبدالناصر، وتكلم الرئيس فى خطابه عن القائد العربى «صلاح الدين الأيوبى»، وما كاد ينتهى خطاب الرئيس حتى رفعت «آسيا» سماعة التليفون وطلبت «عز»، وبعد ربع الساعة ذهب «عزالدين» إلى «آسيا» وقد أعدت له عقد إخراج فيلم «الناصر صلاح الدين»، ووقع «عز» العقد الذى يحمل أكبر رقم تقاضاه مخرج حتى اليوم «٥ آلاف جنيه».

ومازال «جليل البندارى» يحكى عن قصة «عز» مع «الناصر»: «وسألت «آسيا» «عز الدين»: كم يتكلف هذا الفيلم؟ فأجاب: ٥٠ ألف جنيه، فقالت «آسيا»: إن «صلاح الدين الأيوبى» أكبر من هذا بكثير، إنه يستحق مائة ألف جنيه وأكثر. وكتب «يوسف السباعى» القصة، ثم كتب السيناريو والحوار.. ولقد كان «عز الدين» الذى اشترك مع «السباعى» اشتراكاً فعلياً فى الكتابة ينظر إلى صلاح الدين كأسطورة رائعة فى التاريخ، ومن خلال أحاديثى معه كنت أراه مفتوناً بعبقرية القائد العظيم».

هذه الفتنة، وهذه الثقة كادت تتسبب فى أزمة دبلوماسية بين مصر ويوغسلافيا، يوم كانت العلاقات بين عبدالناصر وتيتو

كأقوى ما يكون، فقد حدث أن جاء وفد سينمائى يوغسلافى إلى القاهرة، برئاسة «سكوراس» مدير غرفة صناعة السينا فى بلاده، وأقامت له وزارة الإرشاد القومي ووزيرها «ثروت عكاشة» حفل استقبال فى «سميراميس»، وقام «سكوراس» ليلقى كلمة، وكان من بين ما قاله إنه ينوى إنتاج عدد من الأفلام فى مصر بينها فيلم «الناصر صلاح الدين»، وصفق له الحاضرون إلا «عزالدين ذوالفقار»، الذى خرج بعدها على صفحات الصحف بتصريحات نارية، يقول فيها إنه يتحدى مخرجى العالم، بمن فيهم أباطرة السينما فى هوليوود بفيلمه الذى يعده عن «الناصر»، ويضيف: «إننى أتحدى أمريكا مع تاريخها الطويل وآلاتها الحديثة فى إخراج «الناصر صلاح الدين» لو توفرت لى ربع الميزانية التى سينتجون بها فيلمهم، مع احتفاظى بهذه الآلات العتيقة البالية التى تملكها استوديوهاتنا».

كان ذلك فى الشهور الأخيرة التى سبقت رحيله واشتد عليه المرض فيها، ورغم الألم تحول «الناصر» إلى مشروع حياته، أو على حد تعبير صديقه «إحسان عبدالقدوس»: أزمته الكبرى، «لقد كان يضع فى هذا الفيلم كل أحلامه، ويستجمع له كل فنه، كان يريد أن يصنع منه حدثاً فنياً ضخماً، وكان يعيد كتابة السيناريو والحوار بنفسه، وكنت أراه كل صباح جالساً إلى مكتبه مرتدياً جاكتة البيجاما - بلا بنطلون - وأمامه كوب فيه

عشرة أقلام رصاص، ويكتب بيد ويده الأخرى تعبث بشعرات ذقنه، وكتب ستين صفحة من السيناريو، ثم فاجأه المرض وحاول أن يقاوم، وكان يصرخ من الألم، ثم يعتدل ليكتب كلمة فى السيناريو، ولكنه لم يستطع أن يستمر، استسلم للألم».

وتحكى أرملته «كوثر شفيق» أن طبيبه المعالج د.محمد فكرى نصحه بالراحة التامة، وجاء ليزوره ذات صباح فوجده يكلم نفسه، واكتشف أنه يكتب حواراً يدور فى أحداث الفيلم بين «فرجينيا» جميلة الجميلات -التى قامت بدورها ليلى فوزى- وبين «الناصر صلاح الدين» عندما ذهب ليعالج زوجها «ريتشارد قلب الأسد»، وكاد الطبيب يشد شعره عندما عرف أن «عز» يعمل منذ ٥ ساعات متواصلة فى الفيلم، وأنه حوّل سريره إلى مكتب.. وتحكى «كوثر»: «لا أنسى مرة قال لى إن صلاح الدين يسيطر عليه، ويشعر أحياناً أنه ينام معه فى سريره، ويتبادلان الحوار».

وزاد المرض على «عز» وفاض، وفرغ صبر منتجة الفيلم السيدة «آسيا»، التى رهنت كل ما تملك لإنتاج هذا الفيلم، وأصبح مصيرها مرتبطاً به، بدأ القلق يتسرب إليها، فى البداية عبرت عنه فى شكل سؤال مستمر عن «عز» وعن صحته، مع تمنيات واضحة بالسلامة وسرعة النهوض من رقدته، ولما طال رقوده تحول القلق إلى إلحاح، وإلى غضب، ثم إلى ما يشبه

التـهـديد.. وصل إلى مـا يشـبـه الأمـر بضـرورة تحـديد مـوعـد التصوير باليوم والساعة والثانية.

وفى لحظة اختلطت فيها مشاعر الغضب بالمهانة أمسك «عز» القلم وكتب رسالة إلى «آسيا»: «تعلمون جيداً أننى مريض من مدة طويلة، ومازلت مريضـاً، وتقرير موعـد شفائى لا يعلمه حتى الآن إلا الله، وليس مـعنى هذا أن شـفائى مـيئـوس منه، أو أننى على حافة القبـر، وليس مـعناه أننى مركب غـرقت، أو جثة تلفظ أنفاسها حتى تظهر الطيور السوداء محلقة حولها، منتظرة نهايتها، فصحتى فى تقدم مستمر ومازلت فى شـرخ شبابى، ولن أكون مبالغاً إذا قلت إننى فى مـجدى الفنى الذى لا ينكره أحد. إن هذا الفيلم أصبح جزءاً منى، جزءاً من حياتى وكيانى، عشت فـيه وعلىّ أن أتمه، إلا إذا توفـانـى الله، وهذا مـا لا أعـتـقـد أنكم تتمنونه لى، إن ما أريد أن أصـارحكم به، هو أنكم إن رأيتم أنه فى صالحكم ومن صالح الفيلم وأهدافه عدم انتظار شفائى، فإنى أحلكم من أى ارتباط بى، فرحمة الله أوسع من صبر البشر».

وسقطت دمعة كبيرة على وجهه، تطايرت إلى الورقة وهو يطويها ليرسلهـا إلى «آسـيـا»، ولأن المال له سطوة تطغى على العـواطف وتهـزم المشـاعر وتـغلب المصلحـة، فـقـد راحت «آسـيـا» تسـتشـيـر من تثق به ليرشح لها بديلاً مناسبـاً لـ «عز»، ليـخـرج

الفيلم، وطرحوا عليها أسماء عدة كان أبرزها «عاطف سالم»، ولكن «عز» رفضها جميعاً، ورشح هو اسم «يوسف شاهين» وأصر عليه، وأرسل إلى «آسيا» من يقول لها: «قد يختلف أسلوب يوسف عن أسلوبى السينمائى، ولكنه المخرج الوحيد الذى يستطيع إخراج هذا العمل الفنى الضخم بشكل مرضى عنه».

ويوم ذهب «يوسف شاهين» مع «آسيا» لاستلام السيناريو من «عز» بكى الأخير بكاءً مراً، وكأنهم يأخذون منه ابناً عزيزاً عليه ليحرموه منه للأبد!. والتزم «جو» برؤية «عز» وترشيحاته ولم يستبدل سوى بطل الفيلم؛ رشح «عز» شقيقه «كمال» لدور «الناصر»، وجاء «جو» بـ «أحمد مظهر».

كان «عز» يشعر بفزع من النهاية، لا رهبة من الموت ولا جزعاً من مرارته ومن طول السفر، بل لمجرد أن يرحل عن الدنيا وآخر أفلامه فيها «موعد فى البرج».. إن غصة فى قلبه تشتد كلما جاءت سيرته، وتذكر فشله، وتبلغ ذروتها عندما يتذكر كذلك أنهم أخذوا منه «الناصر»، وعلى سريره بمستشفى الكاتب راح يتحدى الألم بكتابة سيناريو فيلم جديد مأخوذ عن رواية «إحسان عبدالقدوس» «الخيط الرفيع».. وعندما كانت زوجته تطلب منه أن يريح نفسه، وينفذ تعليمات الأطباء كان يقول لها، ولمن يسأله الراحة: «فيه ناس بتقول عزالدين انتهى.. بيقولوا إن المرض هد

حيلى وشل تفكيرى.. أبداً.. عز عمره ما ينتهى.. عز بيتحدى بفيلم «الخيط الرفيع» لازم أفهمهم إن عز قوى والمرض موش راح يؤثر على شغلى.. وبعدها أموت لا يهم.. بس أموت وآخر أعمالى كبير.. «الخيط الرفيع» أصبح آخر أمل لى فى دنيتى ولازم أحققه.. عارفة يعنى إيه لازم».

ويخسر «عز» الرهان للمرة الثانية، يهزمه الموت، وكما ذهب ابنه الغالى «الناصر» إلى «يوسف شاهين»، ذهب ابنه الغالى «الخيط الرفيع» إلى «بركات». وإلى «بركات» كذلك ذهب ابن ثالث كان «عز» ينوى إنجابه هو «الحب الأكبر» الذى تحول إلى «الحب الكبير» وقام ببطولته: «فريد الأطرش» و«فاتن حمامة»، التى كادت تعتذر عنه حزناً على «عز»، ثم قبلته بعد إلحاح من مخرجه الجديد «بركات» ومنتجه «جمال الليثى».

وفى أكثر من مقال له أشار «جليل البندارى» إلى أن «عز» كتب الفيلم أصلاً ليلعب بطولته «عبدالحليم حافظ»، ويحكى: «وفى اليوم الذى انتهى من كتابة القصة دعانى أنا وعبدالحليم حافظ ولم يسمح لنا بقراءتها، وإنما فضل أن يقرأها علينا بصوت عالٍ، وقبل أن يبدأ فى القراءة قال له «عبدالحليم»: أنا أفضل قراءة القصة على أن أستمع إليك.. فقال له: ولكن «جليل البندارى» يفضل أن يستمع لىّ. ورأيت أن «عزالدين» سيجد لذة وهو يقرأ

أول قصة سينمائية يكتبها لـ «عبدالحليم حافظ»، فلم أشأ أن أحرمه من هذه المتعة، فقلت لـ «عبدالحليم»:

ـ سيبه يقرأها! وبدأ «عزالدين» يقرأ القصة، وظل ينفعل وينفعل مع المواقف والأحداث، وحتى أشرفت القصة على النهاية، وقبل أن ينطق بكلمة النهاية كانت الدموع تنحدر من عينيه كالأنهار، والتفت أنا إلى «عبدالحليم حافظ» فوجدت الدموع تنحدر من عينيه هو الآخر!

كانت القصة مشوقة إلى أبعد حد، وكانت مزدحمة بالمواقف الإنسانية الرائعة، وكان «عز» يقرأ علينا القصة ثم يتوقف ليشرح كيف سيخرج بعض اللقطات، ثم يتوقف ليناقش «عبدالحليم» فى توزيع الأدوار، ثم يستأنف القراءة والانفعال والبكاء وتجرى الدموع فى عينيه كالأنهار».

وإذا كانت دموع «عز» قد نزلت وهو يقرأ قصة «الحب الكبير»، الذى حرمه القدر من رؤيتها على الشاشة كما تخيلها على الورق، فإن ابتسامة كست وجهه وهو يقرأ رثاءه وهو حى، «جليل البندارى» أيضاً كان طرفاً فى هذه القصة وكتب عنها:

«قبل أن يموت عزالدين ذوالفقار بحوالى عشرة أيام، كتبت عنه تحقيقاً صحفياً بعنوان «ليلة السبت مع شارع النجوم»

وأشرت فيه إلى القرار الذى أصدره الدكتور عبدالقادر حاتم وزير الثقافة - وقتها - بصرف مبلغ ثلاثة آلاف جنيه قيمة جائزته عن إنتاج فيلم «صراع الأبطال»، ثم عرضت شريطاً سريعاً لحياة «عز» وعقدت مقارنة بينه وبين «صلاح أبوسيف» منافسه منذ عشرين عاماً، وما كاد «عز» يقرأ هذا التحقيق الصحفى حتى اتصل بى بالتليفون وقال لى بالحرف الواحد: أظن أنا أول ميت يقرأ رثاءه وهو حي!

وقال: أنت بكيتنى على روحى، وقال: أنا مش عارف أرد جميل الدولة إزاى؟! وقال: أنا مش عارف أقول إيه للدكتور «حاتم».. مش لاقى كلام أشكره بيه، لقد كان «عز» يمضى الأيام والأسابيع والشهور فى إخراج أفلامه، وقد أخرجه الموت من الحياة بنفس أسلوبه، فأمضى معه الأيام والأسابيع والشهور حتى أخرجه من الحياة فى موكب مهيب».

وبعد رحيله راحت أرملته تقلب فى أوراقه، ما كل هذه الأحلام؟ ما كل هذه الأفكار؟! إن زوجها لم يكن يبالغ عندما قال لصديقه «فوميل لبيب» ذات مرة وهو على فراش المرض: اسمع يا صديقى، الحياة عندى معادلة غير المعادلة التى يعيشها كل الناس؛ الحياة عندهم واحد زائد واحد يساوى اثنين؛ أما الحياة عندى فهى واحد زائد واحد يساوى خمسة أو مليون أو صفر

حسب الأحوال، هل تفهمني؟! أنا جندى فى معركة، كنت ضابطاً وتعلمت أن أخوض المعركة حتى الموت أو النصر، إننى لن أجلس فى فراش لانتظر الموت، بل سأعمل فى الاستوديو وأموت هناك، فى ساحة الشرف السينمائى.

«عز» كان يقصد إذن كل كلمة يقولها، وتخرج حروفها من قلبه، وليس مجرد حوار عرف أن صديقه سينشره ليكسب به عطف الناس، أو المنتجين.. إنه يعمل ليكسب معركته مع الموت. لذلك لم تكن مفاجأة لها أن تجد كل هذه المشروعات فى أوراقه، وبينها سيناريوهات جاهزة، أهمها مثلاً سيناريو بعنوان «الرجل الصغير» عن قصة كتبها الكاتب الساخر الكبير «أحمد رجب»، وشارك «عز» فى كتابة السيناريو والحوار لها مع «ضياء الدين بيبرس»، وبجانب السيناريو توجد القصة كاملة كتبها «أحمد رجب»، وبقيت فى أدراج «عز»، ونسيها صاحبها فى زحمة مشاغله وهمومه، وعندما اتصلت به لأذكره بها خرجت منه كلمة «ياه» بعفوية مدهشة، كأننى رددته فجأة إلى زمن جميل سُرق منه، وأردف: «ودى لقيتها فين دى.. ده أنا ماعنديش منها نسخة».. وراح يترحم على «عز» ويشيد بعبقريته فى الإخراج، ويتذكر أن الفيلم كان سينتجه «صبحى فرحات»، لتقوم ببطولته زوجته «زبيدة ثروت» أمام «فريد الأطرش».

وسألت كاتبنا الساخر الجميل: ولماذا لا يتجدد المشروع ويتولى أحد إخراجه الآن؟ بحسم رفض الفكرة، مؤكداً أن القصة كانت بنت زمنها، ولا يظن أنها تصلح لهذا الزمان!

ومن المشروعات الجاهزة التى تركها «عز» سيناريو فيلم بعنوان «عبده الجبار»، كتب قصته بناءً على تكليف من المنتج «جبرائيل تلحمي»، الذى كان ينوى إسناد بطولته إلى «جون ويسملر» النجم العالمي الذائع الصيت آنذاك، بسبب سلسلة أفلامه عن «طرزان»، ويشاركه البطولة «عمر الشريف» الذى كان يخطو على أول سلالم العالمية، ووافق «طرزان» على القصة، وأرسلوا إليه السيناريو الذى كتبه «عز»، وعدل المنتج عن ترشيح «ويسملر» بعد أن اشترط أن يكون له حق توزيع الفيلم فى أوروبا وأمريكا، واتفق «عز» و«تلحمي» على استبداله بـ «فريد شوقى»، الذى وافق بشرط رفع أجره إلى ألفى جنيه، وهو ضعف أجره الأصلي، ورفض المنتج، وتعطل الفيلم.. وحدث أن رحل «تلحمى» ولحقه «عز» وبقى السيناريو في أدراجه، ثم حدثت مشكلة بسببه عندما اتهمت «كوثر شفيق» الفنان «فريد شوقى» بأنه اقتبس فكرة الفيلم وحولها إلى «عثمان الجبار» وذهب لتصويره فى تركيا، وهو ما نفاه «فريد شوقى» بشدة، مؤكداً أن الفيلمين مختلفان تماماً، وكاد الخلاف يصل إلى القضاء لولا أن «صلاح»

و«محمود ذوالفقار» رفضا تصعيد المشكلة، وإعطاء أرملة شقيقهما توكيلاً قانونياً ـ باعتبارهما من ورثة «عز» الذى لم ينجب ذكوراً ـ لإقامة دعوى قضائية.

وإلى جانب السيناريوهات الجاهزة، كانت هناك أيضاً مشروعات «خام» أفكار لأفلام سينمائية، أبرزها قصة كتبها «إحسان عبدالقدوس» خصيصاً ليحولها صديقه «عز» إلى عمل سينمائى. القصة بعنوان «الكلمة الناقصة»، ولم ينشرها «إحسان»، وبقيت فى أدراج «عز»، كأحد أحلامه المؤجلة إلى الأبد، أو قل أحلامه الضائعة.

وكان منها أيضاً قصة كتبها «على أمين»، وتحمل اسم عموده الشهير «فكرة»، اتفق مع «عز» على تحويلها إلى عمل سينمائى، وتركها «عز» على مكتبه ليعود إليها بعد خروجه من المستشفى، ولكنه لم يخرج. فى ليلته الأخيرة لم تكن معه زوجته ولا شقيقه «صلاح» اللذان كانا يتبادلان السهر بجانبه، فقط سائقه «رمضان صالح»، فتح «عز» عينيه فوجده جالساً بجانبه، قال له بصوت واهن: خليك جنبى علشان أنا حاسس إن دى آخر ليلة ح نسهرها سوا، وراح سائقه يخفف عنه: لكن أنا شايف صحتك بقت أحسن، واعتدل «عز» من رقدته وهو يقول: لا أنا حاسس أنى ح أموت، وطلب منه أن يتصل بـ «كوثر» لتحضر

ابنتيه «دينا» و«نادية» ليراهما، ولكن الوقت كان متأخراً، ولابد أنهما الآن فى سبات عميق، ولو اتصل الآن «ح يتخضوا عليه».. هكذا تعلل «رمضان»، وجاءت الممرضة وطلبت منه أن ينام، ولكن «عز» لم يستمع للأوامر، وظل ساهراً، ولم يستطع أحد أن يقنعه بالنوم ولا النوم نفسه، كان شعوراً خفياً يسيطر عليه فى تلك الساعة أنه إذا أغمض جفنيه فلن يفتحهما ثانية، وفى السادسة صباحاً طلب من سائقه أن يفتح الراديو على إذاعة «القرآن الكريم».. وظل لدقائق يسمع فى خشوع، وهدأت نفسه، وشعر بثقل فى رأسه، ووضعها على الوسادة، وظن «رمضان» أن السهر أجهده، والنوم غلبه، ونام عز، ولم يفتح عينيه ثانية كما توقع.. رحل ومعه أحلامه العريضة، ومشروعاته الكبيرة التى مازالت حبيسة أدراجه، تنتظره فى شوق.. ومازالت تنتظره حتى بعد ن ذهب إلى رحمة الله، التى هى أوسع من صبر البشر.

الفصل الخامس

"نقيبة الغسالات"

فيلم على أمين الوحيد الذى لم ير النور

يخلو ملف الكاتب الصحفى الكبير «على أمين» من أية إشارة إلى تجارب فى كتابة الدراما، أو محاولات لغزو السينما، أو لمجرد نية لمنافسة الروائيين كما فعل توأمه «مصطفى أمين»، فالأخير لم يكتف بلقب الصحفى أو الكاتب، حتى ولو تلاه صفات التقدير والتبجيل والتفخيم، فكانت له محاولات مع الكتابة القصصية، وأغلبها كتبها وهو فى السجن، الذى دخله عام ١٩٦٥، وظل بين جدرانه ٩ سنوات، لا أنيس له سوى القلم والأوراق.. والخيال.

ومن أشهر قصص «مصطفى أمين» التى تحولت إلى أعمال سينمائية: «فاطمة» الذى قامت ببطولته «أم كلثوم» و«أنور وجدى»، ثم «سنة أولى حب» لـ «محمود ياسين» و«نجلاء فتحى»، وآخرها قصة «لا» التى تحولت إلى مسلسل تليفزيونى قام ببطولته «يحيى الفخرانى» و«دلال عبدالعزيز»، وأذيع فى رمضان عام ١٩٩٤، ومازالت له أعمال قصصية حبيسة الأوراق، لم تظهر على الشاشة.

أما «على أمين» فاكتفى بلقب صحفى، ولم يقدم نفسه ذات يوم على أنه مؤلف أو روائى أو قاص، أو رسول السماء لإنقاذ السينما، ودعمها بالأفكار الجديدة، والقصص الرشيدة الفريدة والتناول غير المسبوق.

باستثناء مرة واحدة كتب فيها قصة «معبودة الجماهير» التى أعجبت «عبدالحليم حافظ»، وحولها إلى فيلم شاركته بطولته «شادية».. باستثناء ذلك لم يحاول أحد من أهل السينما أن يلجأ إلى «على أمين»، أو يطلب منه قصة تصلح لتحويلها إلى فيلم، ولو لمجرد استغلال اسمه وشهرته ونفوذه، وقرائه.

فقط «عزالدين ذوالفقار» هذا الذى شعر ببذور الدراما فى كتاباته، وأن بعض مقالاته تحمل خيوطاً إنسانية عميقة، يمكن أن تغزل بمهارة، لتصبح عملاً سينمائياً بديعاً.

وقرأ «عز» ذات صباح «فكرة» على أمين، حكاية مكثفة كتبها فى بابه الشهير الذى ابتكره، وانتقل إلى توأمه، ومازال اسمه فى ذاكرة الصحافة ملتصقاً به، وفى وجدان قرائه ساخناً لم يبرد، حتى بعد سنوات طويلة من الغياب.

قرأ «عز» العمود، فانتفض من سريره، وأسرعت يده إلى قلمه، وسحبت نوتة بجواره لا تفارقه، يسجل فيها ما يطرأ على

ذهنه من خواطر وأفكار، ويحبسها على الورق حتى لا تتبخر وتطير بلا رجعة.

وبدأ «عز» يرسم بقلمه الخطوط الأولى لسيناريو مستوحى من فكرة «على أمين»، وظل أياماً لا يفعل شيئاً سوى كتابة السيناريو، وركنه فى أدراجه حتى يعود إليه ذات يوم قريب ليكتب له الحوار، ويخرجه إلى النور كاملاً، حاملاً بصمته واسم «على أمين» للمرة الثانية على فيلم سينمائى هو صاحب قصته.

ولكن هذا اليوم لم يجئ، وبقيت «نقيبة الغسالات البشرية» وهو الاسم الذى اختاره «عز» للعمل فى أدراجه، وبين أوراقه وفى قائمة أحلامه السينمائية التى ضاعت برحيله المفاجئ، وهو ابن «٤٤ عاماً»، وينتظر منه الناس المزيد.. والجديد.

وهنا ننشر السيناريو كما كتبه «عز»، ووضع له هذا الإهداء الطريف والعميق معاً «أقوى من القنبلة الذرية على التخريب.. امرأة جاهلة».

وقبلهما - السيناريو والإهداء - ننشر أولاً فكرة «على أمين» التى أغرت «عزالدين ذوالفقار» بأن يسهر الليالى ليحولها إلى سيناريو.

«عاش فجأة بالقضاء والقدر.

عاجلته الحياة وهو على فراش الموت، أكد له أعظم الأطباء أن القدر اختاره إلى جواره، وأن اسمه سيظهر فى صفحة الوفيات فى ظرف عام واحد، ورتب الرجل حياته على هذا الأساس، باع كل ما يملك، وقرر أن يصرف فى كل يوم مائة جنيه، ولم يجد صعوبة فى صرف هذا المبلغ، فى الأسبوع الأول كان يبعثر الجنيهات على الأصدقاء والمعارف ودور اللهو والجرسونات والشحاذين، ولكن بعد الأسبوع الأول بدأ يعجز عن صرف المائة جنيه.. الأصدقاء الذين اعتادوا أن يطرقوا بابه يطلبون قرضاً اختفوا! الشحاذون لم يعودوا يمدون أيديهم، الجرسونات كانوا يرفضون «البقشيش» بحجة أنه سبق أن أغرقهم فى كرمه!

وكان الرجل يعرف أن الناس يضيعون ثرواتهم فى القمار، فراح يتردد على أندية القمار ويراهن بمبالغ ضخمة، وإذا به يفاجأ بالمكاسب، المائة جنيه التى قرر أن يرميها على المائدة الخضراء أصبحت ألف جنيه.

وترك أندية القمار إلى سباق الخيل، كان يحرص على المراهنة على الحصان الذى أجمع كل الخبراء أنه سيكون الأخير فى السباق، وإذا بمعظم الجياد «الفالصو» التى راهن عليها تكسب وتدفع له مئات الجنيهات!

وحار الرجل ماذا يفعل بثروته التى تضاعفت وهو يبعثرها بعناد! كل قرش يرميه فى الأرض يعود إليه جنيهاً! كل جنيه يرميه فى التراب يعود إليه ملفوفاً فى ورقة من ذات العشرة جنيهات!

وتلفت إلى التاريخ، فوجد أنه باق له فى الدنيا ٢٠٠ يوم وأن فى جيبه ٢٠٠ ألف جنيه!

وخطر للرجل أن يعطى كل ثروته لزوجة جاهلة لعلها تبعثر معظمها فى ٢٠٠ يوم! وبعد يوم واحد أفلس الرجل. لقد أضاعت الزوجة الجاهلة الثروة فى ٢٤ ساعة، وعاش الرجل المريض ١٩٩ يوماً فقيراً معدماً، فلا القمار ولا سباق الخيل ولا البورصة ولا الأصدقاء يضيعون الثروات! إن الزوجة الجاهلة هى البالوعة التى تبتلع أعظم الثروات!

سيناريو: «عزالدين ذوالفقار»

المشهد الأول:

المستشفى - «نهار - داخلى»

«كونسلتو أطباء حول سعيد أبوالسعود، ينتهى الفحص، ويحملون إليه قرارهم الأخير بعد تشخيصيهم لمرضه العضال، لن يعيش أكثر من عام واحد».

المشهد الثاني:

قطع فى منزل «سعيد أبوالسعود» ـ «ليل ـ داخلى»:

«سعيد أبوالسعود لم يطرق النوم جفونه طوال النهار وجزءاً كبيراً من الليل، فكرة الموت تؤرقه، وليس هناك أقسى من الموت إلا أن تعرف موعده، لم يكن يطمع فى أن يكون صاحب ثروة ضخمة، كان كل ما يطمع فيه هو أن يعيش ليتمتع بالحياة.. إنه فى الخامسة والثلاثين، وكان يطمع فى أن يعيش حتى الستين، وفى هذا منتهى العدالة والقناعة، فليس كثيراً عليه أن يموت فى سن الستين».

المشهد الثالث:

مزج نفس الحجرة فى منزل «سعيد أبوالسعود» ـ «ليل ـ داخلى»:

«يجلس على كرسى أمام النافذة، إنه لايزال يفكر ويتحسر، إن كل ما يقلقه ويزعجه أنه قضى الخمسة عشر عاماً الأخيرة فى كفاح وعرق ليسعد الـ «٢٥ عاماً» التى كان يتمنى أن يعيشها، ما فائدة المال، وما جدوى العرق والكفاح، كفاح العمر.. إن كل ما جمعه من مال سيذهب معه إلى القبر.. إنه ثائر.. يريد أن ينتقم من القدر، لابد أن يمتع نفسه ويسعد من خلال هذه

السنة التى حددها له الأطباء بنفس القدر الذى كان سيتمع به، ويسعد نفسه فى ٢٥ سنة، سينفق فى سنة إدخار العمر الذى كان يطمع فى أن ينفقه خلال ٢٥ سنة».

المشهد الرابع:

مزج نفس المنظر ـ «فجر ـ داخلى»:

«سعيد أبوالسعود يهتدى إلى الفكرة والطريقة التى سينفق بها أمواله، قرر أن يتمتع بالدنيا، وأن يصرف مائة جنيه فى اليوم».

المشهد الخامس:

مزج فى بيت «سعيد أبوالسعود» ـ «نهار ـ داخلى»:

«مع المحامى ومدير أعماله، يطلب منهما بيع كل ما يملك، ووضع الثمن نقداً فى البنك».

المشهد السادس:

مزج منزل «سعيد أبوالسعود» ـ «نهار ـ داخلى»:

«المحامى يسلمه إشعار البنك، ومبلغاً كبيراً فى يده».

مزج.

مناظر متتالية لـ «سعيد أبوالسعود» مع.

المشهد السابع:

أ - أصدقاء يهبهم قروضاً ضخمة دون إيصالات.

المشهد الثامن:

ب - معارف وأقارب يستدرجهم فى الحديث ليعرف متاعبهم، فيساعدهم بسخاء وينفق عليهم ببذخ.

المشهد التاسع:

ج - فى كباريهات ودور لهو، مع الراقصات يفتح لهن زجاجات الشامبانيا والويسكى، ويعطيهن أموالاً بلا حساب، ويمنح الجرسونات وهم ينحنون تحت قدميه منحاً كبيرة لا يصدقها العقل.

المشهد العاشر:

د - فى الشوارع ومع الشحاذين، يهبهم مبالغ غير معقولة.

المشهد الحادى عشر ـ مزج:

فى منزل «سعيد أبوالسعود» ـ «ليلى ـ داخلى»:

«سعيد أبوالسعود.. سعيد.. لقد مضت سبعة أيام، استطاع أن ينفق فى كل يوم ١٠٠ جنيه، وهذا معناه أنه سيمكنه أن ينفق كل ثروته فى عام، أى حتى يموت».

اختفاء.

بعد أسبوع، مناظر متتالية لـ «سعيد أبوالسعود» مع:

المشهد الثانى عشر:

أ - الأصدقاء يرفضون القروض التى يقدمها، إذ يكفى ما فعله من أجلهم، وإنهم مدينون له بالكثير، ويحاول أن يقنعهم أن الذى عند الله باق لا يضيع، ولكنه يرفضون استحياءً، إنهم أصدقاؤه، ولن يستغلوا طيبه وكرمه، إلى أبعد من ذلك.

المشهد الثالث عشر:

ب -المعارف والأقارب، يرفضون الهبات والمساعدات، فهم لن يقبلوا إراقه ماء وجوههم أكثر من ذلك، إنه كريم وشهم و«إن كان حبيبك عسل ما تلحسوش كله».

المشهد الرابع عشر:

ج - فى الكباريهات ودور اللهو مع الراقصات يفتح زجاجات الشامبانيا والويسكى بلا حساب، ثم يفاجأ عند دفع

الحساب بأنه قضى سهرته على حساب الراقصات.. إن الراقصات يرين فيه رجلاً شهماً كريماً، خفيف الظل، مرحاً، حصل على «استلطاف» والاستلطاف يستدعى ألا يدفع هو دائماً، بل عليهن يوماً وعليه أياماً.. والجرسونات يرفضون منه هذا «البقشيش» الكثير.. أخذنا كثير يا بيه، ربنا يخليك، خيرك سابق، أنت عزيز علينا وبنحبك ومش معقول ناخد منك، مع نفس الانحناءات والاحترامات، ويخرج «سعيد أبوالسعود» حائراً سائراً.

المشهد الخامس عشر «قطع»:

ميدان معروف فى القاهرة ـ «نهار ـ خارجى»

«سعيد أبوالسعود» هائم على وجهه، إنه حزين، لقد مضى أسبوع، وعجز عن صرف الـ ١٠٠ جنيه التى كان قد قرر أن يصرفها كل يوم».

المشهد السادس عشر ـ مزج:

أمام جامع فى الميدان ـ «نهار ـ خارجى»:

«سعيد أبوالسعود مع شحاذ، يقدم له مبلغ ٥٠ جنيهاً، الشحاذ يرقص من الفرحة، ويهلل إنه لا يصدق أنه يوجد مثل هذا الرجل الكريم فى الدنيا، يتجمع حوله الناس، الشرطى يسرع إليه بينما يمضى سعيد أبوالسعود فى طريقه تاركاً

الشحاذ، الشرطي يستفسر عن الأمر، يبلغه الشحاذ عما فعله هذا الرجل الكريم، الشرطي لا يصدق، ويقوده إلى القسم، الشحاذ يستنجد بسعيد أبوالسعود، ويقسم أن هذا الرجل أعطاه ٥٠ جنيهاً، الشرطي لا يصدق، ويعتقد أن سعيد أبوالسعود مجنون، ولابد أن يقوده إلى مستشفى المجانين، ويدفع الشحاذ أمامه جرياً وراء سعيد أبوالسعود».

المشهد السابع عشر:

سيارة فخمة بداخلها «سعيد أبوالسعود» - «نهار - خارجي»:

«الشرطي ومعه الشحاذ، الشحاذ يطلب شهادة سعيد أبوالسعود، سعيد ينكر أنه أعطاه خسين جنيهاً، ويطلب من السائق أن يقود العربة بأسرع ما يمكن، إنه لا يريد أن يقضي باقي أيامه في مستشفى المجاذيب، إنه سمع الشرطي يقول ذلك، إنها أول وآخر مرة يعطي فيها شحاذاً ٥٠ جنيهاً».

المشهد الثامن عشر - «اختفاء»:

منز «سعيد أبوالسعود» - «ليل - داخلي»:

«إنه لا ينام، ماذا يفعل وأخيراً أطفأ النور ونام، لقد اهتدى إلى فكرة جهنمية، ربما قضت على ثروته قبل الموعد المحدد، وسيبدأ تنفيذها من اليوم التالي».

المشهد التاسع عشر ـ «مزج»:

«سعيد أبوالسعود يلعب بمبالغ ضخمة خيالية، الحظ يعانده، لا ليخسر، ولكن الحظ له بالمرصاد، إنه يكسب ويكسب ويكسب، وأخيراً يفر من النادى، وجيوبه محشوة بالأوراق المالية».

المشهد العشرين ـ «مزج»:

نادى سباق الخيل ـ «نهار ـ داخلى»:

«سعيد أبوالسعود يقضى خمسة أيام متتالية يبحث وينقب ويستفسر ويدرس ليتعرف على الخيول العاجزة الضعيفة التى ستجرى فى السباق، التى لابد أن تخسر، وفى يومى سباق الخيل يذهب ويراهن وهو متأكد من الخسارة، فيراهن بمبالغ كبيرة، وإذا بالخيول التى راهن عليها وهو متأكد من خسارته تكسب وتكسب، ويفر سعيد أبوالسعود من الحظ الذى يلاحقه، وجيوبه محشوة بالأوراق المالية».

المشهد الحادى والعشرين ـ «مزج»:

«إنه درس وتأكد من أن أسهم الشركة الفلانية فى هبوط وخسارة محققة، ولا محالة واقعة، فيشترى كل أسهم هذه الشركة، ويعود إلى بيته هادئ البال، لقد تأكد أنه سيقضى على كل ثروته بشرائه هذه الأسهم الخاسرة ١٠٠٪.

الشهد الثانى والعشرين ـ «مزج»:

منزل «سعيد أبوالسعود» ـ «نهار ـ داخلى»:

«سعيد أبوالسعود يقرأ جريدة الصباح، الجريدة تسقط من يده، إن الأسهم التى اشتراها بالأمس قد ارتفعت ارتفاعاً فاحشاً، تضاعف ثمنها. إن سعيد أبوالسعود يكاد يختنق من التخمة المالية التى أصابته، ثروته تتضاعف وهو يبعثرها بعناد، كل قرش يرميه فى الأرض يعود إليه جنيهاً وكل جنيه يرميه فى التراب يعود إليه ملفوفاً فى ورقة من ذات العشرة جنيهات.. إنه يكاد يجن.. إنه يائس.. وفجأة سمع صراخاً فى المطبخ، فيسرع إلى هناك».

ـ قطع.

المشهد الثالث والعشرين:

مطبخ «سعيد أبوالسعود» ـ «نهار ـ داخلى»:

«إنها مشاجرة بين الخادم والغسالة التى تحضر يوماً فى الأسبوع، إنها ساخطة غاضبة، وأمامها جبل من الغسل، عليها أن تغلسه كله، وهذا يستغرق منها أكثر من ١٠ ساعات، وكل ذلك نظير ٢٥ قرشاً.. إنها تلعن حظها العاثر، لقد أفقدتها مهنة الغسيل حيويتها ونعومتها ورقتها وأنوثتها.. إنها تلعن سنسفيل

الخادم الذى يرهقها بالغسيل، ويرهقها أيضاً بصده لها، إنه يرفض أن يتزوجها، حتى هذا الخادم الحقير، أو بعد ذلك أليس لها الحق فى أن تلعن الغسيل وأصحابه.. إنها تعود فى كل يوم إلى بيتها ويدها مشققتان، وأظافرها دامية من الغسيل والصابون والزهرة، وليت الأمر اقتصر على يديها، بل وصل إلى جسدها ووجهها، إنها «نقيبة الغسالات البشرية» فى القاهرة، ولكن بختها مايل مع الرجالة.. و«حقاً يعطى الحلق للى بلا ودان»، لو كان معها فلوس لكان الخادم شالها فى عينه لعنة الله عليه وعلى عينه، وعلى الفقر والبهدلة.. تقذف بقطع الملابس فى وجه الخادم، وتخرج ثائرة، ويبتسم سعيد ويناديها ويسير بها إلى الداخل.

المشهد الرابع والعشرين:

حجرة الجلوس المذهبة فى بيت «سعيد أبوالسعود»:

«الغسالة تجلس على الفوتيل المذهب الكبير، والخادم رغم أنفه وبناءً على أمر «سعيد أبوالسعود» يقدم لها كوباً من الليمون لتهدئ أعصابها، وتبرد وتخف من حدة لسانها، إنها رمز الجهل والغباء.. والجهل والغباء سلاح بتار قد ينتصر به «سعيد أبوالسعود» على الحظ الحسن، بسيطعنه به ليقضى عليه ويحوله إلى حظ سيىء، ليخلص منه، ومن ثروته نهائياً.. إنها آخر الأفكار

لدى سعيد، ويعرض عليها الزواج ولا تصدق، ولكنه يستبقيها فى منزله».

المشهد الخامس والعشرين:

حجرة مكتب «سعيد أبوالسعود» ـ «نهار ـ داخلى»:

«المحامى ومدير أعمال «سعيد أبوالسعود»، سعيد ينظر إلى التاريخ فيجد أنه باق له فى الدنيا ٢٠٠ يوم، وأن فى جيبه ٢٠٠ ألف جنيه، وعليه أن يصرفها كلها، ربما استطاعت هذه المرأة بجهلها وغبائها أن تصرف هذا المبلغ، ويطلب «سعيد» من المحامى ومدير الأعمال أن يحول كل رصيده فى البنك باسم زوجته الغسالة، والمحامى ومدير الأعمال فى ذهول.

المشهد السادس والعشرين:

منزل «سعيد أبوالسعود» ـ «ليل ـ داخلى»:

«أنوار ورايات وراقصات ومطربات والمأذون يزوج «سعيد أبوالسعود» من الغسالة، وهو سعيد جداً ويتم الزواج وينتظر «أبوالسعود» السعد».

المشهد السابع والعشرين:

اليوم ١٩٩ قبل الوفاة.. منزل «سعيد» ـ «نهار ـ داخلى»:

«المحـامى» يدخل على «سـعـيـد» مـهـرولاً، مـاذا حـدث؟ المحـامى يزف إليـه النبـأ، لقـد أنفـقت زوجـتـه «نقـيبـة الغـسـالات البشرية» كل ثروته فى يوم واحد.. «سعيد» يغمى عليه، المحامى يرش الكولونيا والماء على وجهه ليفق، ويسـرع بنقله إلى سريره.. إن سعيد سيعيش ١٩٩ يوماً هو وزوجته المنقذة حفاة عراة بلا مليم، ولكن كيف أنفقت ٢٠٠ ألف جنيه فى يوم واحد، كيف يمكن أن يفعل ذلك أى جهل أو غباء؟».

المشهد الثامن والعشرين:

بيت «سعيد أبوالسعود» ـ «ليل ـ داخلى»:

«سـعيد أبوالسـعود يرقد على سريره وزوجته إلى جواره تروى له كـيف أنفقت الـ ٢٠٠ ألف جنيه.. إنها نقـيبة الغـسـالات البشرية فى القاهرة، وعليها إنقاذ عضوات النقابة من قسوة الحياة وظلم المجتمع. لقد ذهبت بسيارة سعيد الفاخرة إلى مقر النقـابة على أحـد الأرصـفـة بميـدان السـيدة زينب وجـمـعت بنات جلدتها وسارت بهن فى مظاهرة تطوف بقية أحياء القاهرة، لجمع بقية الغسـالات من على الأرصفة، إنهن ألف غسـالة، سـارت بهن فى مظاهرة ضخمة وهن يحملنها على الأعناق ويهتفن لها، وطفن بجـمـيع المحـلات والمعـارض التى تبـيـع الغـسـالات الكهـربائيـة

واشترت ألف غسالة ودفعت فى كل غسالة ٢٠٠ جنيه، وأهدت كل غسالة بشرية غسالة كهربائية، حتى يرحمن أيديهن من التشقق وأظافرهن من نزيف الدماء، ويتزوجن جميعاً، ولم تنس أن تشترى لنفسها واحدة. ويغمى على «سعيد» مرة أخرى».

المشهد التاسع والعشرين:

حمام «سعيد أبوالسعود» ـ «نهار ـ داخلى»:

«الزوجة تحاول أن تدير الغسالة الكهربائية، ولكنها تفشل فتحطمها بأيد الهون، وتجلس أمام «الطشت» لتغسل جبل الغسيل بيدها وأظافرها، ورجعت ريمة لعادتها القديمة»، و«سعيد أبوالسعود» ينظر إليها شذراً».

المشهد الثلاثين ـ «قطع»:

حجرة نوم «سعيد» ـ «ليل ـ داخلى»:

«سعيد على سريره يدخن ويكلم نفسه، إن عليه أن يشارك هذه الزوجة الجاهلة ١٩٩ يوماً حتى يموت فلا القمار، ولا سباق الخيل، ولا البورصة، ولا الراقصات، ولا الخمر، ولا الأصدقاء، ولا الشحاذون يضيعون الثروات.. الزوجة الجاهلة وحدها هى البالوعة التى تبتلع أعظم الثروات.. الزوجة الجاهلة أقوى من القنبلة الذرية على التخريب والدمار والإفلاس!».

الفصل السادس

"الكلمة الناقصة"

بين "عز" و"إحسان عبدالقدوس"

جمعته بـ «عزالدين ذوالفقار» زمالة المدرسة، احتوتهما جدران مدرسة «فؤاد الأول الثانوية» سنوات، ثم تفرقت بهما السبل، فالتحق «عزالدين» بالكلية الحربية، ودخل «إحسان عبدالقدوس» كلية الحقوق، ثم جمعتهما زمالة الفن من جديد، الأول مخرجاً مرموقاً والثانى كاتباً قديراً، أما الصداقة فلم تنقطع واستمرت منذ يوم تعارفهما، حتى ودا ع أولهما الحياة.

فى مقاله الشهير «خواطر فنية» كتب «إحسان» عن «عزالدين ذوالفقار» كثيراً، عن أفلامه، عن مشروعاته، عن أحلامه، عن أخطائه، عن نزواته، عن آلامه.. كان «إحسان» يعتبر «عزالدين» ثروة قومية يجب المحافظة عليها، حتى لو بالقوة، ولذلك لم يتورع كاتبنا الكبير عندما أدرك أن صديقه يهمل صحته - فى سنوات مرضه الأخيرة - ويخالف تعليات الأطباء، ويستنزف بقايا صحته فى العمل الشاق، وفى التحضير لأفلامه الجديدة، لم يتورع عن أن يطالب بالقبض عليه، فكتب «إحسان» يقول:

«إننى أطالب بالقبض على «عزالدين ذوالفقار»، ووضعه فى أول طائرة تسافر إلى لندن، وإدخاله مستشفى هناك، وتقييده فى سريره إلى أن يتم شفاؤه.. إننى لا أتحمل أن أرى «عز» يكتب سيناريو «صلاح الدين الأيوبى» وهو راقد فى فراشه، ولا أحتمل أن أراه يخرج فيلماً وهو جالس فى مقعد متحرك، ولا أحتمل أن أراه يصيح: آه..، وقد قلت له إن الروماتزم يمتص ٥٠٪ من فنه، ونحن نريد كل فن عزالدين».

«إحسان» كان من الزوار الدائمين لبيت «عز»، والعكس صحيح.. وبكاميرته التقط «إحسان» لـ «عز» العديد من صوره، ومازال ألبوم «إحسان» يحتفظ بها، وبعضها متناثر على أرفف وجدران بيت «عز» حتى اليوم.

تحكى «كوثر شفيق» أن زوجها الراحل «عزالدين ذوالفقار» كان يتحول إلى طفل صغير، تتردد ضحكاته الصافية عالية وهو يسترجع أيام صباه، ويتذكر مواقف الشقاوة التى جمعته مع «إحسان عبدالقدوس»، وأشهرها وأكثرها تكراراً على لسانه تلك التى قاما فيها بمهاجمة عساكر قوات الاحتلال الإنجليزى، والاعتداء عليهم بالضرب الشديد وبما تيسر لهما من أدوات حديدية، ثم القفز فى عربات «الترومای» المتحرك، للهروب من المعركة، بعد أن يوقعا فى صفوف الأعداء خسائر فادحة بمقاييسهما طبعاً.

وفى أوراقه يعترف «عز» بأنه قتل ٢ من العسكر الإنجليز في مشاجرة دامية، وقعت فى كازينو «ببا عزالدين» بشارع عماد الدين، ووقتها كان «عز» ضابطاً صغيراً بالجيش، ويضيف فى أوراقه: «كانت تعمل ضمن فرقة المرحومة «ببا» مطربة إنجليزية تطاولت ذات ليلة على «ببا»، واستباحت لنفسها أن تمسك فى خناقها، وانحاز إليها معجبوها الكثيرون ضد «ببا»، ولكن المطرب محمد عبدالمطلب الذى كان يغنى فى الفرقة لم يرض بما لحق بالسيدة «ببا»، فأمسك بالمطربة الإنجليزية وضربها علقة أمام الجميع، وصرخت المطربة واستغاثت بالجنود الإنجليز - الموجودين بالكازينو - فأسرعوا يحيطون بـ «عبدالمطلب» وشقيقى الصغير «كمال»، وكان وقتها لايزال طالباً، ولكنه كان يعتز بقوته وشبابه فانضم إلى «عبدالمطلب».

ومازال «عز» يواصل اعترافاته: «رأيت هذا كله وأنا أطل على المعركة من الدور الثانى للكازينو، حيث جلستى المفضلة بعيداً عن ضجيج الصالة ورائحة الدخان والخمر واستهتار الإنجليز وألفاظهم.. وأسرعت بالنزول وتذكرت أننى أحمل مفتاحاً كبيراً مربوطاً بسلسلة، وقبضت على المفتاح بكل قوتى ولففت السلسلة حول قبضة يدى وهجمت على الجمع الكبير أبغى إنقاذ أخى و«عبدالمطلب»، وأخذت أضرب بالمفتاح ذات اليمين وذات

الشمال بلا شعور ولا حساب، واستطعت أن أنقذ الاثنين من موت محقق، وأسرع إلينا العاملون فى الكباريه واستطاعوا إخراجنا قبل أن يصل البوليس الحربى وتبقى «يا داهية دُقّى»، وعرفت بعدئذٍ أن ثلاثة من الإنجليز قد ماتوا متأثرين بجراحهم، وأحدهم انفقعت عينه».

وكان «عز» يعاير «إحسان» بعد ذلك أنه خاض هذه المعركة ضد الإنجليز وحده، ولذلك أوقع بهم كل تلك الخسائر الحقيقية.

وقف «إحسان» بقلمه إلى جانب «عز» فى معظم معاركه وأزماته بما فيها تلك الأزمة الطريفة التى كان خصمه فيها الكاتب الكبير نجيب محفوظ - مدير رقابة الأفلام آنذاك - وكان سببها قبلة ساخنة تجمع بين «رشدى أباظة» و«هدى سلطان» فى فيلم «امرأة فى الطريق» وخرج تقرير الرقابة معترضاً، وخرج مديرها نجيب محفوظ يقول عن «عز»: «إنه خطير، فى عينيه دهاء، وفى نفسه ثورة تنفجر كأنها ديناميت، وخطره يبدو أكثر فى إخراج المشاهد الجنسية، والدليل قبلاته المثيرة التى يبتدعها».

وراح «عز» يحلف لنجيب محفوظ أن شفاه «رشدى» و«هدى» لم تتلامسا: «إنها خدعة ولقد لعبت الكاميرا واختيار

زاوية التصوير واللبانة فى فم هدى أدوار مهمة فى نجاح هذا المشهد.. اتهام نجيب محفوظ لى لا أدرى إذا كان مدحاً أم ذماً، ولكن أؤكد أنه لم تظهر لى قبلات أو مشاهد مبتذلة على الإطلاق، والواقع أننى أدرس كل المشاهد دراسة كافية من كل النواحى وأنفذها بدقة، ولم يحدث أن قدمت مشهداً تقزز منه المتفرج».

ووقف «إحسان» إلى جانب «عز»، انتصاراً للفن والإبداع ولحرية الفنان، ولم يطل مقص الرقيب هذا المشهد الذى كان أحد أسباب طلاق «هدى سلطان» و«فريد شوقى» فيما بعد، ولذلك قصة أخرى لم يأت أوانها.

وأراد «عز» أن يرد لصديقه «إحسان» وقفته الشجاعة، فعندما سألوه: من أحسن أديب مصرى استطاع أن يصور القبلة فى رواياته؟ أجاب «عز» بلا تردد: «إحسان عبدالقدوس».. إنه أكثر من رائع «الكواكب ١٩/٤/١٩٦٠».

وفى الحوار نفسه اختار «عز» قبلة «نادية لطفى» و«أحمد رمزى» فى فيلم «حب إلى الأبد» كأجمل قبلة فى رأيه، مبرراً اختياره: «كان يوسف شاهين بارعاً فى تصوير كل قبلات هذا الفيلم، فقد كانت مدروسة دراسة تامة، وأحس بها إحساساً كبيراً، واستطاع أن يقدم أحسن «ميزانسين» لقبلة فى تاريخ أفلامنا».

اقترب «إحسان» من «عز» الإنسان والفنان، وعرف قيمته وقدره وموهبته، ومفاتيح شخصيته ومناطق ضعفه وقوته، ويوم مات رثاه بكلمات حارة، ترسم «بورتريهاً» حقيقياً بلا رتوش لصديقه، وتقدم تفسيراً لتلك الشخصية التى كانت تمثل لغزاً للكثيرين ولتلك النهاية الدرامية لحياته الصاخبة.. كتب «إحسان»:

«كانت المعركة الهائلة فى نفس «عزالدين ذوالفقار» هى معركة بين الإنسان والفنان، وراح «عز» ضحية معركته مع نفسه، مزقته تروس العجلتين الهائلتين، عجلة الإنسان وعجلة الفنان، وقد راقبت معركة «عزالدين» منذ كنا صغاراً، طالبين معاً فى مدرسة فؤاد الأول الثانوية، كان إنساناً طيباً، شهماً، وفياً، ولكن كانت فيه طاقة جبارة مجنونة، تنطلق أحياناً فيخرج إلى الشارع بالليل ويفتح صدره ويصرخ بأعلى صوته مقلداً المغنى الزنجى «بول روبنسون» فى دور «بوزامبو»، وكنا نضحك لصراخه ولم نكن ندرى أن هذا الصراخ هو انطلاقة طاقة فنية هائلة لم تتبلور بعد، وكان أيامها يقول لى: سأكون شيئاً كبيراً، ولكنه هو نفسه لم يكن يدرى ما هذا الشيء الكبير الذى سيكونه، كان كبيراً بيننا، كبيراً بإنسانيته، كبيراً بقلبه المفتوح لنا جميعاً، كبيراً برجولته وشهامته، ولكنه كان يحس بأنه سيكون كبيراً فى عالم أوسع من عالم أصدقائه، كبيراً جداً، ولم نكن ندرى أنه فنان، ولا هو نفسه كان يدرى أنه فنان».

وعندما التحق بالكلية الحربية عميت عنا وعنه حقيقته أكثر، اعتقدنا أنه رجل حرب، ولكن طاقته الفنية كانت تكبر، وتعذبه، ويبحث لها عن متنفس، إلى أن وجد عالم السينما، وبدأت طاقته تنطلق فى صور، صور يحركها ليصنع منها حياة كاملة، وقد رأيته وهو فى بدء خطواته، كان يقضى أياماً بأكملها يعد الموسيقى التصويرية لأفلام «عزيزة أمير» دون ملل، ودون زهق، هادئاً، سعيداً، وخياله يتطلع إلى عمل أكبر.

ومازال «إحسان» يرثى صديقه: «وبدأ يكتب القصص السينمائية ويقرؤها لى، قصص فيها عنف خياله، وجنون خياله، وجمال خياله، وتمضى الساعات وهو يقرأ لى قصصه ويمثلها، كل كلمة يقرؤها تنطلق من كل عصب فيه، وتبلورت حقيقته الفنية، وصنع شيئاً جديداً كبيراً، وبدأت معركته مع نفسه تشتد، المعركة بين الإنسان والفنان، والذين يعاملونه كإنسان لا يرحمون الفنان، والذين يعاملونه كفنان لا يرحمون الإنسان، وهو نفسه لا يرحم الإنسان ولا الفنان، لأنه لا يستطيع أن ينحاز إلى أحدهما ولا يستطيع أن يوقف المعركة بينهما، وراح «عزالدين»، لم تقض عليه أمراضه، ولكن قضت عليه معركته مع نفسه، وجلست معه فى آخر أيامه وهو يتعذب وأنا لا أستطيع أن أتكلم».

«إن كلامنا لم ينقطع خلال عشرين عاماً، ولكنى اليوم لا أجد كلمة أقولها، كنت أبحث عن شىء أفعله، أن أعطيه قلبى،

وأن أعطيه عمرى، فقط لا أريده أن يتعذب، ثم خيل إلىّ أن كل ما يحتاج إليه «عز» هو الأمل، عن الفن، عن الحب، عن قصصى التى يستعد لإخراجها، ولكنه يهز رأسه على الوسادة، لا، لا، لا، لا أريد شيئاً، فقط أريد أن أرتاح، وارتاح عز، وتركنا نتعذب بعده».

ورغم تلك الصداقة المتينة، والتقدير المتبادل بين الرجلين، فإنهما ـ «عز» كمخرج و«إحسان» كروائى ـ لم يجتمعا طوال العشرين سنة التى أشار إليها «إحسان» سوى فى ثلث فيلم، قصة من القصص الثلاث التى ضمها فيلم «البنات والصيف».

وعندما تنبها إلى ضرورة تكثيف هذا التعاون كان العمر قد فات، وكان «عز» يعمل فى الوقت الضائع، بعد أن هزمه المرض، وحل به التعب وأرقده فى فراشه يقاوم بكل طاقته، ورغبته فى الحياة، والتشبث بآخر أطرافها.

اتفق الرجلان على أن يخرج عز «الخيط الرفيع» ويتولى إلى جانب الإخراج كتابة السيناريو، وشرع «عز» يكتب وحوّل سريره إلى مكتب، وأنجز جزءاً كبيراً من السيناريو الذى صدره بتلك العبارة الرقيقة: «عشت أبحث عن الحب الحقيقى، أنا وقلبى، وفى خريف العمر – وقد بذلت كل جهدى لأقدمه للناس، وأعرف الناس، به كما توهمته، وكما تمنيته، وكما تخيلته – وجدته

وعرفته، وكان الوقت متأخراً، فما بذلته لمجرد تخيله وتوهمه جعل قلبى يمرض وجسدى يعتل، فمرّ بى، وتأملنى، بل وعرفنى، وبذلت له ما بقى فىّ من أنفاس وإحساس، كانت على وشك الفناء، فظلمنى ولم يعرف هو، إننى أحبه أيضاً، فى مقتبل العمر سيبحث عن غيرى، ولكنه لن يجد إذا عاد إلىّ إلا جسداً بالياً وروحاً نفدت».

كتب «عز» السيناريو بدمه وإحساسه، واتصل بـ «فاتن حمامة» ليطلب منها أن تستعد للتصوير، وراح يتخيل حركات الكاميرا والتقطيع، وكأن الفيلم أمامه من لحم ودم، ولكن كان للقدر كلمة أخرى ونهاية مختلفة، رحل «عز» دون أن يكمل مشروعه الأول مع «إحسان»، وكانت صدمة للجميع، تعالت بعدها أصوات بأن يُدفن هذا العمل مع صاحبه، حتى أحياه منتجه «جمال الليثى» بعد ٨ سنوات من رحيل «عز»، ورشح «بركات» لإخراجه، وجاء «بركات» بالبطلة التى رشحها «عز»: «فاتن حمامة»، وجاء هو بالوجه الجديد «محمود ياسين»، وبمعالجة جديدة للقصة كتبها «يوسف فرنسيس»، وظهر الفيلم للنور عام ١٩٧١ دون أية إشارة لـ «عز» مخرجه الأصلى.

قصة «الخيط الرفيع» ـ مشروع «عز» و«إحسان» الذى لم يتم ـ معروفة للذين عاشوا تلك الفترة، أما الذى لا يعرفه أحد، وبقى سراً فى أوراق «عز»، فهو مشروع آخر بين الصديقين،

قصة كتبها «إحسان» خصيصاً ليحولها «عز» إلى فيلم سينمائى، ولم ينشرها «إحسان» فى كتبه، طبقاً لما تؤكده «نيرمين القويسنى» - سكرتيرة «إحسان»، وأعرف الناس بإنتاجه، وما نشر منه وما لم ينشر- وتقول إنها رأت «عز» فى كابينة «إحسان» بسيدى بشر حيث تعودا أن يقضيا معاً الصيف بالإسكندرية، وتعرف أنه كانت هناك مشروعات للتعاون بينهما سينمائياً. أما القصة التى نعنيها هنا فلم ينشرها «إحسان» - كما تعود - على صفحات «صباح الخير»، وتظن أنه قدمها لـ «عز» مباشرة دون أن تمر عليها أو تكتبها على الآلة الكاتبة كما تعودت.

القصة التى عثرنا عليها فى أوراق «عز»، بين أحلامه الضائعة، ومشروعاته التى لم تكتمل تحمل اسم «الكلمة الناقصة» وننشرها هنا كاملة:

الكلمة الناقصة

كنت فى عيادتى ذات يوم أزاول عملى، وأبلغنى مساعدى خلال الفترة التى أقضيها فى راحة بين الانتهاء من مريض واستقبال مريض آخر - وهى فترة لا تزيد على خمس دقائق- أبلغنى أن «عباس بيه عبدالله» يريد أن يرانى، وكنت أسمع عن

«عباس بيه» – كلكم سمعتم عنه– وعن شركاته وثرائه، وتملكنى فضول عجيب، فإن مثل هذا الرجل لا يمكن أن يعترف بأن هناك ما يسمى أمراضاً نفسية، وإذا اعترف بوجود مثل هذه الأمراض فهو لا يلجأ إلى الطبيب النفسى أبداً، وإذا اضطر إلى اللجوء إليه فهو يختار طبيباً أجنبياً فى بلد أجنبى، يأمن أن سره لن يذاع، ورغم ذلك، فقد تملكتنى نزعة الاعتزاز بكرامة العلم، وبالنظام الذى وضعته لاستقبال مرضاى، والذى يقضى بألا استقبل أحداً إلا بعد تحديد موعد، وقلت للمساعد:

- حدد له ميعاداً.

وقال المساعد:

- حاولت.. لكنه مُصِرّ.

وفكرت قليلاً.. ثم قلت:

- خليه مستنى لغاية ما أخلص من كل الزوار..

وأنا أستعمل دائماً فى عملى كلمة «زائر» بدلاً من كلمة «مريض».

وانتظر «عباس بيه».. انتظر طويلاً.. واستقبلته فى الساعة العاشرة مساءً، ونظرت فى عينيه لعلى أستطيع أن استطلع حالته

النفسية.. مرضه.. ولكن لم يكن يبدو عليه مرض.. كل ما فى عينيه لهفة وجزع.

وجلست إلى مكتبى.. وأخرجت ورقة أسجل فيها ما أحتاج إليه من بيانات.. وقلت فى لهجة هادئة وبين شفتى ابتسامة مطمئنة:

- اسم حضرتك؟

وقال: «عباس بيه».. وشفتاه ممتعضتان كأنى أهنته:

- أنا مش جاى لك علشانى.. أنا جاى علشان ابنى «عصام».. تنتابه ساعات حالات غريبة.. يقفل على نفسه الأوده ويفضل يزعق.. ويمسك أى حاجة يلاقيها قدامه ويرميها فى الشارع، ونوبة لقى قدامه سكينة قطع بيها شريانه.. ودخلوا عليه لقوه قاعد يبص للدم اللى بينزف من إيده.. وبيعيط.

قلت كأنى لم أسمع شيئاً غريباً:

- عنده كام سنة؟

قال:

- خمسة وعشرين!

قلت:

- والحالات دى بتحصل له إمتى؟

قال:

ـ مش كتير.. ده شاب هادئ.. ورقيق.. وخجول.. و..

قلت أقاطعه:

ـ إمتى ابتدأت الحالات دى تحصل له؟

قال بعد أن فكر قليلاً:

ـ من خمس سنين.

قلت:

ـ ما تفتكرش حاجة حصلت له من خمس سنين؟

قال:

ـ أبداً ده كان طول عمره فى مدرسة داخلية.. من يوم ما توفت والدته حطيته فى مدرسة داخلية.. وطول عمره ناجح.. وعمره ما اشتكى من حاجة.. وبعد ما خد التوجيهية.. قعد معايا فى البيت ودخل كلية التجارة.. ونجح السنة دى بدرجة ممتاز.

قلت:

ـ حضرتك اتجوزت بعد والدته ما توفت؟

وفهم «عباس بيه» معنى سؤالى.. فأجاب بسرعة:

ـ أيوه.. إنما ده بيحب مراتى قوى.. عمرهم ما اتخانقوا مع

بعض.. ولا قامت بينهم مشكلة.. ده حتى لما بازعل مع مراتى بيقف هو فى صفها.. دايماً فى صفها.

قلت وأنا أسجل ما أسمعه فى مذكرة أمامى:

ـ الحالات دى بتحصل له كل أد إيه.. كل جمعة.. كل شهر.

قال:

ـ قليلاً جداً.. يمكن يقعد بالشهور وهو عادى.. ومرة واحدة تحصل الأزمة ويمكن تتكرر مرتين ثلاثة فى الشهر الواحد.

قلت:

ـ إمتى تكررت فى شهر واحد؟

وصمت طويلاً ليتذكر.. ثم قال:

السنة اللى فاتت.. زى اليومين دول؟

قلت:

ـ يعنى فى الصيف؟

قال كأنى ساعدته على التذكر:

ـ فعلاً فى الصيف.. الحالات دى دايماً بتحصل له فى الصيف.. دلوقت افتكرت!

قلت:

ـ ما لاحظتش عليه حاجة غير الحالات دى.. يعنى لما بيكون هادى مافيش حاجة غريبة بتلفت نظرك فيه؟

قال:

ـ أبداً.. يمكن بس كلامه قليل.. طول عمره ما يحبش يتكلم كتير.. دايماً ساكت.

واكتفيت بهذا القدر من الأسئلة.. وسكت طويلاً أحاول أن أراجع فى رأسى هذه المعلومات التى حصلت عليها.. وقال «عباس بيه» يتعجلنى:

ـ رأيك إيه يا دكتور؟

قلت:

– لازم أشوفه.

قال فى جزع:

ـ تشوفه.. تشوفه إزاى.. عايزنى أروح أقول له أنت مجنون وتعالى أوديك لدكتور مجانين.. مش ممكن.. ده بيتأثر من أقل حاجة.. شعوره رقيق جداً.. ماتقدرش تقول لى على حاجة أعالجه بيها من غير ما يدرى.

قلت فى هدوء:

- لازم أشوفه.

قال:

- وأجيبه لغاية هنا إزاى؟

قلت:

- فهمه بصراحة أنه عيان.. وأنه لازم يروح للدكتور!

قال:

- مش ممكن.

وقلت وأنا أبتسم فى ثقة لأطمئنه.. وأقوم واقفاً لأنهى الزيارة:

- ما تخافش.. أنا متأكد أنه حايسمع كلامك.. وييجى بنفسه لغاية هنا.. ثم راجعت قائمة المواعيد.. واستطردت قائلاً:

- أنا مستنيه يوم الخميس الساعة ستة.. وأحسن تخليه ييجى لوحده.. ما تجيش معاه.

وخرج «عباس بيه عبدالله».

وقضيت الأيام وأنا متلهف للقاء «عصام».. لا.. لأنه من الطبقة الغنية.. إن كل زبائنى من الطبقة الغنية.. والأغنياء أكثر

تعرضاً للأمراض النفسية من الفقراء.. فالفقير يجد فى متاعب البحث عن رزقه ما يشغله عن نفسه.. وما يلهى عُقده الدفينة فى عقله الباطن من الانطلاق.. أما الغنى.. فإن فراغ حياته.. وسهولة رزقه يجعله أكثر مخاطبة لنفسه.. ويجعل انطلاقات العُقد النفسية الدفينة أكثر احتمالاً.. ولكنى كنت أتلهف إلى مقابلة «عصام» لأن حالته فى نظرى مثيرة خطيرة.. حالة من حالات الدرجة الأولى.

وجاء «عصام»..

ونظرت إليه النظرة الأولى.. إنه شاب وسيم.. أكثر من وسيم.. إنه جميل.. جبينه عال.. عيناه عسليتان عميقتان.. فى نظراتهما حزن صامت يثير الحنان.. وحاجباه كثيفتان مقرورتان.. وأنفه رومانى.. وشفتاه مليئتان.. وقوامه ممشوق كأنه يمارس نوعاً من الألعاب الرياضية.. إنه شاب يخطف القلب.. لا تتمالك نفسك من أن تحبه وتعجب به.. والنظرة الأولى لها أهمية كبيرة عندى.. إنها تسجل التأثير الخارجى للشخصية.. وقد تعجبت عندما أحسست بأن شخصية «عصام» قوية.. تبدو كأن لا ضعف فيها ولا اعوجاج.

وجلست إلى مكتبى.. وجلس قبالتى.. وهو لا ينظر إلىّ.. وقلت له وأنا أسجل فى مذكراتى:

- اسمك؟

وسكت برهة.. ثم تنهد قبل أن يجيب.. وقال بلهجة ساخرة:

- لازم والدى.. قال لك على اسمى.

وابتسمت وكتبت فى مذكرتى وأنا أردد بشفتى:

- عصام بيه عبدالله.

ثم رفعت رأسى إليه.. واستطردت قائلاً:

- ولا عصام عبدالله.. بس.

قال وهو مُصر على لهجته التهكمية.. ومُصر على ألا ينظر إلىّ:

- الاثنين صح!

إنه شخصية متمردة.. وزوار عيادتى ينقسمون إلى نوعين من الناس.. نوع يأتى إلى الطبيب النفسانى ويبالغ فى سرد مظاهر مرضه.. فيكذب.. ويخترع القصص.. كأنه يحس أن مجرد حقيقة ما يعانيه لا تكفى لإرضاء الطبيب وإثارة اهتمامه.. ونوع من الناس يأتى وقد قرر بينه وبين نفسه أن يتمرد على الطبيب وأن يعاند.. وأن يتحداه.. كأنه يعتبر فشل الطبيب فى علاجه انتصاراً له.. ويبدو أن «عصام» من هذا النوع الأخير..

وقد صبرت عليه.

أخذت أسأله الأسئلة الروتينية التى أسألها لكل مريض.. وهو يجيب فى كلمات قليلة جداً.. ويتهكم.. وفى تهكمه ذكاء.. ولا يريد أن يواجهنى.. أو ينظر فى عينى.

وقلت له بعد أن انتهيت من أسئلتى.. وأنا أشير إلى الأريكة الجلدية التى تعود أن يرقد عليها مرضاى:

ـ تسمح ترقد على الكنبة دى.

وهز كتفيه ساخراً.. وقام فى تكاسل.. ورقد على الأريكة.. وجلست أنا على مقعد موضوع خلف رأسه وفى يدى قلم ونوتة المذكرات.. ثم تذكرت شيئاً.. فمددت يدى وأمسكت برسغه وأنا أقول:

ـ تسمح..

وترك لى رسغه لأقيس نبضه.. وقد أردت قياس نبضه لأن والده قال لى إن الحالات العصبية تنتابه فى شهور الصيف.. وقد كنا فى يوم شديد الحرارة.. فأردت أن أعرف إذا كان لحرارة الصيف أى تأثير فى جسمه.. ولكننى وجدت أن نبضه عادى.. بل لم يكن يبدو عليه أنه متضايق من الحر.. كنت أنا متضايقاً من الحرارة أكثر منه.

وقلت بعد أن تركت رسغه واعتدلت فى جلستى:

- اتفضل اتكلم.

وسكت.. لم يتكلم.. ولم يرد علىّ.

قلت:

- اتكلم.. لو سمحت.

قال فى كلمات بطيئة ساخرة:

- أتكلم.. أقول إيه؟

قلت وأنا لا أحاول أن أضع فى لهجتى حناناً.. فإن من واجب الطبيب النفسى ألا يسلط على المريض أى نوع من أنواع العاطفة.. حتى يراه على حقيقته:

- أنت متعلم يا «عصام».. وعارف أن الطبيب النفسى بيعالج الناس.. أتكلم.. قول أى حاجة تخطر على بالك.. اتكلم عن نفسك.. عن تاريخ حياتك.

قال فى برود:

- ماليش نفس أتكلم.

فقمت من على مقعدى.. واتجهت إلى مكتبى.. وألقيت القلم والنوتة من يدى وقلت فى لهجة عادية:

- إن شغلتى أن أساعدك يا «عصام».. وأول شروط

المساعدة أن تقبلها.. ومادام مافيش فايدة.. أنا أسف..
الزيارة انتهت.

ورفع «عصام» ظهره من فوق الأريكة.. ونظر إلىّ.. وضع
عينه فى عينى.. كأنه يريد أن يتأكد مما إذا كنت جاداً فى قولى..
ثم ظهرت علامات التردد على وجهه.. ونظرة حيرى فى عينيه.. ثم
عاد وألقى ظهره على مسند الأريكة.. وبدأ يتكلم من تلقاء نفسه.

عدت إلى مقعدى خلف رأسه.

وقد بدأ كلامه بطيئاً متردداً.. ولاحظت أنه اختار أن يتكلم
عن ذكرياته عندما كان طالباً فى القسم الداخلى بمدرسة
الليسيه.. وأنه بدأ الحديث عن ذكرياته عندما كان فى العاشرة
من عمره.. ولاحظت أنه عندما يتكلم عن أبيه يقول «والدى».. لم
يخطئ أبداً ويقول «بابا».. ثم بعد ذلك فليس فى حياته المدرسية
شيء شاذ.. أو مثير للانتباه سوى أنه يحب الموسيقى.. ويستمع
كثيراً إلى الموسيقى الكلاسيكية.. وإنه لم يسم صديقاً بالذات من
زملائه بالمدرسة.. وكان دوره فى أغلب القصص التى رواها.. دور
الشاهد.

ومع مرور الوقت.. تحرر «عصام» من تردده.. وأخذ يتكلم
بانطلاق كأنه نسى وجودى.. وكان يضحك أحياناً وهو يروى

بعض النوادر المدرسية.. وظل يتكلم قرابة ساعة.. حتى تعب من الكلام.. وتعبت أنا الآخر.. فاكتفيت بجلسة هذا اليوم.. وعندما قام منصرفاً.. شد على يدى.. ونظر فى عينى كأنه يشكرنى.. وتواعدنا على جلسة أخرى يوم السبت.

وبعد أن خرج عصام سجلت فى مذكراتى:

«يهرب من طفولته ....».

«انطوائى ....».

«العلاقة بينه وبين والده ليست طبيعية ....».

وقضيت اليوم التالى أفكر فى «عصام» وأستعرض حالته أكثر من تفكيرى فى أى مريض آخر من مرضاى، ولا أنكر أنى أحببته.. وأنى كنت ملهوفاً على إنقاذه.. واكتشاف سر الغابة الموحشة التى ترقد فى أعماقه.

وجاء عصام إلى الجلسة الثانية.

وبدأ يتكلم.

ولاحظت أنه بدأ يتكلم عن حياته وهو طالب فى الجامعة.. كان مسرح حديثه هو كلية التجارة.. لم يذكر شيئاً أبداً عن حياته فى بيته وفى بيت أبيه.. وهو دائماً يقول «والدى» ولا يقول أبداً «بابا».

ولم أخرج من الجلسة الثانية بشيء.. إلا إحساسه بالراحة بعد أن يتحدث إليّ.

وفي الجلسة الثالثة.. رقد على الأريكة.. ولاحظت أنه تردد كثيراً قبل أن يبدأ في الكلام.. ثم إذا به يعود إلى الكلام عن ذكرياته في مدرسة الليسيه، ثم فجأة قطع حديثه وقال وهو يعتدل في الجلسة:

- أنا تعبان النهاردة.. ماليش نفس أتكلم.

قلت مبتسماً:

- وأنا كمان ماليش نفس أسمع.. بس خليك قاعد تسليني لغاية مايجي ميعاد الزائر اللي بعدك.

وجلس فوق الأريكة صامتاً.. وسألته بلا اهتمام:

- أنت كنت بتقضي أجازتك فين وأنت صغير؟

قال:

- في إسكندرية.

قلت:

- مع والدك؟

قال:

ـ لا.. مع عمتى.

وسكت.. وأخذت أحدثه عن ذكرياتى أنا فى الإسكندرية عندما كنت شاباً.. وعن إجازاتى التى أقضيها فى أوروبا.. حتى أشعره بأننا نتحدث كأصدقاء.. لا كطبيب ومريض.. ثم بدأت أحدثه عن مغامرات شبابى.. عن البنات اللاتى عرفتهن.. وتعمدت أن أفيض فى تفاصيل بعض المغامرات التى تعودت أن أسمعها من مرضاى.. أخذتها منهم ونسبتها لنفسى ثم سألته فجأة:

ـ أنت مالكش مغامرات غرامية يا «عصام»؟

فالتفت إلىّ لفتة سريعة حادة وقال وقد برقت عيناه:

ـ لا.. ماليش.. ماليش.. عمرى ما عرفت بنت..

قلت وأنا هادئ دون أن يهتز منى رمش:

ـ غريبة.. تعرف أنى أول ماشفتك افتكرت إن كل كلامك حايبقى عن البنات.

قال محتداً وهو يقوم منتفضاً من مقعده:

ـ أنت فاكرنى جاى هنا علشان نقعد نتكلم عن البنات.. ماتيجى نروح نقعد فى النادى أحسن.. ولا نقعد على قهوة.

ولم أرد عليه.. ركزت عينى عليه.. منتظراً أى حركة تبدو

منه.. ولكنه أدار ظهره لى وخرج دون أن يجيبنى.

وشعرت يومها بالفشل.. خيل إلىّ أنى فتحت الجرح قبل أوانه.. وسجلت فى مذكراتى جملة واحدة.. أضفتها إلى ملاحظاتى السابقة:

«له علاقة غرامية شاذة».

وكنت قد اتفقت مع «عصام» على أن تكون جلساتنا بمعدل كل يومين جلسة.. وانتظرت الجلسة التالية بفروغ الصبر.. وجاءت الساعة السادسة ولم يدخل «عصام».

وناديت مساعدى وسألته عنه.. إنه لم يحضر.. والساعة السادسة والنصف.. والسابعة ولم يحضر.

وبدأت أعانى إحساساً بالضيق.. وهممت بأن أتصل بوالده تليفونياً وأسأله عنه.. وأطمئن عليه.. ولكنى فضلت ألا أفعل.. أن أتجاهله.. إن «عصام» تعمد ألا يحضر.. إنه يمر بمرحلة تمرد علىّ.. ومن الخير أن أتجاهله حتى لا أثير عناده.. وحتى لا أبدى له من الاهتمام ما يجعله ينفر منى.

وتجاهلته.

وكنت واثقاً من أنه سيعود إلىّ يوماً من تلقاء نفسه.. ولكن مضى أسبوع وأسبوعان وهو لا يحضر.. وأنا لا أستطيع أن

أنساه.. وبدأت أفقد ثقتى فى تقديرى.

وعدت أفكر مرة ثانية فى الاتصال به.. ولكنى قاومت.. قاومت لهفتى الشديدة على اكتشاف نفسيته.. لو أنى ضعفت فى يوم من هذه الأيام.. واتصلت به.. لخسرته.. وضاعت منى فرصة شفائه.. وبعد أسبوعين جاء «عصام».. كان وجهه ممتقعاً.. وعيناه مكدودتان.. واستقبلته استقبالاً عادياً.. ضغطت على أعصابى حتى لا يبدو علىّ شىء مما عانيته فى انتظاره.. وجلس على المقعد المجاور لمكتبى.. وهو لا ينظر إلى وجهى تماماً كما جاء أول مرة.. وقلت له فى صوت هادئ:

- إزيك يا «عصام»؟

ولم يجب.. قام من تلقاء نفسه.. واستلقى على الأريكة.. وقال فى صوت منهك:

- أنا تعبان.. أنا زهقان.. عايز أسافر.. عايز أهاجر من البلد دى.. مش عايز أشوف حد من اللى باعرفهم.. عايز أسافر بلد أشتغل فيها.. واكسب.. أسافر السعودية.. ولا لبنان.. ولا سويسرا.. أنا من أيام ما كنت صغير وأنا عايز أسافر.

وظل يتكلم عن تعبه.. دون أن أقول شيئاً جديداً وقررت وأنا أستمع إليه أن أفكر فى طريقة علاجى له.. أن أوجه حديثه

بأسئلتى.. بدلاً من أن أتركه يتحدث وحده.. وعلى سجيته.. وقلت له:

- ما تقول لبابا.. وهو يساعدك على السفر.

وضغطت على كلمة «بابا».. ولكنه قال كأنه لم يسمعها:

- والدى رجل صعب.. صعب قوى.

قلت بسرعة:

- آخر مرة اختلفتم فيها إمتى.. أو بمعنى إتناقشتم مع بعض؟

قال وهو ناظر أمامه:

- ما اختلفناش.. عمرنا ما اختلفنا.. ولا إتناقشنا.. إنما ده راجل صعب.

قلت وأنا جالس خلف رأسه.. وكأنى أجرى له عملية جراحية.. عملية بدون بنج:

- لازم مابتشوفوش.. لازم مشغول مع مراته.

وطللت عليه بعينى.. فرأيت وجهه الجميل ممتقعاً كأنه يعانى ألماً حاداً.. ثم قال كأنه يتكلم من بعيد:

- مراته مظلومة معاه.. أنت ماتعرفش بيعمل فيها إيه.. ده راجل ظالم ما عندوش رحمة.. ماعندوش قلب.. وسكت.

وقلت دون أن أقصد بسؤالى إلا أن أجعله يستمر فى الكلام:

- يظهر أنها صعبانة عليك قوى.. أنت بتحبها؟

وفجأة انتفض من فوق الأريكة.. وقد ازداد امتقاع وجهه.. وصرخ فى وجهى:

- احبها إزاى.. وإزاى تسمح لنفسك تتكلم عن واحدة ست بالشكل ده.. بأى حق تجيب سيرتها.. أنت قليل الأدب.

وأطرافه كلها ترتعش.. وشفتاه ترتعشان.. وعيناه متسعتان يلمع فيهما بريق هائل.. بريق أعرفه جيداً.. بريق الجنون.

وأخذت أهبتى لأصد أى اعتداء منه علىّ.. دون أن أشعره بأنى أخافه.. عينان ثابتتان فوق وجهه.. ووجهى جاد لا يتحرك.

ولكنه تركنى وخرج.

وسجلت فى مذكراتى:

«له علاقة شاذة بزوجة أبيه».

وكنت واثقاً هذه المرة أن «عصام» سيعود إليّ.. قد انتظر أسبوعاً أو أسبوعين آخرين.. ولكنه سيعود.. كنت قد أصبحت واثقاً من أن شخصيتى كطبيب قد سيطرت عليه.

وفى الساعة التاسعة.. أى بعد خروج «عصام» بثلاث ساعات دق جرس التلفون فى مكتبى وسمعت صوت «عباس بيه عبدالله».. يقول فى صوت متهدج:

- يا دكتور.. «عصام» جات له الأزمة تانى.

قلت بسرعة:

- الأزمة لسه عنده؟

قال:

- لا.. خلاص.. دلوقت نايم.. زى المغمى عليه!

قلت وأنا أشعر بخيبة:

- وعمل إيه أثناء الأزمة؟

قال:

- خطف بطيخة كانت على ترابيزة الأكل.. ورماها من البلكونة.. وقعد يزعق بأعلى صوته.. زعيق.. مجرد زعيق..

ويعـدين كـسـر لوح قـزاز.. وإيده اتعـورت.. ورجع رمى المخدة بتاعته من البلكونة.. ووقع على الأرض.. وقعد يعيط لغاية ما هدى.

أعمل إيه يا دكتور؟

قلت:

– ولا حاجة.. تانى مرة إذا جات له الأزمة اتصل بى أول ماتيجى..

ووضعت سماعة التليفون.. وجلست إلى مكتبى.. وجمعت كل المذكرات التى سجلت فيها أحاديث «عصام».. وحديث والده.. وملاحظاتى.. وأخذت أراجعها.. وأحاول أن أستخرج منها خيطاً واحداً متصلاً ينزل بى إلى أعماق «عصام».

إنه على علاقة غرامية بزوجة أبيه.. هذا مؤكد.. ولا شك أنهما ارتكبا الخطيئة، فزوجة أبيه سيدة مجتمع لها مغامرات كثيرة معروفة.. ولا يمكن أن تبخل بجسدها على «عصام» ـ حتى لو كان ابن زوجها ـ مادامت قد قررت أن تكون له.. ولابد أن هذه العلاقة بدأت منذ خمس سنوات.. بعد أن خرج «عصام» من المدرسة الداخلية.. وأقام فى بيت أبيه.

ولكن..

إن مثل هذه العلاقة لا يمكن أن تؤدى إلى هذا الحد من الجنون.. إنها تسبب عقدة نفسية، ولكنها لا تكفى لتكون عاملاً أساسياً لجنون كامل.. ربما كانت عاملاً مساعداً للجنون.. فما العامل الأصلى؟

إن «عصام» يكره أباه.. أو على الأقل.. العلاقة بينهما ليست عادية.. وهى ليست عادية منذ كان «عصام» طالباً فى الليسيه، فهو عندما تحدث عن هذه الفترة لم يذكر والده كثيراً.. وعندما كان يذكره كان يصر أن يسميه بلفظ «والدى».. ثم إنه كان يقضى إجازته بعيداً عنه فى بيت عمته بالإسكندرية.

فلماذا يكره «عصام» أباه؟

لابد أن هناك سبباً..

ولابد أنه سبب بعيد يرجع إلى أيام الطفولة.. و«عصام» يهرب من طفولته.. فما الذى حدث له أيام طفولته.. أدى به إلى الانطواء وأدى إلى كراهيته لوالده.. ثم أدى أخيراً إلى أن يصبح عشيقاً لزوجة أبيه؟

ثم..

لماذا تنتاب «عصام» هذه الحالات الجنونية فى الصيف.. وفى الصيف بالذات؟

إن هناك كلمة ناقصة.

كلمة لا يهمنى أن أبحث وراءها بل كل ما يهمنى أن يعرفها «عصام» بنفسه وأن يواجه طفولته.. ويخرج من أعماقه ما رسب فيها من ذكرياتها.

وانتظرت «عصام».

ولم ينقض يومان حتى جاء فى موعده.. باهتاً.. مهزوزاً.. كأنه شفى لتوه من حمى عنيفة.. ويده الجريحة مربوطة بالشاش.. ودخل إلىّ.. ودون أن يصافحنى أو يحيينى بكلمة.. رقد تواً على الأريكة.. وقال وهو ينظر إلى السقف:

- أنا ماشى مع مرات أبويا.. عملت معاها كل حاجة.. أبويا بيخرج من البيت واحنا نعمل كل حاجة.. باحبها.. لا.. مابحبهاش.. إنما والدى كان بيعذبها.. كان مضطهدها فى عيشتها.. وكان لازم أسعدها.. كان لازم أعوضها بالحب.. حتى لو كنت مابحبهاش.. وعوضتها.. أديتها كل حاجة.. كان لازم أعمل كده.. دى ست مظلومة.. ماتستهلش العذاب إللى بتشوفه من والدى.. قربت منها وفضلت أبص فى عينيها وبعدين حضنتها.. ماكانش قصدى حاجة، إنما هى مارضتش لأنها ست شريفة.. فضلت أتحايل عليها لغاية ما اطمأنت لى.. وحضنتها.. وبوستها فى خدها.. كانت ناقصة حب.. ناقصة حنان.. أديتها الحب والحنان.. وشديتها من أيديها وقعدنا على السرير.. عينها

الحزينة ابتدت تضحك.. حسيت أنى خليتها سعيدة.

وفضلت عايش فى بيت والدى أحميها منه.. وأخليها سعيدة.. كان لازم أعمل كده.. كان لازم أنقذها.. وأنقذ حياتها.

وظل «عصام» يتحدث ساعتين كاملتين، روى خلالهما كل التفاصيل.. أدق التفاصيل.. وأنا لا أقاطعه.. أسجل كل كلمة يقولها.

وخرج دون أن يرفع عينيه إلى وجهى.. ولكنه كان يبدو أكثر راحة بعد أن أزاح كل هذا العبء عن صدره.

واكتشفت فى هذا اليوم شيئاً مهماً.. أن زوجة الأب لم تغر «عصام» بنفسها.. كما كنت أعتقد.. إنما هو الذى أغراها.. هو الذى خطا إليها الخطوة الأولى.

وطبعاً لم أصدق ما قاله «عصام» من ظلم أبيه لزوجته.. إن زوجة «عباس بيه عبدالله» لا يمكن أن يظلمها أحد.. إنها امرأة فى الخامسة والثلاثين.. عضوة نشطة فى الجمعيات الخيرية.. ووجه لامع فى كل حفلات وسهرات القاهرة.. وهذا النوع من النساء لا يمكن أن يُظلم.

ولكن «عصام» أقنع نفسه أنها مظلومة.. ليغطى - دون وعى منه - انطلاق عقدة نفسية راسبة فى عقله الباطن.. عقدة تدفعه إلى الانتقام من أبيه.

نعم.. الانتقام من أبيه.

ليس هناك تحليل آخر.. وسجلت فى مذكراتى:

«الرغبة فى الانتقام من الأب».

ولكن لماذا يريد أن ينتقم من أبيه؟

الجواب فى طفولته.

ويجب أن يكتشف «عصام »الجواب بنفسه.. وبعد يومين دق جرس التليفون فى مكتبى.. وسمعت صوت «عباس عبدالله» يصرخ:

ـ الأزمة يا دكتور.

وكان معى مريض.. فاعتذرت له، وركبت سيارتى.. وقدتها إلى بيت «عباس عبدالله».. بأقصى سرعة استطيعها.. وأنا أتعجب خلال الطريق.. فقد كنت أعتقد أن هذه الأزمات ستتباعد بعد أن أفضى إلىّ «عصام» ببعض سره.

ووصلت البيت..

استقبلنى صراخ حاد قوى.. كأنه زئير وحش.. ورفعت رأسى فرأيت «عصام» واقفاً فى البلكون.. وقميصه ممزق وهو يصرخ.. وقد رفع بكلتا يديه بطيخة فوق رأسه.. وفى لحظة

وصولى.. ألقى البطيخة إلى الشارع.. فسقطت قريبة منى.. مهشمة.. وقلبها سائل كالدم.. الدم.

لابد أن هناك علاقة بين البطيخ الذى تعود «عصام» أن يقذفه.. وبين الدم.

وقفزت درجات السلم قفزاً، واستقبلنى الأب ووجهه غارق فى الهلع.. وصاح:

ـ ده قافل الباب على نفسه يا دكتور:

ـ اكسروا الباب.

وتعاون معى اثنان من الخدم.. ظللنا نخبط الباب بأكتافنا.. حتى فتحناه.. ودخلت.. وطلبت من الجميع أن يبقوا فى الخارج.

ورأيت «عصام» يلقى من البلكونة.. بعد البطيخة آنية زهور.. ثم عاد إلى الغرفة ليحمل شيئاً آخر يلقيه.. وهو يصرخ.. يصرخ.. واصطدمت عيناه بعينى.. عيناه تلمعان ببريق الجنون.. وشعره مهوش فوق رأسه وأنفاسه تتهدج.

واستعنت بكل شخصيتى وأنا أركز عينى فى عينيه.. واقتربت منه فى خطى ثابتة.. ورفع يديه ليضربنى.

ولكنى ظللت أنظر إليه.. عيناى فى عينيه.. وأنا أقترب منه

فى خطوات ثابتة.. وفجأة.. وقع على الأرض تحت قدمى وأخذ يبكى.

هدأ.

لم يبق منه إلا البكاء.

وفتحت حقيبتى.. وحقنته بحقنة مهدئة.. ثم عاونته على القيام إلى أن أرقدته فى فراشه.. وما لبث أن نام.

وعدت إلى عيادتى.

وكل ما استفدته.. أنى بعد أن أشعرت «عصام» بأنى رأيته وهو فى حالة جنون.. أصبحت أقوى شخصية عليه.. أكثر سيطرة.

وفى اليوم التالى مباشرة اتصلت به فى التليفون وقلت له فى لهجة نصفها أمر:

- فوت علىّ يا «عصام».

وقال فى استسلام:

- حاضر.

وجاء.. ورقد على الأريكة.. وقلت له قبل أن يتكلم:

- إسمع.. أنت عارف أنك عيان.. كده ولا لأ؟

– قال في صوت خافت:

– أيوه.

قلت:

ـ علشان تخف لازم تفتكر كل حاجة حصلت فى طفولتك وأنت صغير.. لازم تفتكر.. اعمل كل جهدك إنك تفتكر.

قال:

– افتكر إزاى يا دكتور؟

قلت كأنى أحاول أن أنومه تنويماً مغناطيسياً؟

ـ والدتك ماتت إمتى.

قال:

ـ كان عندى ست سنين!

قلت:

ـ ماتت إزاى؟

قال:

ما أعرفش.

قلت:

ـ لأ.. أنت عارف.. افتكر كويس.

قال وقد بدأ العرق يتصبب من جبهته:

ـ ماتت.. ماتت في حادثة.

قلت:

ـ حادثة إيه.. افتكر كويس.. أنت تقدر تفتكر.

قال:

ـ مش فاكر.. يا دكتور.. مش فاكر.. مش قادر افتكر.

قلت:

ـ لا.. افتكر كويس.. كان لون شعرها إيه؟

قال وأنفاسه تتهدج:

ـ شعرها.. شعرها.. كان لونه أصفر.

قلت:

ـ وكانت لابسة إيه؟

قال وكلماته تنطلق بصعوبة:

ـ كانت لابسة.. قميص.. قميص.. قميص نوم.

قلت:

ـ كانت واقفة فين.. افتكر.. أنت تقدر تفتكر؟

قال وعيناه زائغتان.. ومزيداً من العرق يتصبب على جبينه:

ـ كانت.. كانت واقفة فى البلكونة.

قلت:

ـ وبعدين.

قال:

ـ مش فاكر.

قلت:

ـ لأ.. فاكر.

وسكت.. فقلت فى لهجة آمرة:

ـ ماتسكتش.. وبعدين حصل إيه؟

قال ورعب شديد يملأ عينيه:

ـ وبعدين وقعت.

ثم صرخ:

ـ وقعت من البلكونة.

ثم بكى.

وتركته يبكى إلى أن هدأ.. ثم قلت وأنا أخفف من لهجتى:

ـ وكنت أنت واقف معاها.. مش كده؟

قال:

- أيوة.

قلت:

- وكان والدك كمان واقف معاكم وكان بيتخانق مع والدتك.

كانت والدتك زعلانة؟

قال:

- أيوه.. تمام افتكرت.

قلت:

- وبعدين لما وقعت بصيت وراها.. مش كده!

وهز رأسه بالإيجاب.. وعدت أسأله:

- شفت إيه.. لما بصيت؟

وتردد وأنفاسه ثقيلة.. كأنه يشهدها من بعيد:

- كانت نايمة على الأرض.. ورجليها عريانة.. ورأسها مفتوح.. ودم.. دم كتير.

قلت:

- وكان فيه حاجة كمان شفتها؟

وقفز عصام وهو يصرخ:

- لا.. لا.

وارتطمت يده المجروحة بالأريكة بعنف.

وازداد صراخه.

وتضاعف الألم.

وبانت العقدة.

فقد كانت صرخات الألم تكتب الكلمة الناقصة.

الفصل السابع

هكذا رأى النقاد أفلامه

الفن للحياة

قصة حب.. وقصة شعب

بقلم: حسن فؤاد

لعل فيلم «رد قلبى» الذى يتناول القصتين معاً: قصة حب، وقصة شعب، هو من أهم أفلام هذا الموسم السينمائى فى مصر، فقد أحرز نجاحاً كبيراً عندما عرض فى لبنان ثمانية أسابيع لم ينقطع فيها الجمهور عن التصفيق والهتاف فى مواضع كثيرة من الفيلم، ونفس الشىء حدث فى مصر فى اليوم الذى شاهدته فيه.

والواقع إن ما حدث فى بلادنا من تغيرات بعد ثورة ٢٣ يوليو، وما سبق هذا الحدث العظيم من ضغط وكبت وبداية انفجار، وما تلاه من تغيرات أساسية فى حياة المجتمع المصرى، لم تتناولها السينما المصرية بالقدر الكافى، ولهذا فإن «رد قلبى» يلاقى استجابة حادة من الجماهير المصريين والعرب عامة، لما به من أحداث لها مكانتها العميقة فى النفوس.

هذا بالطبع إلى جانب أن هذا الفيلم طويل وملون، بالسينماسكوب، وضع قصته كاتب مصرى معروف هو «يوسف السباعى»، الذى اشتهرت قصصه العاطفية من قبل، وعاصر الثورة وشارك فيها وانفعل بأحداثها، فكان له فضل المبادرة إلى تناول هذا الموضوع.

والقصة التى شاهدناها فى الفيلم تبدأ وتنتهى بقصة حب، وتتطور معها بتطور الأوضاع فى المجتمع المصرى مع قيام الثورة.

وعن قصة حب نادرة لا تحدث إلا مرة واحدة فى الحياة، ولدت فى الحدائق الزاهرة لأحد الأمراء السابقين بين ابنة الأمير وابن الجناينى، كانت علاقة لهو وألفة فى الصغر، تركت أثرها العميق فى قلب الأميرة الصغيرة عندما أنقذها ابن الجناينى ذات مرة من الموت، وظلت العلاقة تنمو بينهما حتى أصبحا شابين، هى تساعده من حين لآخر، فى دفع أذى أبوها وأخيها، وتتوسط له فى دخول الكلية الحربية، وهو يجاهد ويجتهد حتى يتفوق فى دروسه وينال المجانية.. يقويه ويشجعه حبه لعائلته وحبه لابنة الأمير، حتى تنكشف العلاقة أخيراً ويثور الأمير ويطرد الجناينى من العمل.. ويطرده أخيراً هو وأسرته من أرضه. لقد جلب هذا الحب الكوارث على الأسرة الفقيرة!

ونشهد الضابط المحب في مرحلة تالية من حياته وهو يتورط في حياة عابثة مع أصدقائه، فتحبه راقصة في كبارية، وتنشر الصحف أن ابنة الأمير تتزوج أمير مثلها، والعائلة والأصدقاء والأحداث تؤكد لبطلنا دائماً أن الفروق الاجتماعية الهائلة لا يمكن أن تمحوها العواطف، وكل شيء يبدو فاسداً، حتى واجب التضحية والفداء دفاعاً عن الوطن العربي فلسطين ينقلب إلى مهزلة والذخيرة الفاسدة تنطلق في صدور الضباط والأصدقاء.

وفي غمرة اليأس والألم يقرر أن يتزوج حبيبته الجديدة راقصة الكباريه، ولكن الأيدي الفاسدة تمتد مرة أخرى إلى حبيبته، فتموت في حريق القاهرة المشهور في ٢٦ يناير عام ١٩٥٢، لقد ضاعت بهجة الحياة إلى الأبد، ولكن بصيصاً صغيراً من الأمل يمسك بيده ويقوي عزيمته، ويبصره بالحب الكبير.. حب الوطن.

إنه ضابط حر، من الأحرار، الذين أقسموا على أن يحرروا مصر.

وتأتي ثورة ٢٣ يوليو، ويطرد «فاروق»، وتصادر أموال الأسرة المالكة، وينتدب صديقنا لمصادرة أموال الأمير، نفس الأمير الذي أحب ابنته من قبل.

ويلتقى العاشقان فى موقف درامى غريب، فهى مازالت تحبه كما كانت، ولم تكن قطيعتها إلا خوفاً على مستقبله، وهو قد جاء بنفسه ليتحفظ على الثروة التى وقفت حائلاً بينهما، وعندما أرادت أن تغادر القصر معه، تصدى لهما أخوها المتعجرف وأطلق النار، ودارت معركة جرح فيها بطلنا الضابط وقُتل فيها الأخ.

وينتهى الفيلم بمشهد في المستشفى، وابنة الأمير تلتقى بحبيبها من جديد، وقد أشرقت على مصر حياة مشرقة، ليس فيها أمراء ولا عبيد.

لقد أمكن الآن أن يتزوج الضابط الحر المنتصر من ابنة الأمير التركى، الذى سام المصريين من قبل الذل والعسف، والذى قاوم ابنه الثورة فحرق المحاصيل وأطلق الرصاص.

ولكنها ثورة رحيمة.

وهذه هى عبرة الفيلم.

وبالطبع يحيط بهذا الخيط الأساسى للقصة، صور من حياة الأسرة المصرية التى تكافح من أجل أن يتعلم أبناؤها ويصبح لهم الحق فى أن يكونوا ضباطاً فى الجيش والبوليس، يقابلها فى الناحية الأخرى صورة لحياة الأمير اللاهى، هو وابنه

المشاكس الذى لا يحترم المصريين، وينقلنا الفيلم فى مشاهد جديدة على الشاشة المصرية، إلى الحياة فى المدرسة الحربية، ومناظر بديعة فى حدائق الأمير وداخل قصره.

وقد امتاز الفيلم على وجه العموم بصناعة سينمائية من الدرجة الأولى، وإخراج كامل فى المشاهد، وإن كانت الرابطة التى توثق أحداث الفيلم وتنميها واحدة بعد الأخرى ضعيفة.

فقد اعتمدت وحدة الفيلم على «الناريشن».. أى كلام الراوى، أكثر مما اعتمدت على الصور، إلى درجة أهمل فيها التعبير عن أهم تطورات القصة، كثورة ٢٣ يوليو، التى تمثل نقطة التحول الخطيرة فى أحداث القصة كلها.

فقد اكتفى المخرج بأن قدم لنا مشهداً للشروق كتب عليه ٢٣ يوليو، دون أن يترجم لنا هذا إلى مشاهد مصورة تهز نفوسنا وتجعلنا نستعد تلقائياً لنقبل التغيرات الهائلة التى ستحدث بعد ذلك.

ولعل السيناريو هو السبب..

فقد أخل بنسب الحوادث فى الرواية، كان يهتم بالتفاصيل - إلى درجة الملل أحياناً - على حساب الوحدة والأحداث الرئيسية فى الفيلم.

وعلى سبيل المثال، شخصية الراقصة وتطور علاقتها بالضابط حتى ماتت، توسع السيناريو فيها دون أن نتبين أثر هذه العلاقة على قصة الفيلم، الذى أهمل فيه تطور علاقة حب الضابط بابنة الأمير، وهى قصة الحب الرئيسية.

ولعل عيب السناريو راجع إلى أن «يوسف السباعى» هو الذى وضعه، ومؤلف القصة يخطئ دائماً ترجمة أحداث قصته إلى السينما، فهو يسرف ويقتر لأسباب عاطفية تتصل بحرصه على الأشياء التى يحبها فى قصته، حتى لو أخلت بوحدة الفيلم السينمائى.

أما الديكور، فكان عيبه الوحيد مناظر بيت الجناينى، كأن أثاثه قد وضع فى ركن سياحى، ولم يجعلنا نحس بفارق كبير فى الذوق بينه وبين قصر الأمير.

أما التمثيل فكان ممتازاً فعلاً، وخاصة «كمال يس» الذى أدى دور الضابط الحر بنجاح، وبلا تكلف أو خطابة فى الإلقاء، ورغم قصر ظهوره على الشاشة، فقد عوض المتفرجين ما أغفله الفيلم من تعبير نفسى دسم عن الثورة.

كذلك نجحت الوجوه الجديدة التى قدمها الفيلم وأجاد «صلاح ذوالفقار» و«أحمد مظهر» فى تمثيل دوريهما دون أن يكررا شخصيات سينمائية سابقة.

أما «حسين رياض» و«شكرى سرحان» و«فردوس حسن» و«أحمد علام» و«زهرة العلا» و«مريم فخر الدين» وبقية الممثلين المعروفين فكانوا فى قمة نجاحهم.

ولعل أكثر ما هزنى فى الفيلم مواقف حب الأسرة لأبنائها، كانت أجمل تعبير عن حب المصريين الممتزج بالتضحية حتى يتعلم الأبناء، وكانت هذه المواقف فى قمتها فى المشهد الذى ذهب فيه الجناينى إلى الأمير ليخطب ابنته.

إن «رد قلبى» مجد يتوج هامة المنتجة «آسيا» التى تضرب مثلاً فى إيمانها برسالة السينما، وكفن يعبر عن الشرف والخير وحب الوطن.

فيلم «رد قلبى» خطوة إلى الأمام
لا عذر للسينمائيين بعد ارتباط الأدب بالسينما

بقلم: عبدالرحمن الخميسى

لا تعرف الطفولة سدوداً تقوم بين طفل وآخر، لا تعرف الطفولة تلك التفرقة الطبقية التى تقف حائلة بين طفل صغير وبين طفل آخر.

غير أن نفوس الأطفال ترتطم مذهولة بتلك السدود، عندما يريد طفل أن يلعب مع آخر، فيصيح والد أحدهما - وهو الأمير -

لا، لا يا ابنتى، لا تلعبى مع ذلك الطفل لأنه ليس من مستواكٍ.. إن ذلك الطفل هو ابن الجناينى الذى يشتغل عندنا.

وتنطوى نفس «إنجى» الطفلة الصغيرة على الاستغراب، وتنطوى نفس «على» ابن الجناينى على الألم.

إن والد «على» يعمل فى حدائق الأمير والد «إنجى»، ولكن «على» يحب «إنجى» هذه، ويريد أن يلعب معها فى الحديقة، يريد أن تتشابك يده فى يدها، وأن يقفزا معاً القنوات، وأن يقطفا معاً الزهور، وأن يجريا ويتعانقا.

إن «على» يطوى جوانحه على الألم والخجل، ويحس حقيقة تلك التفرقة.

ومع ذلك فهو ينقذ «إنجى» عند الخطر، عندما تكاد تسقط من فرع شجرة فى الحديقة إلى ماء النهر وهى تلعب.

ويرى الأمير تلك الواقعة، فلا يبيح لابنته الطفلة أن تلعب مع «على» ابن الجناينى، ولكنه يدفع ثمن ذلك إحساناً من المال.

لقد اشترى إنقاذ الطفل للطفلة بالنقود، وهو لا يدرى أن الدافع إليه، لم يكن انتظار النقود، بقدر ما كان هو الحب المتبادل بين الطفلين.

لقد زاد تعلق «إنجى» بـ «على» بعد تلك الحادثة، وتكوم الطفل عند جذع الشجرة.

وتحسب «إنجى» أن «على» قد أصابه سوء، فعجز عن المشى.

وتسأل والده عن السبب، فيصرح لها بأن بنطلونه ممزق.

وتتفق «إنجى» مع مربيتها على أن يحملا إلى «على» بعض ملابس شقيق «إنجى» الصغير الأمير «علاء».

وتذهب «إنجى» إلى منزل الجناينى فتقابلها «أم على» فرحانة بزيارتها.

وتصرح «إنجى» لـ «أم على» بأنها تحمل بعض الهدايا إلى «على».

ويسمع «على» وهو فى داخل المنزل الحوار الدائر بين أمه وبين «إنجى» ليهرب، يقفز من النافذة.

إن «على» يرفض أن يكون موضع الإحسان، وخاصة من طفلة هو يحبها.

وكبر الأطفال، فيتوجه «على» وأخوه إلى المدرسة، ويحصل كل منهما على شهادة البكالوريا.

«على» و«إنجى»، الجناينى يحـذر ولده من نتـيـجـة ذلك، «عـلاء» يفصل بين «إنجى» وبين «على».

تعود فتتـجـدد اللقـاءات بين الاثنين، «علاء» يخـبـر والده الأمير بتفاصيل الحكاية، الأمير يثور ويأمر بفصل الجناينى من العمل، الأسرة تقع فى أزمـة، «على» يصـيبـه اليـأس مما جـرى والشـعـور بـأنه مـذنب فى حق الأسـرة، «على» يحبس نفسـه فى الكلية الحربيـة ولا يخـرج فى أيام الإجـازات، شقـيق «على» يلح عليه فى الخروج كى يشـاهد والده ووالدته وهمـا فى أشد الشـوق إليه، «على» فى المنزل يصاب بحمى ويهذى باسم «إنجى»، الوالد الجناينى يندفع من البيت إلى قصر الأمير ويتوسل إلى الأمير أن يقبل زواج «على» بـ «إنجى»، الأمير يصدر أوامره بالقبض على الجناينى وإرساله إلى مستشفى المجاذيب، الجناينى يعـود إلى بيته وهناك يصاب بالشلل وفقدان النطق.

يجب على الأسرة أن تكافح وتكافح، أصبح «على» ضابطاً فى الجيش وأصبح شقيقه ضابطاً فى البوليس، وصورة «إنجى» لا تفـارق قلب «على»، ولكنها هـى تشـفق عليه وتبـعـد عنه، تشـفق عليـه من أن يقتلوه، ويتـعـرف «على» إلى راقصـة من الراقصـات بواسطة أخـيه، وقـد صنعت تلك الراقصـة المستـحيل كـى تجذب «على» إليها، لقد أحبته هى ومنـحته كل مـا فى وسعها، ولكنه ظل منصرفاً عنها.

وتعود الأحداث فتتلاحق، تقوم حرب فلسطين وتنفضح جريمة الأسلحة الفاسدة، و«سليمان» يتزايد ألمه، لا لنفسه، ولكن لكل جندى فرد من أفراد الشعب المصرى الذى يعانى الويلات من نظام الحكم الفاسد.

وتنمو العلاقة بين «على» وبين الراقصة ويصمم أن يتزوجها، ويحصل من والديه على الموافقة، ويتحدد يوم ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ موعداً لعقد القران.

وفى ذلك اليوم، يرتكب الملك والاستعمار والإقطاع جريمة حريق القاهرة.

وتشاء الظروف السيئة أن تحترق الراقصة فى ذلك الحريق.

ويذهب «على» إلى الراقصة فى المستشفى ليراها وهى تحتضر.

وتصرح له بأن «إنجى» مازالت تحبه، وبأنها «أى الراقصة» أخفت عنه خطاباً كان مرسلاً إليه من «إنجى»، تقول فيه: إنها تعمدت أن تظهر مع أحد الأمراء فى بعض المجلات، كى يقول الناس إنها مخطوبة له، تعمدت «إنجى» ذلك كى تصرف أنظار أبيها وأخيها «علاء» عن «على» كى تحمى مستقبله وتؤمنه، كى تفى لحبها.

وتعود فتتلاق الأحداث.

إن «على» مشترك فى هيئة الضباط الأحرار.

وفى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢، قامت الثورة المصرية، بقيادة «سليمان»، لتطرد الملك رأس الإقطاع المتحالف مع الاستعمار كخطوة أولى لإصلاحاتها المتوالية.

وهنا يصدر أمر بتعيين «على» فى لجنة المصادرة.

ويتجه «على» إلى سراى الأمير فيقابل «إنجى» التى لا تفهم موقفه أول الأمر، ولكنها تعود فتدرك كل شىء على حقيقته.

غير أن الأمير «علاء» يقف فى شرفة القصر ويصوب مسدسه إلى «على» فيصيبه فى ذراعه، ويطلق «على» بدوره رصاص مسدسه فيردى ذلك الأمير السافل قتيلاً.

وتنتهى القصة بزواج «على» من «إنجى»، بعدما زالت تلك الحواجز غير الإنسانية بين قلبين متحابين.

هذا عرض سريع جداً لقصة فيلم «رد قلبى» الذى ألفه «يوسف السباعى» وقام بإخراجه «عزالدين ذوالفقار»، ومثل أدواره: «أحمد علام»، «حسين رياض»، «شكرى سرحان»، «صلاح ذوالفقار»، «كمال ياسين»، «مريم فخر الدين»، «فردوس محمد»، «زهرة العلا»، و«أحمد مظهر» وغيرهم.

وإني أقدم التهنئة، لكل من اشترك في هذا الفيلم.

إني أعتبر هذا الفيلم خطوة إلى الأمام في ميدان السينما المصرية للأسباب الآتية:

أولاً – يعالج الفيلم قصة اجتماعية مرتبطة بنظام حكم فاسد، ويحل تلك القصة على يد ثورة وطنية أصبحت نقطة تحول نزدهي بها في تاريخنا الوطني.

ولا يعالج الفيلم تلك القصة بطريق الخطابة ولا الزعيق، وإنما بطريق الفن.. إنه اتجاه بالفيلم المصرى إلى ميدان كان يسعى أن يرتاده الفيلم المصرى، اتجاه بالفيلم المصرى إلى إيضاح الارتباط الوثيق بين القضية الوطنية من ناحية، وبين سعادة الناس ورفاهيتهم واطمئنانهم حتى إلى الحب من ناحية أخرى.

ثانياً– يعتبر هذا الفيلم أيضاً خطوة إلى الأمام من ناحية الصناعة الفنية.

ذلك لأن السينما سكوب شيء جديد على صناعتنا السينمائية المصرية، وإذا كانت بعض الألوان في الفيلم قد شحبت أقل أو أكثر مما ينبغي في التصوير، فليس يلغي هذا أن صناعة الفيلم متقدمة بشكلها العام تقدماً يدعو إلى التهنئة والابتهاج.

ثالثاً- استطعنا أن نحس قدرات الفنانين الذين مثلوا أدوار الفيلم بنجاح وتوفيق عظيمين، لأن الرواية أعطت أولئك الفنانين مجالاً بقدراتهم الفنية.

وهنا ينبغى أن يكف بعض السينمائيين عن القول بأنه لا توجد قصة مصرية صالحة للسينما.

كان هذا القول عذراً فيما مضى.

أما اليوم، فقد اقتحم الكتّاب ميدان السينما، وأثبت فيلم «رد قلبى» لأولئك السينمائيين أن لدينا قصصاً رائعة صالحة للإنتاج السينمائى.

لقد شاهدت لنفس المخرج «عزالدين ذوالفقار» فيلمين فى أسبوع واحد، الأول هو «طريق الأمل»، والثانى هو «رد قلبى».

إنه نفس المخرج، ولكنهما قصتان مختلفتان، الأولى خيالية مفتعلة الحوادث، خرجت بعد مشاهدتها وأنا آسف على ضياع الوقت الذى أنفقته فى صالة السينما.

والثانية «رد قلبى» قصة واقعية متقدمة، شاهدتها، فامتلأ قلبى بالمتعة وبالثقة فى قدرة نفس المخرج.

وأستطيع أن أقول فى إيجاز إن «رد قلبى» يعتبر خطوة

إلى الأمام فى نواحى التأليف والإخراج والتمثيل والتصوير جميعاً، ذلك لأن كل العمليات الفنية مترابطة يكمل بعضها الآخر.

وأختم مقالى هذا بتهنئة كل الذين أسهموا فى هذا الفيلم، وانتظر منهم المزيد.

رد قلبى

بقلم: محمد التابعى

الأفلام المصرية التى تستحق أن يكتب عنها قليلة العدد.

وأقل منها عدداً الأفلام التى تستحق المشاهدة.

وأقل قليلها التى تستحق الإطراء والإعجاب.

ومنها فيلم «رد قلبى». ومؤلف القصة هو زميلنا ـ دينامو الكتابة والتأليف والنشاط – «يوسف السباعى»، ومخرج الفيلم «عزالدين ذوالفقار»، والإنتاج للسيدة «آسيا»، والتصوير لـ «وحيد فريد».

وهذا إسهاب فى التفاصيل لم يعهده فىّ القراء من قبل، ولكننى اليوم حريص على أن أنوه بالجهود المشرفة فى إخراج فيلم مصرى مشرف.

و«رد قلبى» خليق بأن يقارن وأن يقف على قدم المساواة مع الأفلام الأجنبية، بل لعله يتفوق على كثير منها، من حيث القصة والمغزى والهدف، ومن حيث الإخراج والحوار والهدف والتمثيل. فقد أجاد أبطال وبطلات الفيلم كل الإجادة وخصوصاً «مريم فخر الدين» و«زهرة العلا».

وأعترف اليوم أننى ترددت طويلاً قبل أن أذهب وأشاهد هذا الفيلم.

ترددت بسبب خيبة الأمل فى أفلام مصرية عديدة سابقة.

ولكننى أعود فأقول إن «رد قلبى» فيلم حقيقة يشرف صناعة السينما فى مصر، وكل ما أرجوه أن يكون «رد قلبى» خطوة كبيرة فى الطريق الصحيح.. تتلوها خطوات كبيرة أخرى بإذن الله.

نهر الحب

بقلم: سعد الدين توفيق

إننى متفائل، وأعتقد أن عام ١٩٦١ سيأتى بخير كثير فى الميدان الفنى، فقد ظهرت فى العام الماضى نقط لامعة تبشر بأننا بدأنا نتقدم بخطوات واسعة فى الاتجاه السليم، وأملى كبير فى أننا سنقطع فى العام الجديد شوطاً كبيراً فى هذا الاتجاه.

وكان من حسن حظى أننى شهدت فى الأسبوع الأول من هذه السنة فيلمين جميلين توافرت فيهما عناصر كثيرة ساعدت على نجاحهما، وما يسعدنى أن المستوى الفنى للفيلمين كان طيباً جداً، وأهم من هذا كله أنهما كانا بعيدين تماماً عن التهريج والكلفتة والإسفاف.

فيلمان نظيفان إلى أبعد حدود النظافة.

أول هذين الفيلمين هو «نهر الحب»، الذى أنتجه «حلمى رفلة»، وأخرجه «عزالدين ذوالفقار»، ومثلته «فاتن حمامة» مع «زكى رستم» و«عمر الشريف»، وقصة الفيلم مقتبسة عن «آنا كارنينا» للأديب الروسى الكبير «ليو تولستوى».

ولا اعتراض لى على الاقتباس من ناحية المبدأ، وأنا أرى أن هناك قصصاً تنجح نجاحاً عالمياً ككتاب مطبوع، ولكنها تفشل إذا نقلت إلى المسرح أو الشاشة أو الإذاعة، ومنها هذه القصة بالذات، فإن «تولستوى» أديب كبير ترجمت أعماله إلى لغات الأرض وأحبه القراء فى كل بلد.. لأنهم قرءوا له قصة «روسية» جميلة تمتاز بالعمق ودقة التحليل وروعة الأسلوب، إلا أنها عندما أخرجت فى السينما مرة فى هوليوود ومرة فى لندن فشلت فشلاً ذريعاً.. وقد رأيت الفيلم الإنجليزى، وكان من أردأ الأفلام التى ظهرت فيها «فيفيان لى».

أما قصة الفيلم العربى التى أعدها «عزالدين» مع «يوسف عيسى» فكانت جميلة إلى حد كبير، إلا أنها ظلت بعيدة عن طبيعة حياتنا وأخلاقنا وتقاليدنا.. فالأخ عندنا لا يشجع أخته على الخيانة الزوجية، ولا يهيئ لها فى بيته فرص اللقاء مع عشيقها، ولا يدافع عن تركها بيت الزوجة وطفلها، وهروبها إلى لبنان مع حبيبها.

والخيانة الزوجية كانت تبدو فى الفيلم جميلة جداً، ومعقولة ـ ولا أبالغ إذا قلت ـ بل وضرورية!

صحيح أن الرجل العجوز الثرى «زكى رستم» لم يحسن معاملة الفتاة الصغيرة «فاتن» التى تزوجها، أو لم يستطع أن يمنحها حياة زوجية سعيدة، ولكنها فتاة شريفة محترمة، فضلاً عن أنها أصبحت أماً لطفل تعلق بها وتعلقت به، وكان الأرجح أن ترضى بالمكتوب، وأن تضحى بقلبها، وعاطفتها، وشبابها فى سبيل بيتها، وطفلها، وسمعتها.

وفى القصة نقطة فرعية اعتقد أنها غير سليمة، وهى معاملة الأب لابنه الطفل، فقد كان قاسياً غليظاً جافاً، لم نر منه قطرة حنان واحدة، هذا فى حين أن الشيوخ عندما يتزوجون فى شيخوختهم وينجبون أول طفل لهم، يذوبون رقة وحناناً، بل إن

إفراطهم فى التدليل يفسد الطفل ويتلف تربيته.

وكان هناك أيضاً العيب التقليدى فى أفلامنا وهو «الصدفة»، التى تجلت فى اللقاء الثانى والثالث بين الحبيبين، ثم فى اجتماع أبطال الفيلم فى ميدان القتال بفلسطين، ومع هذا كله فقد سارت حوادث الفيلم فى نعومة ورقة وعذوبة جعلته قصيدة رائعة، وكنت أحب أن يخلو من الخطبة التى ألقاها فى البداية «جلال معوض»، ثم من «الشرح» أو «الربط» الذى كنا نسمعه بصوت «فاتن»، لقد كانت القصة واضحة وتطوراتها واضحة لا تحتاج إلى شرح أو تعليق.

والبطل الأول فى هذا الفيلم هو المخرج «عزالدين» يصعد باستمرار، كل فيلم جديد له أقوى وأعظم من فيلمه السابق، وبرز مجهوده بقوة فى مشاهد حلم «فاتن» وتفسير الحلم، وعندما أبلغتها «أمينة رزق» على التليفون أن ابنها «عمر الشريف» فى المستشفى، وعندما عاد أخوها «عمر الحريرى» من ميدان القتال، وقالت له: «أوع تقول إنه مات»، وعندما التقت نظراتهما فى دار الأوبرا، وعندما ظهرت فاتن داخل «القفص».. بعد أن قبلت الزواج من «زكى رستم»، ثم ظهور صورة الزفاف بين أعمدة درابزين السلم ورأيناها من أسفل تبدو «مرتفعة» لكن «محبوسة»، وعندما رقصت وحدها فى القاعة الكبيرة.

ونجحت «فاتن» نجاحاً كبيراً، وأكدت أنها لاتزال ممثلة الشاشة الأولى، أما «زكى رستم» فكان عملاقاً ـ كعادته ـ وتألق «عمر الشريف» و«عمر الحريرى»، وكان «فؤاد المهندس» شربات، خصوصاً عندما رسم اللوحة التى سماها «كسفة»!

وكلما رأيت «زهرة العلا» تمثل دوراً ثانوياً فى فيلم جديد، تمنيت أن تتاح لها الفرصة لأن تمثل الدور الأول، فإنها ممثلة قديرة جداً وأداؤها على الدوام فى مستوى رفيع.

أما «أمينة رزق» فقد ظهرت للحظات قصيرة فى دور «أم عمر الشريف»، ولكنها كانت لحظات غنية وقوية، أبدعت فى مشهد حزنها المكتوم بلا دموع ولا نواح عندما كان ابنها فى المستشفى.

وعادت إلى الظهور على الشاشة فى هذا الفيلم ممثلة ممتازة احتجبت مدة طويلة عن المسرح والسينما، وهى «سامية فهمى» التى قامت بدور شقيقة الوزير «زكى رستم» وأدته أداءً طيباً، ولفت الأنظار الطفل «وجدى» الذى مثل دور ابن «فاتن»، وهو من أحسن الأطفال الذين رأيتهم فى الأفلام العربية شكلاً وصوتاً وتمثيلاً، كان دوره طويلاً، ولكنه نجح فيه إلى حد يثير الإعجاب.

وهناك كثيرون يجدر ذكرهم والإشارة بجهودهم، ولكنى سأكتفى بثلاثة لا أحب أن أنساهم وهم المسئولون عن التصوير والإضاءة، والديكور، والموسيقى التصويرية، لأنها كانت جميعاً مشرفة وأسهمت مساهمة رئيسية فى نجاح الفيلم.

امرأة فى الطريق

بقلم: حسن إمام

رائع جداً فيلم «امرأة فى الطريق»، كقصة يختلف جوها عما ألفه الفيلم العربى، عمقت فى الحوادث حتى ليخيل إليك أنها صورة زاهية من خوالد فيلم عالمى.

ورائع جداً المخرج «عزالدين ذوالفقار»، الذى استوعب المعانى فى أغوارها، وسردها بوضوح فى لقطات هى السهل الممتنع بعينه.

رائع جداً التمثيل الذى قدمه «رشدى أباظة» كمتهم برئ فى منطق القوى العطوف، والذى قدمه «زكى رستم» فى دور الوالد الذى عقدته حادثة فأعمت بصيرته، وأصابته حادثة فأعمت بصره، والذى قدمه «شكرى سرحان» كابن جنى عليه الحنان الغاشم، ولعبت به امرأة جامحة، والذى قدمته تلك المرأة الجامحة

ـ الغازية ـ «هدى سلطان» التى تشتهى من الرجال شقيق زوجها، ويشتهيها كل الرجال ماعداه.

رائع جداً أن يكون هذا الفيلم مصرياً لحماً ودماً، فهو الفيلم الذى وددنا جميعاً أن يكون لنا.

إننى أضع القلم لأشد على أيدى الجميع، خصوصاً يد المخرج الذى يسير دائماً إلى الأمام، والذى أشم فى أعماله طيب العرق، ونسمع فيها صدام الأعصاب.

فى ميزان النقد الفنى

فيلم «امرأة على الطريق»

بقلم: صلاح مكاوى

تعودت أن أضع يدى على قلبى كلما عرض فيلم مصرى جديد، وتعودت أن أفتقد قلبى من مكانه كلما تلقيت دعوة لحضور «العرض الأول» لفيلم جديد، إنها مهمة ليست سهلة ولا يسيرة، أن تتلقى دعوة رقيقة من منتج أو مخرج صديق، يتوقع منك ـ دائماً ـ أن تشد على يده فى نهاية العرض مهنئاً بالعمل الجديد.

تعودت أن أضع يدى على قلبى كلما تلقيت دعوة كهذه، وتعودت أن أشفق على نفسى من هذه التجربة «الخلقية» المريرة،

التى تضعنى فى موقف لا أحسد عليه، ولهذا آلفت اختلاق المعاذير و«المشاغل» حتى أنجو بنفسى من هذا «العبث النفسى» الثقيل.

وفى مساء أحد أيام الأسبوع الماضى، تلقيت دعوة «عجيبة» لحضور العرض الأول لفيلم «امرأة فى الطريق»، كانت دعوة عجيبة حقاً، لأنها كانت مشفوعة بتوصية صادقة جادة لعلها الأولى من نوعها، توصية بأن أتحرر من كل الظروف والاعتبارات فى نقدى للفيلم، وأن أتحدث عما قد أجده فيه من مأخذ بنفس الحرارة التى أشيد بها بمحاسنه، وقبلت الدعوة فى حفاوة وحماس، وقلت لنفسى: إنها فرصة أغمض فيها «قليل» عن معظم ما شاهدت من الأفلام المصرية.

وإننى أتساءل اللحظة: هل كان «حلمى رفلة» واثقاً من نفسه إلى هذا الحد، وهو يطلب إلىّ ألا أترفق بأية أخطاء أجدها فى الفيلم، هل كان يحس بالفعل أنه يقدم عملاً يعيى الناقد الذى يترصد للأخطاء بعينين مفتوحتين ويسجلها فى حماس!

ومع ذلك فهذا رأيى فى الفيلم:

القصة :

صادقة، وتلك أهم سمة تميزها، قطاع حقيقى نابض بالحيوية من حياتنا المصرية، بما تضج به من مشاكل، وعقدة

مشكلة «الأخين» اللذين انحدرا من زوجتين اثنتين، واللذين يكيل لهما الأب بمعيارين مختلفين تماماً.. واحد يلقى من الأب كل صنوف التدليل والرعاية، والآخر يفتقد الحنان، بل يفتقد وجوده كله فى حياة أبيه، وتدخل المرأة اللعوب فى حياة الأسرة، تدخل كزوجة للابن المدلل، طائع، الذى لا يصنع شيئاً للحياة، وتلعب دورها الخطير المدمر، تلقى بشباك الغواية إلى الابن المائع المدلل، ويختفى كل أثر للسلام فى حياة الأسرة المصرية التى وضعت القصة نماذجها فى دقة وبراعة.. وعمق.

وأنا هنا لا أقدم سرداً لموضوع القصة، ولكننى أكتفى بالإشارة إلى «المحور» الذى تتجمع وتتصارع من حوله أحداث القصة.

الإخراج:

عندما أتعرض لإخراج «امرأة فى الطريق» أشعر بأننى لا أضيف جديداً إلى رأيى فى «عزالدين ذوالفقار».. إن «عز» من أقدر مخرجينا على تفهم القصة التى يضطلع بإخراجها، والتعمق فى أغوار النفوس البشرية التى يعالجها، وربط الأحداث وتسلسلها بالطريقة التى تستحوذ على أعصاب المتفرج طوال الفيلم، إن عزالدين يثبت مرة أخرى أنه أستاذ فى فنه، ويسلبنى

فرصة الاستمتاع بالحرية التى أعطانيها «حلمى رفلة» فى نقد الفيلم.

التمثيل:

«هدى سلطان»: الدور الذى اضطلعت به «هدى سلطان» فى «امرأة فى الطريق» يعتبر بحق انتصاراً فنياً.. إن «هدى سلطان» تقتحم مجالاً جديداً، وتثبت أنها فى دور المرأة اللعوب الطاغية الأنوثة لا تقل عنها فى دور الضحية البريئة المظلومة.

«شكرى سرحان»: كما عهدناه، قادراً، متمكناً، مجيداً، يصل بأدائه الفذ إلى أعماق القلوب.

«رشدى أباظة»: كان «بطلاً» من رأسه إلى قدميه، وانتزع الكاميرا فى أكثر من موقف.. إننى أعتبر دوره فى هذا الفيلم نقطة وثوب وتحول فى نشاطه الفنى.

«زكى رستم»: يتوج بدوه فى «امرأة فى الطريق» تاريخاً حافلاً بالمجد الفنى، كان «زكى» عملاقاً فى دوره، كان يعيشه، ولا يمثله، وتلك آية التفوق.

الإنتاج:

تحية للمنتج «حلمى رفلة»، لقد بذل لإنتاجه الجديد كل عناصر النجاح، ولم يبخل عليه بشىء، وحشد له أضخم

الكفايات، وييسر لمخرجنا العتيد كل الظروف المواتية، وإلى لقاء قريب مع تحفة جديدة!

الرجل الثاني.. والرجل الأول

بقلم: كامل التلمساني

مزيج مما لذ وطاب، وأكثر من قصة تجمهرت جميعاً في شريط واحد يستغرق عرضه ثلاث ساعات، حيث عصابة خطيرة لتهريب النقد يتزعمها «كاظم» الرهيب «رشدي أباظة».

يلاحقه ضابط البوليس «صلاح ذوالفقار»، وتخرج من الظلام إلى أضواء، تحتها ترقص «سامية جمال»، وتقود أذنيك طلقة مسدس إلى أغنية لـ «صباح»، ثم موقف درامي عنيف يستنزف منك دمعة، وضحكة تنفلت منك مع نكات استقر عليها حوار «يوسف جوهر»، ولا يلبث أن يبترها حديث عاطفي تخرسه القبل، يتبادلها «صلاح» مع «صباح»، ثم إثارة جنسية تشيعها فساتين «صباح»- ولهذه المطربة معين لا ينضب من الفساتين - وفي النهاية يموت «كاظم» الرهيب، وفوق جثته مشروع زواج بين «صباح» و«صلاح».

هذا هو فيلم «الرجل الثاني» أما الرجل الأول فيه فهو مخرجه والمشترك في تأليفه: «عزالدن ذوالفقار».

و«عزالدين» هو منتجه أيضاً، لذا نلمس الترف الباذخ، فى كل ما تراه عيناك، أغدق على فيلمه أموالاً طائلة، وصل به الحال إلى قمة الصناعة، صوره النابغة «وحيد فريد» فكفل له جمالاً وفتنة، حشد من الممثلين، تفنن فى الإخراج يأسرك ويسحرك، والحق يقال: لم تر أفلامنا مثل هذه الاستعراضات الضخة التى وضع مناظرها «شادى عبدالسلام»، لتضم أغانى «صباح» ورقصات «سامية».

ولقد كنا نصفق حتى تدمى أيدينا لهذه الإجادة كلها، لو أنها أتتنا من أى من مخرجينا إلا «عزالدين»، فمثله نطالبه بما هو أكبر.

وإما نطالبه بما هو أبعد من تكريس فنه وجهده لموضوع لا تخرج منه فى نهاية الأمر إلا بأن «الجريمة لا تجدى»، فيلم للتسلية والترفيه، فلمثل هذه المواضيع السانجة كثير، أما «عزالدين» فلا.. أليس هو مخرج «رد قلبى»، و«بين الأطلال».. وأليس هو من ننتظر على يديه مولد فيلم «الناصر صلاح الدين».

وكما لا نقبل من مفكر مثل «طه حسين» أو «توفيق الحكيم» أو «نجيب محفوظ»، كتاباً سطحياً لا يقدمنا خطوة جادة إلى الأمام، حتى لو قدمه فى مائة ألف صفحة من الورق اللامع

المصقول، كذلك لا نقبل أبداً من «عزالدين ذوالفقار» هذا الفيلم البوليسي الغنائي الراقص الضاحك الباكي.. حتى لو قدمه في ١٧ فصلاً يستغرق عرضها ثلاث ساعات.

إنه أكبر من هذا، فلقد نضج «عزالدين» سناً وفكراً، ولا أرى هذا النضوج الفكري خلف رجله الثاني، حامل المسدس، صديق الراقصات، صريع المطربات، والغواني.

طريق الأمل

بقلم: موسى صبري

فيلم مصري ناجح يضاف إلى أفلام هذا الموسم التي أثبتت أن السينما المصرية قد وصلت إلى أعلى مستوى معروف الآن في الإخراج السينمائي، والتمثيل.

وفكرة الفيلم قديمة، بائعة الهوى الشريفة، قصة الفتاة التي تبيع نفسها حتى تنقذ أمها المريضة، ثم تقابل الشاب المنقذ النبيل الذي يحبها ويأخذ بيدها ويحاول أن يتزوجها، وهنا تعترض عائلته وتناشد الفتاة أن تشفق على مستقبله وتبتعد عن طريقه.

وتضحي الفتاة، وترجع إلى سوق الرقيق من جديد، بعد أن توهم حبيبها بأنها مجرد بائعة، لا تتعامل بالحب، ولا تعرفه.

ثم تقودها المصادفات إلى إنقاذ أخت حبيبها من براثن ذئب بشرى، وتضحى بنفسها من أجلها، وتقدم للمحاكمة، ولكن الحقيقة تظهر.

وبعد سنوات فى السجن، تعود إلى حبيبها من جديد.

ورغم الامتياز فى إخراج مشاهد الفيلم، إلا أنه كان طويلاً، وخاصة فى المواقف العاطفية الحساسة التى كانت تستدر دموع المتفرجين فى أكثر من موضع، وتصبغ دور فاتن بإطار حزين، يذكرنا بأدوارها القديمة، حينما كانت متخصصة فى دور البنت المضطهدة طوال الفيلم.

وكان التمثيل ممتازاً فى جميع الأدوار، «شكرى سرحان» فى دور العاشق الشريف، و«رشدى أباظة» الذى برع المخرج بإظهاره فى دور الشاب الطيب المرح، بعد أن احتكر الأدوار المكروهة مدة طويلة، و«ميمى شكيب» و«وداد حمدى» و«علوية جميل».

بقيت ملاحظة..

جملة «فتاة لها ماض» التى تتكرر فى معظم الأفلام المصرية لا يتداولها الناس أبداً فى سوق الحياة، فالناس تعبر عن هذا المعنى بأكثر من طريقة، ولكنها لا تذكر هكذا إلا إذا كانت

مكتوبة.

الوجه الجديد «أحمد مظهر» فى فيلم «طريق الأول» من حقه أن يمتلئ بالأمل فى مستقبل عريض على الشاشة. الممثلة «زهرة العلا» فى مواقفها العنيفة أمام «فاتن حمامة»، تهز الدموع فى القلب قبل العين. عدسة «وحيد فريد» نفذت إلى خبايا النفوس قبل أن ترسم لوحات الوجوه. إخراج «عزالدين ذوالفقار» تشريف للسينما المصرية. حوار «يوسف جوهر» يمكن أن يوضع فى إطار الكلمات المأثورة.. ولكن القصة.. قديمة.. قديمة جداً.

كوكتيل

بقلم: زكى طليمات

فى الأفلام البوليسية، حينما تطول القصة حتى يستغرق عرضها ساعتين ونصف ساعة، حينما تتجاوز مفاجآتها حد الاعتدال، مع تباطئ فى بعض المشاهد، فإن عنصر الإثارة، الذى هو أساسى فى هذه الأفلام، يفقد تأثيره على الجمهور، بدافع الملل، ثم بدافع تبلد شعور الجمهور وتراخيه، بعد الانتباه المتواصل، والشد المستمر.

والفيلم الذى تجرى كل حوادثه فى الريف، يكون مستساغاً وبليغاً فى أثره، إذا أجاد المخرج اختيار قطاعات

جديدة من مناظر ريفنا التى تتشابه، ثم ساعدته قصة لها من الريف بساطته ورجولته.

هاتان الحالتان وجدتا المثل الواضح، والتطبيق الكامل فى كل من فيلمى «الرجل الثانى» و«صراع فى النيل».

«الرجل الثانى» أنتجه وأخرجه وقدمه «عزالدين ذوالفقار».

و«عزالدين» مخرج له وزن وله انتصارات فى السينما، ولكنه - كما يظهر - يطمع فى المزيد، يريد أن يكون منتجاً وكاتب قصة، ومخرجاً.. كل هذا فى وقت واحد.

وحينما ينتهى المخرج إلى هذه الحال، فالغالب أن يقع فيما لا يتمناه وفيما لا يقدره.

والسبب؟

هو يريد أولاً فى إنتاجه - الذى يغذيه بماله- أن يجئ بحيث يحقق النجاح المادى والفنى، فإذا هو يبالغ - دون أن يشعر - فى حشد كل العناصر التى تجتذب الجمهور، يريد أن يقدم «خلطة» أو «كوكتيل» جديراً بأن يسيل لعاب كل آكل وشارب من الجمهور، ولكنه فى دفعته هذه ينسى أشياء.

ينسى أن الفنان له رأس واحد، وليس له ثلاثة رءوس، وأن الاجتهاد غير النبوغ، وأن النبوغ غير العبقرية، وهو ينسى، أن

الخلط والمزج، لكل منهما، حدود ومعايير.

وهذا عين ما حدث فى فيلم «الرجل الثانى»، مفاجآت بوليسية، مجرم أول، ومجرم ثانٍ، وثالث، ورابع، منسوقات عاطفية، ضحك، حزن، رقص، غناء، امرأة شقراء، امرأة سمراء، وثالثة لا لون لها.. كل ما يمكن أن تتأثر به العين فى عشرة أفلام.. مع التواضع!

ولو اجتمع هذا فى فيلم يستغرق عرضه المدى المألوف، ولم يستغرق ساعتين ونصف ساعة، لأمكن تناوله وهضمه، مع القهوة السادة، ولكن!

وأدع ما وراء هذه الكلمة من معنى مباشر، لأديرها على معنى آخر.

ولكن هذا الفيلم جدير بالتقدير لما بذل فيه من جهود من جانب المخرج والمصور.

وأحسن ما فى الفيلم، تقديم الأغانى والرقصات.

أخرجها «عزالدين» إخراجاً سينمائياً، وليس إخراجاً فوتوغرافياً كما يقع لأكثر المخرجين.

شارع الحب

بقلم: موسى صبرى

هذا الفيلم «شارع الحب»، أحدث ضجة طوال فترة إخراجه، فقد تعرض العمل لأكثر من أزمة بين مخرجه «عزالدين ذوالفقار» ومنتجه «حلمى رفلة»، الذى أطلق على الفيلم اسم «كوفاديس» تدليلاً على بطء المخرج فى عمله. ولكن تلك الأزمات كانت مجرد فورة أعصاب، فقد وصلت تكاليف الفيلم إلى أكثر من ٣٥ ألف جنيه، وهذا مبلغ كفيل بأن يفقد أعصاب أى منتج مصرى، ولكن «حلمى رفلة» كان يعود إلى هدوئه دائماً، كلما شاهد أى جزء ينتهى «عزالدين ذوالفقار» من إخراجه، فتعود الابتسامات لتربط بين المخرج الممتاز وبين المنتج الذى آمن بأن الآلاف قد تحولت إلى فيلم جيد.

وقصة الفيلم هى مأساة رسمت بالكاريكاتير، فأنت تضحك وتبكى فى وقت واحد، وأنت ترى أحداث القصة بعيدة عن الواقع، ولكنها تمثله! فليس معقولاً أن ينقسم أى ناد نسائى إلى فريقين، تتزعم كل فريق فتاة لتجرى المباريات بينهما على خطف الرجال بأسلوب علنى فاضح، هذا هو الكاريكاتير الذى رسمته القصة، وهو يعبر عن الواقع فى الوقت نفسه، لأن هذا يحدث فى

المجتمع المنحل، بأسلوب غير مكشوف. والطبقة الفقيرة لا تمثل في الواقع الأخلاق الحسنة، إن الفقر أحد أمراض الأخلاق في أي مجتمع، ولكن الوجيعة المشتركة يمكن أن تخلق الطيبة في القلوب، وقد بالغت القصة في مظاهر هذه الطيبة، ولكن المبالغة تعبر عن الواقع.

وفيلم «شارع الحب» يؤكد حقيقة فنية يجب أن يفطن إليها المنتجون، وهي أن أسماء النجوم المشهورين وحدها ليست هي عماد النجاح، بدليل أن «عبدالحليم حافظ» و«عبدالسلام النابلسي» قاما ببطولة فيلم «حبيب حياتي» في الموسم الماضي، وقد سقط الفيلم، وبدليل أن «صباح» ظهرت في ستة أفلام في الموسم الماضي أيضاً، ولم يكتب لها النجاح المتميز. إن تفوق الفيلم، يعتمد أيضاً على القصة الممتازة، والإخراج المكتمل، وهذه العناصر توفرت في «شارع الحب»، وهذا أول فيلم لـ «عبدالحليم حافظ» أشعر فيه ببطولته الحقيقية، التي أبكتني في ثلاثة مواضع من القصة. لقد أجاد «عبدالحليم» في تمثيله، مثلما أجاد في أغانيه، وأنا لا أخشى عليه لو ظهر في فيلم دون أن يغني.. لعل هذا التعبير مبالغة مني، مثل مبالغات قصة «شارع الحب»، ولكنها مبالغة لا تجتنب الواقع، وقد استطاع «عزالدين ذوالفقار» بدقته وحساسيته، مع مصور فنان مثل «وحيد فريد»، أن يظهرا

«صباح»، فى صورة لم تظهر بها فى أى فيلم لها من قبل. كما قدما لنا «منيرة سنبل» فى دور حى، كانت تعبيرات وجهها فى أدائه، تغنينا كثيراً عن كلماتها.

واستغلال المخرج القدير، لـ «عبدالسلام النابلسى» و«زينات صدقى»، وصل حقاً إلى حد الروعة التى افتقدناها كثيراً فى أعضاء فرقة «حسب الله»، وهو فريق ساعة لقلبك، كانت أصواتهم مختلطة، وتعبيراتهم متغالية مسرفة، وقد تصورت دائماً وكأنهم فى معركة ضجيج وعجيج لا حوار ولا تمثيل.. إن تمثيل «عبدالسلام النابلسى» أنقذ هذه المجموعة من أن تكون عورة فى الفيلم.

إن «شارع الحب»، طريق رحب واسع سار فيه المخرج الفنان «عزالدين ذوالفقار» منتفخ الصدر، شامخ الرأس، يستعرض فنه، وكأنه يتحدى أى منتج وهو يصرخ: من يريد منكم أن يحاسبنى بعد ذلك على الملاليم؟!

- الغالى تمنه فيه

بقلم: حسن إمام عمر

فى تاريخ الفيلم العربى، فيلم واحد فقط تحدثت عنه الصحافة، قبل عرضه وأثناء إعداده، حديث السخرية من المخرج

الذى «بلط» فى البلاتوه قرابة الخمسة أشهر.

هذا الفيلم هو «شارع الحب»، الذى أطلق عليه منتجه: «كوفاديس»، لضخامة ميزانيته، ولطول الوقت الذى استغرقه إخراجه.

والنتيجة اليوم، يشعر بها قبل الناس جميعاً المنتج الساخر «حلمي رفلة»، ويهنأ بها معه المخرج «عزالدين ذوالفقار»، فقد أثبتت النفقات السمحة والزمن الكافى أن الغالى ثمنه فيه.

إنه درس للمنتجين فى قصة من تأليف «يوسف السباعى»، أخذ أساسها من مآسى الحياة، ورواها بأسلوبه الخاص الملئ بالسخرية والمغالاة الضاحكة.

والفيلم يقدم «عبدالحليم حافظ» كممثل يملك الصدق فى التعبير، والحرارة فى الأداء، ويتناوله المصور «وحيد فريد» بأمانة فنية جعلت من رغبات المخرج فى حركة الكاميرا فيلماً جيداً جداً.

ولولا زحمة فى الوجوه المضحكة أضعفت النكتة فى الحوار، لكان الفيلم متكاملاً فى إضحاكه تكامله فى تمثيل بطله ومجهود مخرجه وحلاوة الصورة التى بدت فيها المطربة «صباح».

بين الأطلال

بقلم: سعد الدين توفيق

هذا فيلم جيد، أو هو على أقل تقدير فوق المتوسط، وقصته التى كتبها «يوسف السباعى» طويلة، طويلة جداً.

إنها قصة جيلين، ويبدو أن «يوسف السباعى» يحب أن يتتبع أبطال قصصه منذ طفولتهم، بل إنه يعود بنا أحياناً إلى ما قبل البداية، أى عندما يكون أبطال قصصه هؤلاء لايزالون فى الأرحام.

الفيلم لا يعالج مشكلة من مشكلات مجتمعنا ولا يعرض قضية من قضايانا، وإنما يدور حول قصة حب مريض.

فتاة مثقفة معجبة بأديب كبير، تقرأ كل ما يكتبه، وتنفعل معه، تلتقى بالأديب الكبير، فتحبه ويحبها، ونرى غراماً عجيباً كحب المراهقين، يقفان ساعات يتأملان غروب الشمس، ويتفقان على أن يذكر أحدهما الآخر فى الساعة العاشرة من مساء كل يوم.

وعندما تحل هذه الساعة، يسرح كل منهما بخياله بعيداً، ويتذكر صاحبه، ولا ينتهى هذا الحب الشاعرى بالزواج، لأن الأديب متزوج، وزوجته مصابة بمرض مزمن.

وتتزوج الفتاة من رجل يعمل بالسلك السياسى، وتسافر معه إلى الخارج، وتنجب له أبناً، ثم تعرف عندما تعود أن الأديب الكبير مريض، وأنه يحتضر، فتذهب لتودعه رغم معارضة زوجها الدبلوماسى، وتهديده بأن ذهابها معناه نهاية حياتهما الزوجية.

ولكنها تذهب، ويموت الأديب الكبير، وتموت زوجته، تاركة ابنتها فى رعاية غريمتها، بعد أن أصبحتا صديقتين.

وتنتهى القصة بالتقاء الابن والابنة فى رحاب الجامعة، ويتم زواجهما بعد أن يعرفا قصة الحب الخالد الذى كان بين والديهما.

هذه هى خامس قصة لـ «يوسف السباعى» تتحول إلى فيلم، وكل الأفلام التى يكتب قصصها «يوسف» تأخذ طابعاً واحداً؛ فالراوى يقوم فى كل منها بدور كبير، ويقدم للمتفرج أحداثًا للقصة بطريقة مملة، دون أى داع على الإطلاق.

ولكن الفيلم ناجح، ونجاحه يعود إلى جودة العناصر التى اشتركت فيه، فالتصوير كان ممتازاً جداً، وقد قام به «وحيد فريد» المصور البارع.

والتمثيل كان جيداً، وبذلت «فاتن حمامة» و«عماد حمدى» مجهودا طيباً، كما نجح «عزالدين ذوالفقار» فى تصوير الجو الشاعرى الناعم الذى لف به المؤلف قصته.

بقيت ملاحظتان، الأولى أن ماكياج «فاتن» وهى عجوز لم يكن مقنعاً، فلم يستطع المتفرج أن يشعر بأنها أكبر من ابنتها!

والثانية هى الوجه الجديد الذى قدمه «عزالدين» فى هذا الفيلم «صفية ثروت» كانت خفيفة لطيفة تتحرك أمام الكاميرا بسهولة، كانت طبيعية جداً مع أنها تظهر لأول مرة على الشاشة.

بين الأطلال

بقلم: موسى صبرى

الحرمان الذى يتلوى فيه «عزالدين ذوالفقار» المخرج الممتاز، هو سر نجاح فيلم «بين الأطلال»، وأكاد أتصور هذا الرجل يعصر الألم فى قلبه، والدمع فى جفنيه والفراغ الضخم بين ضلوعه، وأسى الذكريات، ونواح الوجيعة، يعصر كل هذا، فى قسوة عاشق وحيد، ويقدمه للناس.. فناً يمزق القلوب، ويجرى الدموع، ويملأ بالخيال فراغ الضلوع، ويثير الذكريات، ويترنم بأنات الوجيعة.

وترتبط دنيا المخرج، المقفرة من ضحكات الحب، بجبروت ممثلة رائعة، تسيطر فى ثورة نادرة على الكلمة، فترسمها على المشاعر، وتتحكم فى رنين الصوت، فتوصله إلى أعماقك حتى

تهتز، وتقود الإشارة والحركة والصمت، فيصلك بركاناً يغلى من العاطفة الملتهبة.. إنها الجبارة «فاتن حمامة».

ويرتبط هذا الجبروت، بفنان لاتزال أعصابه ترقص ذبيحة على نار تجربة قاسية عنيفة، وهب فيها الدم والكيان، وكل ما يملك عاشق أراد أن يعيش بالحب، وللحب، تمنى لو تنفس نسمات الحياة فناناً عاشقاً، ومات عاشقاً بلا فن، ثم صدمه القدر فأمضى أيامه يجمع أنقاض نفسه، إنه «عماد حمدى» الممثل الأصيل، الذى فجر «بين الأطلال»، كل هموم أيامه.

هذه العوامل العميقة، ارتبطت فتكاتفت على تقديم «فيلم» نستطيع بحق أن نفاخر به الإنتاج الأمريكى، قصة «يوسف السباعى» أسطورة، قد لا تصل إلى العقل، فى عصر الماديات والسرعة، ولكن الإبداع الفنى، جعل منها حقيقة تكوى كل قلب، وتقدس طهارة الحب، وتسعدنا بأطياف الهوى.

«عزالدين ذوالفقار» المخرج المثالى

بقلم: عبدالفتاح البارودى

ستبقى أفلام «عزالدين ذوالفقار» شاهدة على أن السينما فقدت بموته مخرجاً نادر المثال فى الفن وفى السلوك الفنى،

خسارة أن نفقد «عزالدين ذوالفقار» الإنسان، ولكن الخسارة الفادحة جداً أن نفقد «عزالدين ذوالفقار» الفنان.

إننى أشعر بالأسى عليه كإنسان لأكثر من سبب، يكفى أنه مات فى شبابه، ويكفى أنه احتمل قسوة المرض وهو يضحك بصوت مرتفع، ويكفى إنه كان متشبثاً بالحياة لدرجة إنه كان كلما شعر بشىء من الانتعاش الوهمى اندفع من فراشه بسرعة، ليعيش بإحساساته الظامئة إلى بهجة الحياة.

كان يعلم أنه مهدد بأمراض خطيرة، ومع ذلك كان يريد أن يعيش كل لحظة، ثم مات، وبالموت استراح، انتهى «عزالدين ذوالفقار» الإنسان، ولكن أفلامه ستذكرنا به دائماً كفنان مثالى، سنتذكر دائماً أنه أحد المخرجين القلائل الذين حاولوا رفع مستوى السينما مؤمنين بالفن نفسه، وبالعلم الذى يصنع الفنان.

إن إيمانه بالفن هو الذى دفعه إلى الإخلاص فى عمله لدرجة التفانى، كان فى داخل البلاتو ينسى كل شىء إلا أنه مخرج، لم يكترث بالاعتبارات التى يكترث بها الآخرون، فمثلاً لم يكن يحسب أى حساب للمنتج أو الموزع أو ميزانية الفيلم أو شباك التذاكر، ومن هنا اشتهر بأنه يضاعف تكاليف الأفلام التى يخرجها، وفعلاً ارتفعت تكاليف بعض أفلامه إلى أرقام خيالية أصابت بعض المنتجين والموزعين بالذعر.

ليس معنى ذلك أنه كان يتصرف داخل البلاتو بلا حساب، ولكنه كان يحول البلاتو إلى «مكان فنى» فقط.. إن بعض اللقطات أعادها أكثر من ٢٠ مرة بسبب شدة حرصه على القيمة الفنية.. وبعض كبار النجوم واجههم بعدم صلاحيتهم للأدوار التى رشحوا لها لمجرد الاستفادة بأسمائهم.. وبعض قصص كبار الكتّاب رفض أن يخرجها.. وهكذا.

من أجل ذلك اتهمه كثيرون بالإسراف والتزمت والعجرفة فى الأحكام الفنية، والواقع أن التهمة الوحيدة التى يمكن أن توجه إليه هى أنه كان يقدس فنه فى وسط احتشد بكثيرين لا يدركون أن للفن قداسة، وكثيرين يجهلون الفن الذى يمارسونه، وكثيرين يجيدون الزعيق أكثر مما يجيدون تحريك الكاميرا.

أسفى على «عزالدين ذوالفقار»، أسفى على الإنسان الذى عانى فى حياته ذبول الشباب فى ريعان الشباب، أسفى على الفنان الذى عاش بين الفنانين غريباً، لأنه كان فناناً!

«عزالدين ذوالفقار» شاعر وراء الكاميرا

بقلم: سعد الدين توفيق

آخر سطر فى قصة حياة «عزالدين ذوالفقار» ذكرنى بالفنان الفرنسى «رينوار»، الذى ظل يقاوم مرضه فى صمت،

وحتى بعد أن غزا المرض بدنه، لم يهزم «رينوار»، ظل يرسم. كانوا يحملونه من الفراش، ويجلسونه أمام لوحة جديدة، ويربطون الفرشاة بيده، ويرسم، ومضى يرسم حتى آخر يوم في أيام حياته.

هكذا عاش «عزالدين» سنواته الأخيرة، غزا المرض قلبه وساقيه ومعدته، ولكنه ظل يقاوم في عناد وصلابة، لم يستسلم، لم يشك الألم، لم يحزن، ولم يتشاءم.

حتى آخر يوم كان يفكر في فنه، في مشروعاته المقبلة، عشرة أفلام على الأقل كانت تحت الإعداد والدراسة، لم يقل أبداً «أنا انتهيت». ظلت شمعة الأمل والتفاؤل تملأ قلبه وذهنه حتى اللحظة الأخيرة.

والذين ذهبوا لزيارته في الأسابيع الأخيرة، كانوا لا يستطيعون البقاء معه طويلاً، كانوا يضطرون إلى ترك غرفته بسرعة، وهم يغالبون الدموع، لأنه كان يحدثهم عن آماله. كان يناقشهم في مشروعات المستقبل، ولكنهم كانوا يعرفون أنه في أيامه الأخيرة.

ذهبت إليه صحفية شابة في العشرين من عمرها، وزارته في بيته في الشهر الماضي لتكتب له مقالاً، وكان راقداً في فراش المرض، فاستقبلها على الرغم من نصائح الأطباء له بألا يبذل

مجهوداً، وألا يتكلم كثراً، وألا يكتب كثيراً، وألا يقرأ كثيراً! ومع ذلك فقد كان فى منتهى الحماس فى منتهى التفاؤل، فى منتهى النشاط والحيوية.

قال لها: أنا عشت، عشت، عشت، عشت مائتى سنة. وأنا سعيد، ومبسوط جداً.. صدقينى إننى استمتعت بكل دقيقة فى حياتى، عمرى الآن «٤٣ سنة» بس، لكنهم يساووا «٢٠٠ سنة».

وخرجت الفتاة من عنده مذهولة، ذهبت لتكتب آخر مقال عنه، فإذا بها تراه ينفى هذه الشائعة بحيويته وذهنه وقلبه.

والذين عرفوا «عز» على حقيقته، وفهموه فهماً سليماً، قلائل، بينما أخطأ كثيرون فى فهمه، فقد كان فناناً من طراز غير عادى، كانت شخصيته أقرب إلى شخصيات «فان جوخ» و«جوجان» و«بيتهوفن» وأمثالهم من الفنانين الذين عاشوا لفنهم فقط، فلم يفهمهم الناس، ولم يعرفوا كيف يتعاملون معهم.

كان فناناً معذباً، كان يحمل فى بدنه روحاً معذبة، وقد انعكست هذه الحقيقة فى حياته وفى فنه، وفى ضوئها تستطيع أن تفهم «عزالدين ذوالفقار».

العذاب هو مفتاح شخصيته، والعذاب هو موضوع كل فيلم أخرجه «عزالدين». تلمسه بوضوح فى «أسير الظلام»، أول

فيلم قدمه للشاشة، ثم فى «خلود»، وفى «موعد مع الحياة»، و«موعد مع السعادة»، و«رد قلبى»، وفى «بين الأطلال»، وفى «الشموع السوداء».

كان قلبه ممتلئاً بالدموع، وكان البكاء هو الشاطئ الذى يلجأ «عزالدين» إليه ليفرغ كل ما فى قلبه، ثم يعود إلى الحياة والناس، والعمل.. إلى أن يمتلئ قلبه من جديد، وأجمل المشاهد التى نجحت فى أفلامه، هى التى أبكت المتفرجين، ولكنها قبل أن تبكيهم، أبكته هو.. طويلاً.

والعذاب هو الذى غير مجرى حياته، وجعله يدخل ميدان السينما، فقد كان منذ عشرين سنة ضابطاً بالجيش، ثم واجه أقصى صدمة فى حياته، مات والده، ومات صديقه الفنان «كمال سليم».. فى وقت واحد تقريباً. فقد «عزالدين» السيطرة على أعصابه تماماً، آثر أن يعيش بعيداً عن الناس، فكان يقضى يومه كله تقريباً فى صحراء مصر الجديدة، عاش فى حزن شديد.

ونصحه طبيب بأن يغير نوع عمله، حتى يستطيع فى غمرة حماسه وإخلاصه لعمله الجديد أن ينسى، وكان «عزالدين» يحب السينما منذ طفولته، ويتابع الاتجاهات الفنية الجديدة، ويدرس أعمال المخرجين الكبار، فقرر أن يتجه إلى ميدان السينما، وبعد ثلاث سنوات من التدريب فى الاستوديوهات

أصبح مخرجاً.

ونجح فيلمه الأول «أسير الظلام» نجاحاً كبيراً، ولمع اسم المخرج الجديد، فقد جاء هذا الفيلم فى سنوات ما بعد الحرب، فى أسوأ فترة مرت بالفيلم المصرى، كانت التفاهة والكلفتة والتهريج هى «العملة الرائجة» فى ذلك الوقت. كان مستوى الفيلم المصرى قد انحط وقتئذ إلى حد مخجل، وكانت الأعمال الجادة القليلة تبرز كالزهور وسط أفدنة من البرسيم، وكان «أسير الظلام» من هذه الأعمال القليلة الجديرة بالاحترام.

وحدد هذا الفيلم الاتجاه الفنى لـ «عزالدين ذوالفقار»، كان شاعراً وراء الكاميرا، كانت مشاهد أفلامه تفيض بالرقة والشاعرية والخيال، كان يعيش فى قصص أفلامه قبل أن يبدأ تصويرها فى الاستوديو، يكتب السيناريو ويكتب الحوار ويمثل أدوارها بنفسه وهو يعد السيناريو.

وكان يتألم كثيراً للنقص الشديد الذى تعانيه ستوديوهاتنا فى الأجهزة والآلات الحديثة، لأن هذا النقص كان يحول بينه وبين «تنفيذ» المشاهد كما تصورها، وكما أعدها.

ومع هذا فقد حققت أفلامه العاطفية نجاحاً طيباً، ولم يهبط مستواه الفنى إلا عندما حال المرض أخيراً بينه وبين الإشراف التام على كل لقطة، فقد كان يذهب إلى الاستوديو

أحياناً وهو ممنوع من الحركة ومن العمل بأمر الأطباء. وكان يخرج اللقطات كثيرة وهو يجلس على مقعد لأنه لا يستطيع أن يتحرك ويتناول الأدوية فى أثناء العمل بين اللقطات.

وكنت أعتبر «عزالدين» واحداً من «الخمسة الكبار»، أكبر خمسة مخرجين عندنا، الخمسة الذين «أواظب» على رؤية أفلامهم، ومتابعة نشاطهم الفنى، لأننى أعرف أنهم يحترمون عملهم، ويحترمون جمهورهم، وحتى عندما هبط مستوى «عزالدين» فى الفترة الأخيرة، لم أستطع أن أخرجه من نادى «الخمسة الكبار»، كنت أقدر أنه لو كان فى حالته الطبيعية لأعاد تصوير معظم اللقطات.

وقد شاهد «عزالدين» منذ بضعة أسابيع فيلماً من أفلامه القديمة كان يعرضه التليفزيون، وهو فيلم «موعد مع السعادة»، وبعد أن رآه، بكى، وقال لمن حوله: «يا سلام.. مش معقول.. أنا اتأخرت كتير.. شغلى زمان كان أحسن من دلوقت».

كان «عزالدين» فناناً ينشد الكمال، ولذلك لم يكن يرضى عن معظم ما قدمه للناس من أعمال فنية، كان يريد أن يقدم عملاً فنياً ضخماً لم يسبق له مثيل، كان هذا هو شعوره على الدوام، ويظل يفكر ويبحث عن قصة جديدة تعالج موضوعاً جديداً لم يقدم على شاشتنا قبل الآن، ولكنه لا يوفق فى العثور على هذه

القصة، فيضطر إلى العودة إلى اللون القديم، والموضوع القديم. ولهذا أعاد منذ سنتين إخراج فيلم قديم له هو «أسير الظلام»، أعاد كتابة القصة، وقدمها فى فيلم جديد اسمه «الشموع السوداء».

وفى أفلامه كلها ظهرت شخصية «عزالدين» الحقيقية، معظم أبطال أفلامه كانوا «عزالدين ذوالفقار»، الفنان، الشاعر، الرقيق المهذب الطيب القلب، الصلب، العاشق المخلص المتفانى.

إن «عزالدين» لم يكن يحب كما يحب الناس فى هذه الأيام، وإنما كان حبه من النوع الذى قرأنا عنه فى «روميو وجوليت»، و«مجنون ليلى»، و«غادة الكاميليا».. إنه حب لا يعرفه الناس ولا يمارسونه فى حياتهم، وإنما يعرفه الشعراء، ويمارسونه.

وقد كان «عزالدين» رحمه الله شاعراً.. وراء الكاميرا.

إنى راحلة

نحترق.. لنتجدد

بقلم: طارق الشناوى

رغم قتامة النهاية، ورحيل البطل مريضاً، والبطلة منتحرة احتراقاً، إلا أن الرحيل الحزين على الشاشة يتحول إلى رحلة حياة سعيدة، شعر بها المشاهدون فى نهاية أحداث الفيلم.

إنه رحيل يشبه احتراق طائر العنقاء فى الأسطورة اليونانية، يحترق ليتجدد.

«اذكروا محاسن موتاكم.. أتراكم تذكرون لى محاسن!»

هل وجدتم سخرية من الموت أكثر من تلك العبارة اللاذعة، ولكن يكفى أن تعرف أن هذا الفيلم جاء بناؤه الفنى نتاج عناق بين عبقريتين توأم، جمعهما معاً إحساس مشترك هما: «عزالدين ذوالفقار» و«يوسف السباعى». والأديب «يوسف السباعى» كاتب قصة «إنى راحلة» له دائماً نظرة ساخرة للموت، عبرت عن نفسها فى العديد من أعماله الروائية مثل «السقا مات».

ومع «إنى راحلة» كان رحيل البطلين رهاناً صعباً جداً، بل ويقترب من المستحيل لأن جمهور السينما فى العالم كله - وليس فقط فى عالمنا العربى - يخشى النهايات الحزينة، ولكن عندما يصبح الرحيل بداية رحلة جديدة للحياة، والطوق الوحيد للنجاة، يتغير مؤشر إحساس الناس.

ففى هذا الفيلم تتعاطف مع «مديحة يسرى» عندما تشعل النار فى الكوخ المطل على البحر، والمنعزل عن الناس، وكأنه جزيرة وحيدة فى العالم، لجأ إليها الحبيبان بعد أن ضاقت بهما الدنيا.

يموت «عماد حمدى» وتقرر مديحة يسرى أن تنهى حياتها، وتترك المذكرات بعيداً عن ألسنة النيران المشتعلة، وثيقة تشهد على هذا الحب وتترك الحكم للناس.

الفيلم مثل أغلب رومانسيات «عزالدين ذوالفقار»، التى يقوم بناؤها على الحكى والعودة للماضى، لتلتقى نقطة البداية عند نهاية الموقف، ثم تعود مرة أخرى إليها.

الحبيبان لا يتزوجان بسبب تعنت «سراج منير»، والد «مديحة يسرى» وزوج خالة «عماد حمدى».

«سراج منير» يتطلع دائماً إلى أن يصل إلى أعلى السلم الاجتماعى، بعد أن حصل على الباشاوية، وهو لهذا يترقب المنصب الوزارى، بينما «عماد حمدى» ضابط فى سلاح الفرسان، وبكل الإعزاز والتقدير يقدم «عزالدين» و«يوسف السباعى» لمحة ساخرة عندما تقول «مديحة» لـ «عماد»:

- إنتم بتركبوا الفرس فى الجيش؟

ويرد عليها:

- نعم لأنه ليس لدينا حمار؟!

إنك تدخل إلى الفيلم وأنت تعلم منذ البداية مصير بطليك،

ولهذا يحرص السيناريو والحوار على التخفيف من قتامة الموت بهذا الحوار الساخر، ولم يكتف بهذا القدر، بل أضاف أيضاً شخصية البغبغاء وحواره الدائم ومشاكساته مع «زينات صدقى»، وبعد أن يقدم عدة مشاهد يعود للسرد مرة أخرى، ونعود لنستمع إلى صوت «مديحة يسرى»، فالفيلم هو قراءة لمذكرات «مديحة» ورؤية للأحداث من وجهة نظرها.

ويقدم «عزالدين ذوالفقار» واحدة من أشهر القبلات فى تاريخ السينما المصرية، عندما يبدأ اللقاء بينهما بلقطة متوسطة، وكل منهما على كرسيه، وهما متباعدان، ثم تخرج «مديحة» من الحجرة، فيقترب «عماد» بكرسيه، وتعود «مديحة»، ويهم «عماد» بتقبيلها فتتمنع، ثم بتفصيلة دقيقة لحركة أصابع «مديحة» على كتف «عماد»، وهى تضغط بقوة توضح بلا افتعال الإحساس المشترك للقبلة.

المرأة دائماً هى المضحية، ولهذا فإن «مديحة يسرى» تقبل الزواج من «رشدى أباظة»، لأن أباه مرشح لرئاسة الوزارة، وهكذا يصبح «سراج منير» مقرباً منه، ويسهل عليه اعتلاء كرسى الوزارة.. ونعلم أنه مهدد بالإفلاس، بعد أن أضاع رأسماله، وزواج «مديحة» من «رشدى أباظة» سوف ينقذه من الإفلاس ويحقق له المنصب. ولا ينسى «عز» أن يقدم بهذا الموقف انتقاداً

للفساد قبل الثورة، حيث إن «سراج» سوف يشترك فى عقد صفقات من الباطن لصالح رئيس الوزراء، وأيضاً يفضح هذا المجتمع سلوكياً، حيث إنهم يمارسون الجنس بالتبادل فكل منهم على علاقة بزوجة الآخر، وهم يشربون الخمر. أيضاً على مستوى الثقافة فهو يقدم أفراد هذا المجتمع وهم يستمعون إلى الأغنيات الأجنبية المباشرة فى دعوتها الجنسية مثل «Give Me Your Lips».. «إعطنى شفتيك»، بينما «مديحة يسرى» تقدم الجانب الآخر، وتقول لهم هل سمعتم مطربة اسمها «أم كلثوم» تغنى لأمير الشعراء «أحمد شوقى» قصيدة «سلوا قلبى»، بينما هم منعزلون عن المجتمع ويتحدثون فى تعاملهم اليومى الإنجليزية والفرنسية. تكتشف «مديحة يسرى» خيانة زوجها «رشدى أباظة»، وتذهب إلى حيث كانت تلتقى بـ «عماد حمدى»، وتحلم وتتخيل أنها ترى «عماد»، ولكنها تكتشف وجوده الفعلى معها، ويخبرها بأنه قد تزوج وماتت زوجته أثناء إنجابها الطفل.

ويقرران أن يبتعدا عن العالم ليخلقا عالماً خاصاً بهما فى هذا الكوخ المنعزل عن الحياة، يحرص السيناريو على أن تظل العلاقة بين «مديحة يسرى» و«عماد حمدى» بلا فعل جنسى كامل، وذلك حتى لا يقع فى تناقض بين أنها ترفض خيانة زوجها وفى الوقت نفسه هى تمارس الخيانة رغم أنها متزوجة، ولهذا

فإن «عماد حمدى» لا يتجاوز فى علاقته معها حدود القبلات، وحتى لا يسرح خيال المشاهدين بعيداً يحرص على أن ينام «عماد حمدى» على الأريكة ويتغطى بالسجادة، بينما يترك حجرة النوم لـ «مديحة يسرى»، وذلك لأن الجمهور لا يرضى لأبطاله الإقدام على الفعل الجنسي المحرم، لأن هذا ينقص من إحساسه بنبل الشخصية. ملحوظة: فيلم «نهر الحب»، وعلاقة «عمر الشريف» بـ «فاتن حمامة» لها خصوصية أخرى، أما فى فيلم «إنى راحلة» فإن الموقف الدرامى هنا يحتم أكثر الاكتفاء فقط بين الحبيبين بالقبلات كحد أقصى مباح، ويستعين الحوار فى الفيلم ببيت شعر لـ «كامل الشناوى» يقول فيه: «لا وعينيك يا حبيبة الروح لم أعد فيك هائماً فاستريحى وحاذرى أن تريحى»، ينسب «يوسف السباعى» كاتب الحوار هذا البيت من الشعر الرومانسى إلى «عماد حمدى»، حيث يردده لـ «مديحة يسرى».

لا ينسى المخرج كل التفاصيل الخاصة بإعداد حريق الانتحار، حيث إن «مديحة يسرى» تطلب من «عماد حمدى» عندما يذهب للسوق أن يشترى كل شىء بما فيه «الجاز»، وتحرص لقطات المخرج التى نفذها «وديد سرى» بعد الحريق على أن توضح أن المذكرات لاتزال على الشاطئ.

فى «روميو وجولييت» يقف الأهل فى سبيل زواجهما،

وتنتهى المأساة بانتحار الحبيبين، بينما فى «إنى راحلة» لم يكتف «يوسف السباعى» و«عزالدين ذوالفقار» بحالة الحب، ولكن انتقدا معاً الحياة الاجتماعية والسلوكية قبل الثورة.

ويعيش «إنى راحلة» فى وجدان الناس كواحدة من أساطير قصص الحب التى شاهدها الناس عبر أفلام السينما وتحدث بصدقها الزمن.

تقول «مديحة يسرى» فى الفيلم: «الأموات لا يكذبون»، ونقول أيضاً: المبدعون من حجم «عزالدين ذوالفقار» لا يكذبون.

الشموع السوداء

بقلم: محمود قاسم

أسباب عديدة دفعت «عزالدين ذوالفقار» إلى إعادة إخراج فيلمه الأول «أسير الظلام» مرة أخرى، ليكون فيلمه الوحيد الذى أخرجه مرتين، المرة الثانية عام ١٩٦٢، أى ليكون فيلمه قبل الأخير.

وحسب «فريد المزاوى» فى كتابه «الدليل السنوى للأفلام المصرية» ١٩٦١/١٩٦٢، وباعتبار أنه شاهد الفيلمين، فإنه لا

توجد تغييرات تذكر بين الفيلمين، سواءً فى الأحداث، أو فى السمات التى يتسم بها الأشخاص، إلا فى أن شخصية «إيمان» ـ نجاة الصغيرة ـ قد راحت تعالج الكاتب الذى تعمل عنده بقوة صوتها، وهى تغنى له ثلاث أغنيات تقريباً.

أى أن الفيلم قد استفاد من شعبية مطربة، كانت متواجدة بقوة فى تلك الفترة، بالإضافة إلى الدور الرئيسى الذى لعبه صالح سليم فى فيلم استغرق عرضه ١٨٥ دقيقة، وهى ظاهرة لم تتكرر قط بالنسبة للاعب كرة ضمن العديد من لاعبى الكرة الذين عملوا لفترات قصيرة بالتمثيل.

فى حديثه الصحفى عن عمل الفيلم للمرة الثانية، يقول فى مجلة «الإذاعة» فى ١٩٦٨/٦/٢٩ تحت عنوان «أوراق من حياتهم»، فيما جاء ذكره فى ٢٩ أكتوبر ١٩٦١: «اليومين دول باحضر عشان أعيد إخراج أول فيلم أخرجته فى حياتى إللى هو «أسير الظلام»، عشان كده فأنا الأيام دى عايش دايماً بخيالى فى ١٧ سنة فاتوا وقت ما ابتديت أتحول من عملى الأصلى كضابط فى المدفعية علشان أشتغل فى السينما».

الجدير بالذكر أن الفيلمين تم اقتباسهما عن الرواية التركية «تحت ظلال الليل».

عوالم الكاتب المخرج تتجدد فى «الشموع السوداء»، فالشخصية الرئيسية تصاب بالعماء بسبب اجتماعى، فهناك صدمة نفسية أفقدت الكاتب «أحمد عاصم» ـ صالح سليم ـ بصره عقب خيانة زوجته له، وهو فى حاجة إلى علاج نفسى، وطبى.. فتأتى له أمه والأسرة بممرضة تكتشف أنها لم تكن الأولى، وأنه قد تم طرد العديد من الممرضات من قبلها، اللاتى لم يحتملن طباعه الغليظة تجاه النساء، وصار على «إيمان» ـ نجاة ـ أن تصمد فى وظيفتها كممرضة.

وفى رأينا أن هناك خلافاً جوهرياً بين الفيلمين، أن «أسير الظلام» عن الكاتب «سراج منير»، أما الفيلم الثانى فهو عن الممرضة، حيث تراها فى اللحظة الأولى، فى طريقها إلى أبى حمص، والمراسيم التى تنتظرها، وذلك قبل فترة غير قصيرة من ظهور الكاتب لأول مرة، كما أن الفيلم فى أغلبه، يدور بعيون الممرضة، فمساحة تواجدها، وهى تغنى الأغنيات الثلاث أطول، كما أننا نراها فى مساحة أخرى وهى تتعرض لمضايقات الأخ «فتحى» – صلاح سرحان – إلى أن تخرج تماماً من الأحداث عقب اتهامها بقتل «فتحى»، من أجل أن تكون هناك فرصة للكاتب أن يكشف القاتلة، وكان قد خرج تقريباً من الظلام.

«أسير الظلام» الحقيقى فى هذا الفيلم هو «إيمان»، فقد

دخلت إلى منزل مظلم تدور فيه المكائد ليلاً، ويبدو فى تلك الساعات المتأخرة من الليل بمثابة وسط خصب ملئ بالحركة، والدسائس، كما أنها محاطة بالستائر السوداء المغلقة، ومشاعر حقد، وعيون مرتقبة، وشخص يفرض عليها عواطفه، هو الأخ «فتحى»، والكاتب الذى تمرضه، المصاب بعقدة نفسية خاصة من النساء، فيردد لها أن جميع النساء أشبه بـ «رابعة العدوية» فى النصف الأول من حياتها، أى أنها كانت امرأة للعديد من الرجال، وذلك قبل أن تتوب، بما يعنى أن الكاتب ينظر إلى «إيمان» بنفس المنظور، ومن هنا تأتى الخشونة المحاطة بها.

لسنا أمام مأساة بعينها، مثل المآسى المتكررة فى أفلام أخرى للمخرج، كالمرض مثلاً الذى يدفع بأصحابه إلى الموت، ولكننا أقرب إلى أجواء بوليسية مكشوفة للمتفرج تستغرق وقتاً طويلاً من الفيلم، خاصة الجزء الثانى، وهى أحداث تعيد الثقة إلى الكاتب فى النساء، بعد أن نجحت «إيمان»، بصبر وتؤده أن تغير من رؤيته للحياة.

ولأننا أمام فيلم مقتبس، له أجواءه الغريبة، فإن الفيلم اختار اسم فريد لضيعة، ليس بها مثل هذا النوع من القصور، فبدت الحدوتة غريبة على الأجواء المصرية التى أكسبها «ذوالفقار» للعديد من أفلامه الأخرى، حتى وإن كانت مأخوذة من

أفلام عالمية.

و«إيمان» ليست فى مأساة حقيقية، بقدر ما هى فتاة منكسرة الجناح، فهى عندما تصل إلى «أبوحمص» لا تجد أحد فى انتظارها، وتضطر للمشى ستة كيلو مترات حتى تصل إلى القصر، وهى تعلم أن خمس عشر ممرضة قد سبقتها وفشلن فى التعامل مع الكاتب الشاعر، ولكنها تبقى باعتبار أن الأم «أمينة رزق» قد توسلت إليها أن تتحمل صفات ابنها الصلدة.

الظروف التى تعيش فيها «إيمان» لا تشجع قط على البقاء، لكن لأنها منكرة وليس لديها بيت تعيش فيه، بعد أن صار الرجل الذى تعمل عنده أرمل، فإنها تتحمل بالفعل، وتبقى.

لا يوجد منفذ مبهج واحد فى هذا العالم سوى صديق البطل، «عبدالعاطى» ـ فؤاد المهندس ـ وهو الموظف الذى يعمل فى الضيعة ويتقبل أن يمازحه «أحمد» ويلقى التعليقات الكوميدية، ولذلك فإنه الأداة الوحيدة للبهجة فى أفلام «عزالدين»، مثلما سيحدث فى فيلم «موعد فى البرج» ومثلما سبق أن حدث فى فيلم «نهر الحب».

المشكلة التى تواجهها «إيمان» مضاعفة لا تتقبلها بسهولة، و«فتحى» يسعى إليها، وعشيقة «فتحى» ـ حكمت ـ «ملك الجمل»

التى تشعر بالغيرة من وجود الممرضة، وهى التى تقوم بقتل عشيقها بعد أن صارت الغيرة فى قمتها، ولم تحتمل.

نحن إذن، فى مكان محدد مغلق، أشبه بأجواء المسرح، شخصيات قليلة وأيضاً أحداث لا تصنع فيلماً له مثل هذه المدة الطويلة من العرض، وتحاول «إيمان» أن تتواصل مع الكاتب، حين تخبره أنها قرأت كتبه، فتدخل معه فى نقاش وشيئاً فشيئاً يعتاد «أحمد» وجودها، مما دفع بالأم إلى الخروج لفترة مؤقتة من الأحداث بأن تسافر إلى سويسرا كى تبقى المواجهة بين بقية الأطراف، ولتنمو العلاقة بين الممرضة والكاتب، ولأن الممرضة مجسدة من «نجاة»، فإنها تغنى له أغنية ألقاها بوحى من تجربته السابقة «لا تكذبى» المليئة بعبارات الخيانة، والصدام العاطفى.

و«عزالدين ذوالفقار» يستخدم بعض مفرداته السابقة، من جديد، ليس فقط فيما يتعلق بالشخصية الرئيسية الفاقدة الإبصار، بل الاستعانة بكلب ضخم إلى جوار الكاتب، مثلما حدث لـ «كمال» فى فيلم «أغلى من عينيه»، حيث يتآلف الكلب «روى» مع «إيمان»، ويصبح صلة وصل بين الاثنين، الذين يتسرب العشق ببطء فيما بينهما حتى إذا تمكن من قلبيهما، أسرعت الأحداث البوليسية بالدخول، فـ «عبدالمعطى» يقوم بإبلاغ الكاتب أن أهل القرية يتحدثون جميعاً عن قصة حب تمت فى

الضيعة، و«فتحى» يتعامل مع الفتاة على أنها للجميع، فيسعى إلى غوايتها، وسرعان ما يصاب بطعنة من مجهول، سرعان ما سنعرف أنها «حكمت»، التى أنجبت من «فتحى»، والذى حنث وعده، فصار من حقها أن تتخلص منه.

تساق «إيمان» إلى السجن، ويحاول «أحمد» كشف القاتل، الذى يطارده عبر الظلام، فيسقط من فوق السلم، ويسترد بصره، ويقرر أن يحتفظ بسره من أجل الإيقاع بالقاتل، حتى يفعل ذلك.

الحكاية البوليسية عند «عزالدين ذوالفقار» تكاد تكون شبه مكشوفة، فنحن نكاد نعرف القاتل، والمتفرج يكاد أن يمسك به، وذلك لأن الحبكة البوليسية ليست من سمات سينما «عزالدين»، وبدأ هذا واضحاً فى فيلمه الأسبق «الرجل الثانى». ويقول «فريد المزاوى» إن مفتاح الفيلم هو أغنية «لا تكذبى»، التى كتبها «كامل الشناوى»، فهى رغم قسوة مفرداتها اللغوية التى لم يعتد المستمع العربى عليها، فإنها أغنية تنافس على أدائها العديد من المطربين، منهم «عبدالوهاب» ملحن القصيدة، و«عبدالحليم حافظ»، وقد أعطت الأغنية حيوية وسط أجواء مظلمة، مغلقة.

ومن الواضح أن «عزالدين ذوالفقار» أجاد كعادته عمل التوليفة، سواء اختيار الموضوع الذى سبق أن قدمه فى بداية

حياته، بعد أن أدرك أن فى إمكانه أن يحوله إلى عمل مختلف، بنجوم جدد - كانت «مديحة يسرى» هى بطلة الفيلم الأول - وقد راهن على «صالح سليم»، الذى كان وجهاً وسيماً، لكنه غير مناسب لأداء مثل هذا النوع من الشخصيات المتراكبة نفسياً، وكان عليه أن يعود مرة أخرى إلى الملاعب بعد أن شارك «فاتن حمامة» بطولة فيلمه الثالث «الباب المفتوح» فى العالم التالى.

وحسب المزاوى أيضاً فى نفس المصدر، فإن المخرج لم يكن فى نفس قوته التى اعتدنا عليها، فلم يضف جديداً عن عمله الأول، لا ألوان، ولا «سينماسكوب»، ولا أسلوب مختلف فى الإخراج، ومن الملاحظ أن التطويل كان سمة ملحوظة فى الفيلم، خاصة فى كلمات وزمن الأغنيات الثلاث، ومنها: «إيه هو ده»، و«أيوه» و«حياة اللى راح»، وكان يمكن اختصار أحداث الفيلم، لكن «عزالدين ذوالفقار» كان قد اعتاد على أن تكون أفلامه دائماً من نوع الإنتاج الضخم.

أما «نجاة»، فقد بدت أكثر حرية، وحركة من أعمالها السينمائية السابقة، خاصة فيلم «بنت البلد» عام ١٩٥٤، و«غريبة» لـ«بدرخان» عام ١٩٥٨، لكن هى فى المقام الأول مطربة تتم الاستعانة بها للتمثيل فى السينما.

قائمة الأفلام الروائية لـ "عزالدين ذوالفقار"

- **«أسير الظلام»** إخراج وقصة وسيناريو: عزالديـن ذوالفقـار، حـوار: أحـمـد رامي، عن الرواية التـركـيـة «تحت ظلال الليل» تأليف بدورة سـالم، تصـوير: أحـمد خورشـيد «أبيض وأسـود - ١٢٠ق»، مـونتـاج: جـلال مـصـطفى، مناظر: حـديب خـورى، موسيقى: إبراهيم حجاج، إنتاج: شركة أفلام الفـجر، توزيع: نحاس فيلم، أول عرض: ١٩٧٤/٢/٣، تمثيل: مديحة يسرى، سراج منير، محمود المليجى، زوزو شكيب، ثريا فخرى، ونجمة إبراهيم.
- **«أبوزيد الهلالى»** إخراج وسيناريو وحوار: عزالدين ذوالفقار، قصة: من الأدب الشعبى، تصـوير: مـصطفى حسن «أبيض وأسـود - ١٢٥ق»، المصـور: عـبـدالله ياقـوت، مـونتـاج: جـلال مـصطفى، موسـيقى: مـخـتـارات، مناظر: شـارفـبنرج، حـبيب خورى، إنتاج: أفلام محمد أمين، توزيع: بهنا فيلم، أول عرض: ١٩٤٧/١١/١٠، تمثيل: فاتن حمامة، سراج منير، أحمد البيه، أمينة الشريف، وعزالدين ذوالفقار.
- **«خلود»** إخـراج وقـصـة وسـيناريو: عـزالدين ذوالفـقـار، حـوار: جليل البندارى، تصـوير: مـصـطفى حـسن «أبيض وأسـود -

١٢٥ق»، مونتاج: ألبير نجيب، مناظر: حبيب خورى، صوت: هاليبيات، الأغانى كلمات: جليل البندارى، ألحان: عبدالعزيز محمود، إنتاج: أفلام العالم الجديد، توزيع: أفلام القاهرة، أول عرض: ١٩٤٨/٥/٣، سينما: الكورسال، تمثيل: عزالدين ذوالفقار، فاتن حمامة، كمال الشناوى، إسماعيل يس، بشارة واكيم، محمود السباع، صفاء مصطفى، ثريا فخرى، وعبدالعزيز محمود.

• **«إجازة فى جهنم»** قصة وحوار: يوسف جوهر، تصوير: محمود نصر «أبيض وأسود ـ ١٠٥ق ـ أخذت مناظر باستوديو نحاس»، مونتاج: ريمون قربة، ماكياج: محمود متولى، مناظر: ولى الدين سامح، موسيقى: فريد عقبة، معلم الرقص: إيزال، ألحان: على فراج، الأغانى تأليف: فتحى قورة، مساعد مخرج: حسن نعمت الله، ريجسير: قاسم وجدى، صوت: كريكور، إنتاج: شركة نحاس فيلم، أول عرض: ١٩٤٩/٥/٩، سينما: الكورسال، تمثيل: سامية جمال، عباس فارس، محمد كمال المصرى، حسن فايق، إسماعيل يس، إستيفان روستى، فكتوريا حبيقة، وداد حمدى، عبدالحميد زكى، وعبدالمنعم إسماعيل.

• **«صاحبة الملاليم»** إخراج وسيناريو: عزالدين ذوالفقار، قصة

وحوار: يوسف جوهر، تصوير: برونوسالفى «أبيض وأسود ـ ١٠٠ق» إعداد الفيلم باستوديو الأهرام، مونتاج: ريموت قربة، صوت الأغاني: شارل فوسلكو، الحوار: جلال صالح، ماكياج: محمود سماحة، مناظر: نجيب خورى، موسيقى وألحان: محمد فوزى، ريجسير: قاسم وجدى، مساعد المخرج: عبدالمنعم شكرى، إنتاج: أفلام محمد فوزى، أول عرض: ١٩٤٩/٩/٢٦، الأغاني: يا رجلية، المطبخ، إسكندرية، قلبى ينادى، بابيى، راح توحشيني، وأنت وأنا، تمثيل: محمد فوزى، كاميليا، شادية، ثريا حلمى، إسماعيل يس، صلاح نظمى، محمد عبدالقدوس، ونيللى مظلوم.

«أنا الماضى» قصة وإخراج: عزالدين ذوالفقار، سيناريو وحوار: عبدالعزيز سلام، وعزالدين ذوالفقار، تصوير: روبير طمبا «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، أخذت المناظر: ستوديو مصر، مونتاج: إميل بحرى، صوت: نصرى عبدالنور، مناظر: أنطون بوليزوييس، ماكياج: على كامل، فوتوغرافيا: حسين بكر، ريجسير: والى السيد، إكسسوار: عزالدين الترجمانى، إضاءة: عواد أبوالنجا، إنتاج: ستوديو مصر، أول عرض: ١٩٥١/١/٢٢، سينما: ستوديو مصر، مساعد الإخراج: أحمد عيسى، وعبدالرؤوف الشافعى، تمثيل: زكى رستم، فاتن

حمامة، عماد حمدى، نجمة إبراهيم، سيد بدير، لولا صدقى، فريد شوقى، وداد حمدى، عبدالعزيز أحمد، حسين عيسى، زكى إبراهيم، فرج النحاس، والراقصة كيتى.

- **«سلوا قلبى»** سيناريو وإخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة: يحيى شاهين، حوار: على الزرقانى، تصوير: عبده نصر، وأحمد خورشيد «أبيض وأسود ـ ١١٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو مصر، مونتاج: إميل بحرى، صوت: نصرى عبدالنور، مناظر: أنطون بوليزويس، مساعد مخرج: عبدالله بركات، وأحمد عيسى، إنتاج: أفلام يحيى شاهين، أول عرض: ١٩٥٢/٥/١، تمثيل: فاتن حمامة، يحيى شاهين، محسن سرحان، حسين رياض، وعمر الحريرى.
- **«قطار الليل»** قصة وحوار: زكى صالح، وإستيفان روستى، سيناريو: عزالدين ذوالفقار، تصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، أخذت المناظر: ستوديو مصر، مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: عزالدين الترجمان، صوت: نصرى عبدالنور، مونتاج: إميل بحرى، فوتوغرافيا: حسين بكر، موسيقى: إبراهيم حجاج، موسيقى قصة الشاطئ: فريد الأطرش، مدير الإنتاج: عبدالحميد زكى، مساعد الإخراج: عبدالله بركات، جمال الدماطى، ورؤوف كامل، أول عرض:

٢٣/٢/١٩٥٣، إنتاج وتوزيع: ستوديو مصر، تمثيل: سامية جمال، عماد حمدى، إستيفان روستى، سليمان نجيب، سراج منير، صلاح نظمى، فاخر فاخر، رياض القصبجى، عبدالمنعم إسماعيل، حسين عيسى، عبدالعليم خطاب، زكى إبراهيم، عايدة كامل.

• **«الشك القاتل»** سيناريو: حسن رضا، عن مسرحية «عطيل» لشكسبير، حوار: محمود السباع، مدير التصوير: أحمد خورشيد «أبيض وأسود ـ ١٣٠ق»، أخذت المناظر والطبع والتحميض: ستوديو مصر، مونتاج: إميل بحرى، مناظر: عباس حلمى، منسق مناظر: نجيب خورى، صوت: نيفيو أورفانيللى، إنتاج: أمير فيلم «محمود ذوالفقار»، أول عرض: ١٢/٤/١٩٥٣، تمثيل: مريم فخر الدين، محمود ذوالفقار، محسن سرحان، لولا صدقى، نجمة إبراهيم، محمد كامل، عبدالسلام النابلسى، أنور السيد، محمد علوان، شفيق نور الدين، وكيتى.

• **«وفاء»** سيناريو وإخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة: مديحة يسرى، حوار: على الزرقانى، مدير التصوير: أحمد خورشيد «أبيض وأسود ـ ١٤٠ق»، تم إعداد الفيلم بستوديو مصر، مونتاج: إميل بحرى، مهندس مناظر: أنطون بوليزوس، منسق

مناظر: عزالدين الترجماني، صوت كريكور، موسيقى إبراهيم حجاج، مساعد الإخراج: عبدالله بركات، وجمال الدماطي، ماكياج: يوسف محمود، صوت: نصرى عبدالنور، ريجسير: إمام عويس، فوتوغرافيا: حسين بكر، إنتاج: ستوديو مصر، العرض الأول: ١٩٥٣/١٠/٢٧٧، تمثيل: مديحة يسرى، عماد حمدى، سراج منير، لولا صدقى، عمر الحريرى، زينب صدقى، رياض القصبجى، عبدالمنعم إسماعيل، والطفلتان: نادية الشناوى، وتهاني مصطفى.

- «**ابن الحارة**» سيناريو وإخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة: جلال حرب، حوار: على الزرقاني، تصوير: أحمد خورشيد «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، مونتاج: حلمى صادق، مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: عزالدين الترجماني، إنتاج أفلام الجيل الجديد، أول عرض: ١٩٥٣/١١/٢٣، تمثيل: جلال حرب، ليلى فوزى، فريد شوقى، فردوس محمد، محمود شكوكو، سميحة أيوب، حسين رياض، وكيتى.
- «**موعد مع الحياة**» قصة وإخراج: عزالدين ذوالفقار، سيناريو: عزالدين ذوالفقار، ويوسف عيسى، حوار: يوسف عيسى، مدير التصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق». أخذت المناظر: ستوديو نحاس، الطبع والتحميض: ستوديو الأهرام، المصور:

كمال كريم، مهندس مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: حسين الشريف، صوت: كريكور، مونتاج، وماكياج: سيد محمد، العرض الأول: ١٩٥٣/١٢/٧، سينما: ميامي، الأغنيات: ليالي العمر «فتحي قورة، محمود الشريف»، التلفون «فتحي قورة، ومنير مراد»، إنتاج: أفلام فاتن حمامة، توزيع: دولار فيلم، تمثيل: فاتن حمامة، شادية، شكرى سرحان، حسين رياض، عمر الحريرى، زينات صدقي، عبدالوارث عسر، نور الدمرداش، سعيد أبوبكر، وعبدالغني النجدى.

- **«أقوى من الحب»** قصة وسيناريو وحوار: محمد كامل حسن المحامي، مدير التصوير: أحمد خورشيد «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو الأهرام، مونتاج: حلمي صادق، مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: حسين الشريف، مهندس الصوت: نصرى عبدالنور، ماكياج: يوسف محمود، الأغاني: يا سارق النوم «جليل البندارى، ومنير مراد»، إحنا في الجنة «عبدالعزيز سلام، رياض السنباطي»، وإيه فوق الحب «صالح جودت، وأحمد صدقي»، مساعد مخرج: إبراهيم حلمي، ماكياج: يوسف محمود، فوتوغرافيا: حسين بكر، إنتاج وتوزيع: ستوديو مصر، تمثيل: مديحة يسرى، عماد حمدى، شادية، زينات صدقي، حسين البارودى، خيرية أحمد، وثريا

فخري، مع الأطفال: وجيه الأطرش، ميمي جمال، والعربي مصطفى.

- «**رقصة الوداع**» عزالدين ذوالفقار، قصة وحوار: محمد كامل حسن المحامي، تصوير: أحمد خورشيد «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو الأهرام، مونتاج: حلمي صادق، مناظر: ولي الدين سامح، فوتوغرافيا: طه رمضان، موسيقى: أندريا رايدر، صوت: شارل فوسكلو، ماكياج: رشدي إبراهيم، إنتاج: أفلام شارل نحاس، توزيع: أفلام مصر الجديدة، مساعد مخرج: كامل مدكور، أول عرض: ١٩٥٤/٤/٢٦، الأغنيات: زين الرقاصين «فتحي قورة، وعبدالحليم نويرة»، تمثيل: سامية جمال، عماد حمدي، محمود المليجي، نجمة إبراهيم، إستيفان روستي، محمد توفيق، حسين رياض، صلاح نظمي، لولا عبده، رياض القصبجي.
- «**موعد مع السعادة**» قصة وإخراج: عزالدين ذوالفقار، عن رواية «أنجيل» لجان جيونو، سيناريو: عزالدين ذوالفقار، ويوسف عيسى، حوار: يوسف عيسى، مدير التصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود ـ ١١٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو نحاس، وستوديو الأهرام، تصوير: كمال كريم، مساعد تصوير: عبدالله ياقوت، مهندس مناظر: ماهر عبدالنور، تنفيذ: عبدالحميد

السخاوى، إكسسوار: حسين شريف، صوت: كريكور، مونتاج: محمد عباس، مساعد مخرج: عبدالله بركات، سكربت: مجدى حافظ، ماكياج: سيد محمود، أول عرض: ١٩٥٤/١٢/٢٧، الأغنيات: تعاليلى يا بطة «فتحى قورة، ومنير مراد»، إنتاج: فاتن حمامة، مدير الإنتاج: رمسيس نجيب، تمثيل: فاتن حمامة، عماد حمدى، حسين رياض، عبدالوارث عسر، دولت أبيض، زوزو حمدى الحكيم، وداد حمدى، سميحة أيوب، عدلى كاسب، كمال يس، ثريا فخرى، آمال فريد، زينات علوى، والطفلة نادية ذوالفقار.

• **«إنى راحلة»** إخراج وسيناريو: عزالدين ذوالفقار، قصة وحوار: يوسف السباعى، مدير التصوير: وديد سرى «أبيض وأسود - ١٠٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو مصر، مهندس مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خورى، إكسسوار: حسين شريف، مونتاج: حلمى صادق، صوت: نصرى عبدالنور، مساعد مخرجك: عبدالله بركات، مصطفى جمال الدين، ماكياج: محمود سماحة، ريجسير: والى السيد، العرض الأول: ١٩٥٥/١/١٠، إنتاج: أفلام مديحة يسرى، توزيع: بهنا فيلم، تمثيل: مديحة يسرى، عماد حمدى، سراج منير، زينب صدقى، عبدالعزيز أحمد، محمود عزمى، صلاح نظمى.

• **«أغلى من عينيه»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة وسيناريو: عزالدين ذوالفقار، وعلى الزرقانى، تصوير: وديد سرى «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو مصر، مصور: كمال كريم، مونتاج: حلمى صادق، مناظر: ماهر عبدالنور، الأغانى تلحين: على فراج، غناء: كوكب صادق، موسيقى: محمد حسن الشجاعى، ماكياج: رشدى إبراهيم، صوت: نصرى عبدالنور، مساعد مخرج: عبدالله بركات، أول عرض: ١٩٥٥/٣/٢٨، إنتاج: ستوديو مصر، توزيع: شركة النيل للسينما، تمثيل: سميرة أحمد، عمر الحريرى، حسين رياض، فتوح نشاطى، سميحة أيوب، عزيزة حلمى، ثريا فخرى، فاخر فاخر، فؤاد المهندس.

• **«الغائبة»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة وسيناريو: يوسف جوهر، وعزالدين ذوالفقار، حوار: يوسف جوهر، مدير التصوير: وديد سرى «أبيض وأسود ـ ١٠٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو مصر، المصور: كمال كريم، مساعد مصور: على خيرالله، مناظر: أنطون بوليزويس، مساعد: عثمان حسين، إكسسوار: حسين الشريف، صوت نصرى عبدالنور، مونتاج: حسين أحمد، مساعد مونتاج: حسن الجناينى، مساعد مخرج: عبدالله بركات، ماكياج: محمود سماحة، موسيقى: محمد

فـوزى، إنتـاج: أفـلام مـحـمـد فـوزى، أول عـرض: ١٩٥٥/١٠/٧١٧، تمثيل: مريم فخر الدين، كمال الشناوى، محمود المليجى، علوية جميل، مختار عثمان، سميحة أيوب، أنور زكى، عزيزة حلمى، ثريا فخرى، على رشدى، علية فوزى، عبدالعظيم كامل، عبدالمنعم إسماعيل، إبراهيم حشمت، وكوثر شفيق.

• **«شاطئ الذكريات»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة: عزالدين ذوالفقار عن رواية «فانى» لمارسيل بانيول، سيناريو: السيد بدير، وعزالدين ذوالفقار، حوار: سيد بدير، تصوير: محمود نصر، المصور: كمال كريم «أبيض وأسود ـ ١٠٠ق»، مساعد مصور: عبدالله ياقوت، وحلمى فريد، إعداد الفيلم: ستوديو نحاس، وستوديو الأهرام، مناظر: ولى الدين سامح، تنفيذ المناظر: عبدالحميد السخاوى، إكسسوار: جابريل كراز، صوت: كريكور، مونتاج: محمد عباس، مساعد مخرج: عبدالله بركات، أول عرض: ١٩٥٥/١١/٢١، الأغانى: شبك، احب بكره، وياللا يا ريس «فتحى قورة، منير مراد»، إنتاج: أفلام شادية وعماد حمدى، مدير التصوير: رمسيس نجيب، توزيع: دولار فيلم، تمثيل: شادية، عماد حمدى، شكرى سرحان، عبدالوارث عسر، سيد بدير، أحمد الحداد، توفيق الدقن، زكى

إبراهيم، رجاء يوسف، والطفل رفعت عزمي.

- **«عيون سهرانة»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة وسيناريو: يوسف عيسى، وعزالدين ذوالفقار، حوار: يوسف عيسى، تصوير: وديد سرى «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق» تم إعداد الفيلم: ستوديو الأهرام، مونتاج: محمد عباس، علوى فايد، مناظر: ماهر عبدالنور، منسق: حسين الشريف، موسيقى: أندريا رايدر، صوت: شارل فوسكلو، الأغنيات: البوكس، عيون سهرانة، والمامبو «فتحي قورة، ومنير مراد»، مساعد المخرج: عبدالله بركات، تاريخ العرض: ١٠/١٠/١٩٥٦، إنتاج وتوزيع: جبرائيل تلحمي، تمثيل: شادية، صلاح ذوالفقار، عبدالوارث عسر، عقيلة راتب، فردوس محمد، فؤاد المهندس، عفاف شاكر، عبدالرحيم الزرقاني، محمد شوقي، عدلي كاسب، سامية رشدي، ومحيي الحماقي.
- **«هارب من الحب»** إخراج وقصة وسيناريو: عزالدين ذوالفقار، مدير التصوير: وديد سرى، مناظر: عباس حلمي أبيض وأسود ـ ١٠٥ق»، مونتاج: ألبير نجيب، موسيقى: أندريا رايدر، إعداد الفيلم: ستوديو الأهرام، مساعد مخرج: عبدالله بركات، مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خورى، إنتاج: أمير فيلم، توزيع: شركة الشرق للتوزيع، تاريخ العرض:

١٩٥٧/١/٧، تمثيل: مريم فخر الدين، محمود ذوالفقار، كمال حسين، زوزو حمدى الحكيم، السيد بدير، وأحمد الحداد.

- **«بورسعيد»** قصة وسيناريو وإخراج: عزالدين ذوالفقار، حوار: على الرزقانى، مدير التصوير: عبده نصر «أبيض وأسود ـ سكوب ـ ١٤٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو مصر، مونتاج: ألبير نجيب، وحسين أحمد، موسيقى: فؤاد الظاهرى، الأغنيات: الله أكبر، أمم جمال، كلمات: عبدالله شمس الدين، ألحان: محمود الشريف، مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خورى، صوت: نصرى عبدالنور، ماكياج: سيد محمد، وأشرف على الإنتاج: حلمى رفلة، مساعد المخرج: عبدالله بركات، أنور الشناوى، وأحمد عيسى، تاريخ العرض: ٨ يوليو ١٩٥٧، إنتاج: أفلام العهد الجديد، تمثيل: هدى سلطان، فريد شوقى، ليلى فوزى، شكرى سرحان، زهرة العلا، أمينة رزق، رشدى أباظة، حسين رياض، سراج منير، كمال يس، توفيق الدقن، نعيمة وصفى، كمال حسين، نور الدمرداش، عزالدين ذوالفقار، أحمد مظهر، عدلى كاسب، سليمان الجندى، رياض القصبجى، وشفيق نور الدين.
- **«طريق الأمل»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة وسيناريو: يوسف جوهر، وعزالدين ذوالفقار، الحوار: يوسف جوهر، مدير

التصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود - ١٤٠ق»، مهندس المناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خوري، مهندس الصوت: نصري عبدالنور، مونتاج: حسنوف، مخرج مساعد: عبدالله بركات، وأحمد السبعاوي، ماكياج: مصطفى إبراهيم، أخذت المناظر والطبع والتحميض: ستوديو مصر، العرض الأول: ١٩٥٧/١١/٢٨، سينما: ريتس، إنتاج: أفلام حلمي رفلة، توزيع: شركة الشرق للتوزيع، تمثيل: فاتن حمامة، شكري سرحان، زهرة العلا، رشدي أباظة، أحمد مظهر، ميمي شكيب، عزيزة حلمي، وداد حمدي، علوية جميل، عبدالغني النجدي، وزينات علوي.

- **«رد قلبي»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة وحوار: يوسف السباعي، سيناريو وحوار إضافي: عزالدين ذوالفقار، مدير التصوير: «وحيد فريد - ألوان سكوب - ١٥٠ق»، مهندس المناظر: أنطوان بوليزويس، منسق مناظر: نصري عبدالنور، مونتاج: كمال أبوالعلا، مخرج مساعد: عبدالله بركات، أحمد السبعاوي، وأنور الشناوي، ماكياج: مصطفى إبراهيم، موسيقى: فؤاد الظاهري، أخذت المناظر والطبع والتحميض في: ستوديو مصر، العرض الأول: ١٩٥٧/١٢/٩، سينما: أمير، إسكندرية: ١٩٥٧/١٢/١٠، كايرو القاهرة، الإضاءة:

حسين بكر، إنتاج: آسيا، تحميض: معامل - دنهام - إنجلترا، مدير الإنتاج: مصطفى عبداللطيف، توزيع: لوتس فيلم «آسيا»، تمثيل: مريم فخر الدين، شكرى سرحان، حسين رياض، زهرة العلا، رشدى أباظة، صلاح نوالفقار، فردوس محمد، أحمد علام، ضحى أمير، كمال يس، ثريا فخرى، أحمد مظهر، هند رستم، عدلى كاسب، فاخر فاخر، إسكندر منسى، على عيسى، ونبيل العشرى.

• **«شارع الحب»** إخراج وسيناريو: عزالدين ذوالفقار، قصة وحوار: يوسف السباعي، مدير التصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود - ١٥٠ق»، المصور: كمال كريم، مهندس المناظر: أنطوان بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خورى، وكوستا، مونتاج: ألبير نجيب، مخرج مساعد: إبراهيم حلمى، موسيقى: أندريا رايدر، أخذت المناظر والطبع والتحميض في: ستوديو مصر، العرض الأول: ١٣/١٠/١٩٥٨، سينما: ريتس القاهرة، وراديو الإسكندرية، الأغاني: «قولو له»: تأليف مأمون الشناوى، تلحين: منير مراد، «الليالى»: تألف مرسى جميل عزيز، تلحين: محمد الموجى، «نعم يا حبيبى» تأليف: مأمون الشناوى، تلحين: كمال الطويل، غناء: عبدالحليم حافظ، «علمنى الحب» تأليف: مأمون الشناوى، تلحين: منير مراد، و«لأه لأه» تأليف: مأمون

الشناوى، تلحين: محمد الموجى، غناء: صباح، مسجل الأغانى: نصرى عبدالنور، إنتاج: أفلام حلمى رفلة، مدير الإنتاج: أديب جابر، توزيع: شركة الشرق للتوزيع، تمثيل: عبدالحليم حافظ، صباح، حسين رياض، منيرة سمبل، عبدالسلام النابلسى، عبدالمنعم إبراهيم، حسن فايق، زينات صدقى، نور الدمرداش، ليلى حمدى، تجوى فؤاد، رياض القصبجى، الخواجة بيجو، محمد يوسف، المعلم شكل، الطفل أحمد فرحات، وأحمد الحداد.

• **«امرأة فى الطريق»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة وسيناريو: اقتباس عبدالحى أديب عن فيلم «صراع فى الشمس»، سيناريو: عبدالحى أديب، حوار: محمد أبويوسف، مدير التصوير: وديد سرى «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، مهندس المناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خورى، مهندس الصوت: نصرى عبدالنور، مونتاج: ألبير نجيب، موسيقى: أندريا رايدر، أخذت المناظر فى: ستوديو مصر، وستوديو ناصيبيان، الطبع والتحميض: ستوديو مصر، العرض الأول: ١٩٥٨/١٢/٢٢، سينما: ميامى ـ القاهرة، سينما: ريتس الإسكندرية، الأغانى: «يا صابر يالى صبرك طال» تأليف: فتحى قورة، تلحين: منير مراد، غناء: هدى سلطان،

«موال» تأليف: فتحى قورة، تلحين: محمد الموجى، غناء: هدى سلطان، إنتاج: أفلام حلمى رفلة، مدير الإنتاج: منير حلمى رفلة، توزيع: دولار فيلم، تمثيل: هدى سلطان، رشدى أباظة، شكرى سرحان، زكى رستم، آمال فريد، عبدالغنى قمر، محمد توفيق، شفيق نورالدين، سلوى محمود، حسن حامد، محمود فرج.

• **«بين الأطلال»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة: يوسف السباعى، السيناريو والحوار الإضافى: عزالدين ذوالفقار، ومحمد عثمان، مدير التصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود - ١٣٥ق»، إعداد الفيلم: ستوديو ناصيبيان، مصور: كمال كريم، مونتاج: ألبير نجيب، مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خورى، ماكياج: رشدى إبراهيم، موسيقى أندريا رايدر، مخرج مساعد: عبدالله بركات، فوتوغرافيا: فتحى عزت، أول عرض: ١٩٥٩/٢/٩، سينما: ديانا، إنتاج: عزالدين ذوالفقار، توزيع: شركة الشرق للتوزيع، تمثيل: فاتن حمامة، عماد حمدى، حسين رياض، صلاح ذوالفقار، صفية ثروت، سميحة أيوب، صلاح نظمى، عبدالرحيم الزرقانى، روحية خالد، فؤاد المهندس، خيرية أحمد، يوسف فخر الدين، محمد بدرالدين، كوثر رمزى، نوال عطية.

• **«الرجل الثانى»** إخراج: عزالدين ذوالفقار، القصة: يوسف جوهر، وعزالدين ذوالفقار، سيناريو وحوار: يوسف جوهر، مدير التصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود ـ ١٧٠ق»، مهندس المناظر: أنطون بوليـزوييس، منسق مناظر: نجـيب خـورى، وشادى عبدالسلام، مهندس صوت: نصرى عبدالنور، مونتاج: ألبير نجيب، مساعد مخرج: محمد عبدالجواد، ومصطفى جمال الدين، مـوسـيـقى: أندريا رايدر، أخـذت المناظر والطبع والتحميض: ستوديو مصر، العرض الأول: ١٩٥٩/١٢/٢٤، سينما: ديانا، إنتاج: عزالدين ذوالفقار، تمثيل: صباح، صلاح ذوالفقار، رشدى أباظة، سامية جمال، صلاح نظمى، محمود فرج، حسن حامد، قدرية قدرى، عبدالغنى النجدى، عبدالخالق صالح، شريف حمدى، رزة، بدر نوفل، محمد صبيح، وحسين إسماعيل.

• **«البنات والصيف»** القصة الأولى، إخراج: عزالدين ذوالفقار، قصة: إحسـان عبدالقدوس، سيناريو: عزالدين ذوالفقار، تصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود ـ ٥٠ق»، مونتاج: حسين أحمد، صوت: نصرى عبدالنور، مساعد مخرج: عبدالله بركات، مناظر: أنطون بوليزوييس، موسيقى: أندريا رايدر، أول عرض: ١٩٦٠/٣/٢٨، إنتاج: أفلام العالم العربى، تمثيل: مريم فخر

الدين، كمال الشناوى، عادل خيرى، صوفى ثروت.

- **«نهر الحب»** إخراج: عزالدين ذوالفقار» عن رواية «آنا كارنينا» لتولستوى، سيناريو وحوار: يوسف عيسى، وعزالدين ذوالفقار، مدير التصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، تم إعداد الفيلم: ستويو مصر، مونتاج: حسين أحمد، موسيقى تصويرية: أندريا رايدر، مناظر: أنطون بوليزويس، منسق مناظر: نجيب خورى، صوت: نصرى عبدالنور، مساعد مخرج: أحمد عيسى، ماكياج: رشدى إبراهيم، ريجسير: على وجدى، إنتاج: حلمى رفلة، توزيع: دولار فيلم، أول عرض: ١٢/١١/١٩٦٠، تمثيل: فاتن حمامة، عمر الشريف، زكى رستم، عمر الحريرى، زهرة العلا، فؤاد المهندس، أمينة رزق، سامية فهمى، ثريا فخرى، سهير البابلى، سلوى محمود، جميل عزالدين، فكتوريا حبيب، والأطفال: وجدى العربى، أحمد فرحات، وبطة.
- **«الشموع السوداء»** إخراج وسيناريو وحوار: عزالدين ذوالفقار عن الرواية التركية «تحت ظلال الليل»، تأليف: بدورة سالم، سيناريو وحوار: ضياء الدين بيبرس، تصوير: وحيد فريد «أبيض وأسود ـ ١٤٠ق»، إعداد الفيلم: ستوديو مصر، مونتاج: حسين أحمد، موسيقى: على إسماعيل، مناظر: أنطون

بوليـزويس، منسق مـاظر: نجـيب خـورى، صـوت: نصـرى عبدالنور، إدارة الإنتاج: محمد حجاج، الأغنيات: «كل شىء راح» المبـروك، وبليغ، «إشـمـعنى ده»، و«لا تكذبى» كـامل الشناوى، وعبدالوهاب، العرض الأول: ١٩٦٢/٥/١٣، سينما: ديانا، مساعد المخرج: سامح فوزى، تمثيل: نجاة، صالح سليم، أمينة رزق، فؤاد المهندس، صلاح سرحان، ملك الجمل، بدر نوفل، نوال أبوالفتوح، وثريا فخرى.

- **«موعد فى البرج»** إخراج وسيناريو: عزالدين ذوالفقار عن فيلم «عمل للذكرى»، حوار: عزالدين ذوالفقار، ومحمد أبويوسف، مدير التصوير: مسعود عيسى «أبيض وأسود ـ ١٢٠ق»، تم إعداد الفيلم: ستوديو مصر، مونتاج: حسين أحمد، مناظر: شادى عبدالسلام، صوت: نصرى عبدالنور، مساعد إخراج: محمد عبدالجواد، إنتاج: صلاح ذوالفقار، أول عرض: ١٩٦٢/١٢/١٣، سينما: ميامى، تمثيل: سعاد حسنى، صلاح ذوالفقار، فؤاد المهندس، ثريا حلمى، زين العشماوى، زينب صدقى، محمود فرج، سامية رشدى، وزكى إبراهيم حسان.

* * *

«نقلا عن الكتاب التذكارى عن «عزالدين ذوالفقار» للناقد «محمود قاسم» والذى أصدره مهرجان الإسكندرية السينمائى بمناسبة تكريمه عام ٢٠٠٢».

كلمات من نهر الحب

هذه ليست مجرد مقتطفات من كلام عزالدين ذوالفقار، أو مقاطع من حواراته وأحاديثه الصحفية.. فالمتأمل فيها على مجملها يحس أنها ترسم صورة صادقة لشخصيته، وتعبر عن روحه ومزاجه، وتقدم فى الوقت نفسه آراء ثاقبة له فى الفن والحياة، تدل على عمق ثقافته، وطول تجربته، واستشرافه للمستقبل كأنما كان ينظر من وراء الغيم.. والغيب.

§ رأيت الموت بعينى أكثر من مرة، وشعرت بالموت يقترب منى كثيراً.. كانت تحدث لى غيبوبة تستمر أكثر من سبع ساعات، أكون فيها مفقوداً لا صلة لى بالحياة.. أبقى نايم على ظهرى وشايف الدنيا سودة من حولى، وأمسك فى من بجانبى وأصرخ وأتشبث بالحياة.. هذا الإحساس خلانى أفكر كويس بعد أن شفيت، وجعلنى أخاف الموت فعلاً، وجعلنى أحب الحياة.

§ أبحث عن الحب الخالد ولا أجده فى الحياة، ولا أتصور أن أجده فيها.. وكيف أجده والمادة تزحف على الروح، والمنفعة تطغى على التضحية، والأثرة تهزم الإيثار فى كل موقعه يلتقيان فيها.. فإذا ما أدركنى اليأس من العثور على الحب

المأمول، صنعته مشاهد تحرك القلوب فى أفلامى.. عشت فيه مع الصناعة التى نسكب فيها أحاسيسنا وخفق قلوبنا.. ألا تذكر العبارة التى صدرت بها فيلم «بين الأطلال»: أيتها الشمس لا تغربى قبل أن تشهدى على أن حبى لها خالد كخلودك أبد الدهر.. بل إنك تغربين ولكنه لا يغرب أبداً.. وهكذا تستطيع أن تقول إن كل تجاربى كانت بحثاً عن الحب.

§ أتصور بكرة.. عندما يزحف الخريف إلىّ.. أجلس على الشرفة أداعب أطفال ابنتى نادية.. إنها فرحة العمر التى أتمناها.

§ زهرة العلا ممثلة مش بطالة.. لكن عيبها أنها ضعيفة الشخصية.. وتتأثر بحياتها الخاصة ومشاكلها بشكل يسيطر على أعصابها.. والممثل بدون أعصاب لا يساوى شيئاً.. وزهرة دائماً ممثلة ثانوية لهذا السبب.

§ «زكى رستم» ممثل ممتاز.. إذا مثل الباشا فهو باشا وإذا عمل معلم فهو سيد المعلمين.

§ «فريد شوقى» ممثل هايل.. بس لو عاش فى الدور قبل نفسه.. ففريد دائماً يريد فرض فريد شوقى على الدور.

§ «صالح سليم» كلاعب كرة يشبه النجم «شكرى سرحان» تماماً.. فكلاهما يفقد السيطرة على أعصابه لاتفه الأسباب.. أما رفعت الفناجيلى فيشبه «عمر الشريف» فى قوة الأعصاب.

§ التلفزيون لن يضر السينما، بل سيخدمها، لأنه سيجبر المشتغلين بها على تقديم أفلام كبيرة، وسينما سكوب، وهى أشياء لا يستطيع التلفزيون تحقيقها.. كما أنه سيقضى على الأفلام التافهة لأن جمهور السينما ينقسم إلى قسمين .. الأول نازل من بيته يقصد فيلماً معيناً.. والآخر نازل لمجرد التسلية.. والصنف الثانى سيأخذه التلفزيون.

§ أجمل قُبلة أخرجتها فى «دنيا الحب» كانت قُبلة «مديحة يسرى» و«عماد حمدى» فى فيلم «إنى راحلة».. وفى «دنيا الجنس» فى فيلم «وفاء» وكانت على السرير بين «مديحة يسرى» و«عماد حمدى» أيضاً.

§ القبلة على الشفاه هى عصير من الأرواح، والتى فى العين: خشوع وعهد، وعلى اليد: تقديس، والتى على الخد: استسلام وعبودية، والتى على الشعر: دهاء ومكر.. فيها طهارة وفيها شهوة.

§ أحسن ممثلة تجيد القبلة الطاهرة فى السينما المصرية هى «مريم فخر الدين» والقبلة الجنسية «هند رستم».

§ طول القُبلة لا يدل على عمق الحب، فقد تكون لمسة على الشفاه أعمق فى التعبير من قبلة تدمى فيها الشفاة.

§ الفنانات اللاتى يهربن من القبلة ويعتذرن عن مشاهدها هؤلاء

غير ممثلات، وعليهن أن يعتزلن التمثيل.

§ قبل مرضى كنت أدخن فى اليوم أكثر من ٨٠ سيجارة، يبقى كتر خير الدنيا أنى لا أدخن سوى عشر سجائر فقط الآن، رغم أن أعصابى أصبحت أكثر حساسية عن ذى قبل، صعب إنى أبطل السجاير، وفى ظروفى دى، لأن أى واحد مكانى كان «طق»!

§ الملاحظ أن جمهورنا الذى يذهب إلى السينما يذهل عندمايرى الممثل سيتوارت جرينجر يصافح نفسه فى فيلم «سجين زندا» مثلاً ويقول: شوف الإخراج! وهو لا يعلم أن المخرج لم يبذل أى مجهود فى هذه اللقطة، لأنها لقطة آلية قامت بها الأجهزة المخصصة لهذا الغرض.. إن آلاتنا السينمائية عتيقة ومستهلكة ولا يوجد ستوديو واحد كامل المعدات.. ولو استمررنا على هذه الحال سنصل لوقت تقف فيه السينما فى مصر أو تعود إلى عصر السينما الصامتة!

§ كنت أقرأ كتب الإخراج السينمائى وأنا غير مؤمن بها.. علشان لما أناقش واحد مثل «صلاح أبوسيف» أو «أحمد كامل مرسى» يعرفوا أنى قارئ زيهم.

§ مادام عقلى سليماً فسوف أعمل.. ومادام قلبى سليماً فسوف أحب.

§ منذ بدأت حياتى الفنية كمخرج وأنا فى صراع دائم مع الزمن.. مرة فى سبيل الخبز، فلما حصلت على الخبز بدأت أبحث عن الحب.. فلما عثرت على الحب وبدأت استقر فى حياتى كان هذا المرض اللعين قد استقر فى جسدى.

§ أنا مستعد أتنازل عن كل الفلوس وكل المجد وكل الشهرة وأبدأ كفاحى من جديد بشرط بسيط: أن يستبدل الله بالروماتيزم أى مرض آخر!

ملحق

عز الدين ذو الفقار

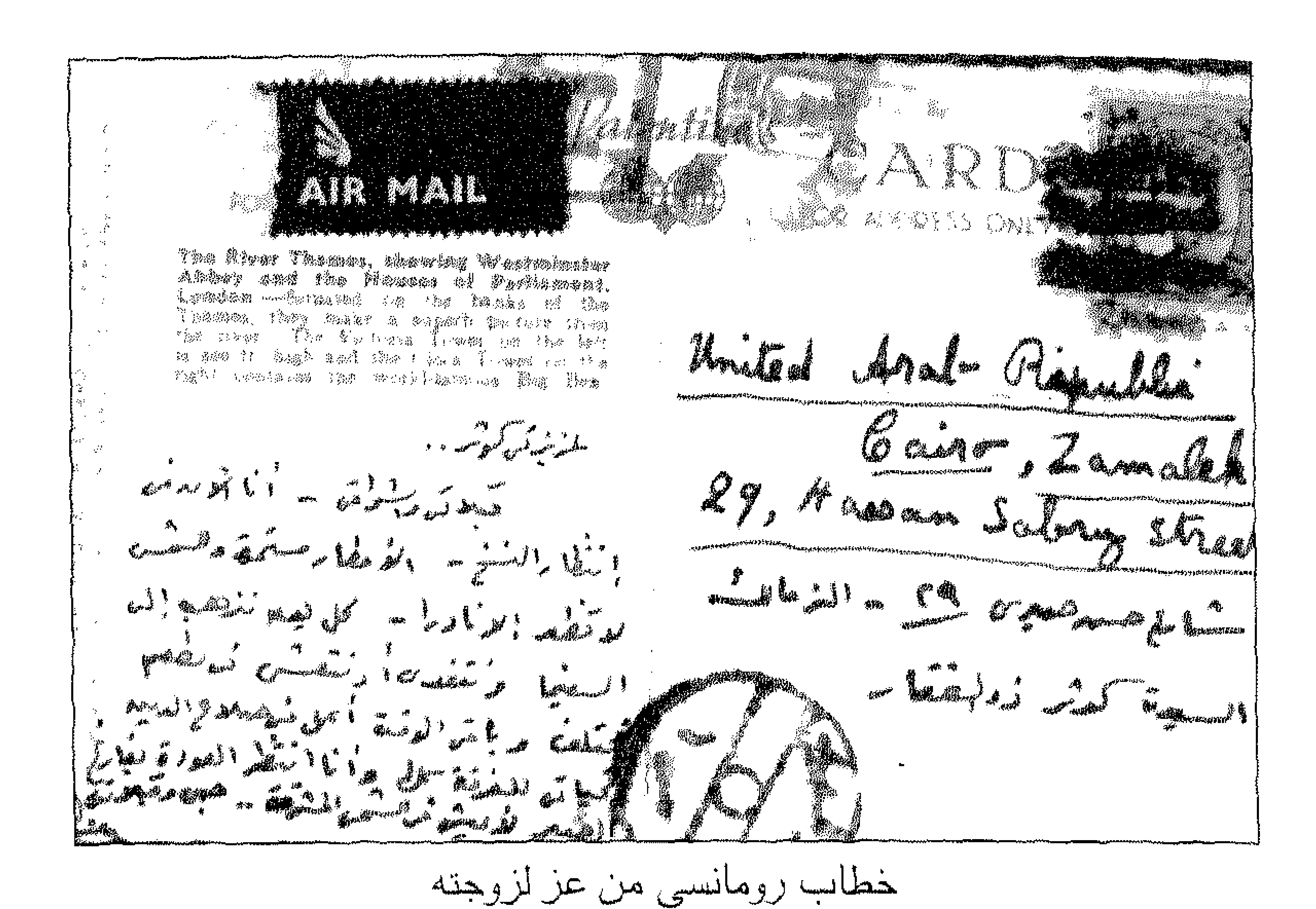
صور من حياته



عز بين أشقائه من آل ذو الفقار



كوثر شفيق فى حوار مع عبد الحليم ونادية لطفى تتابع



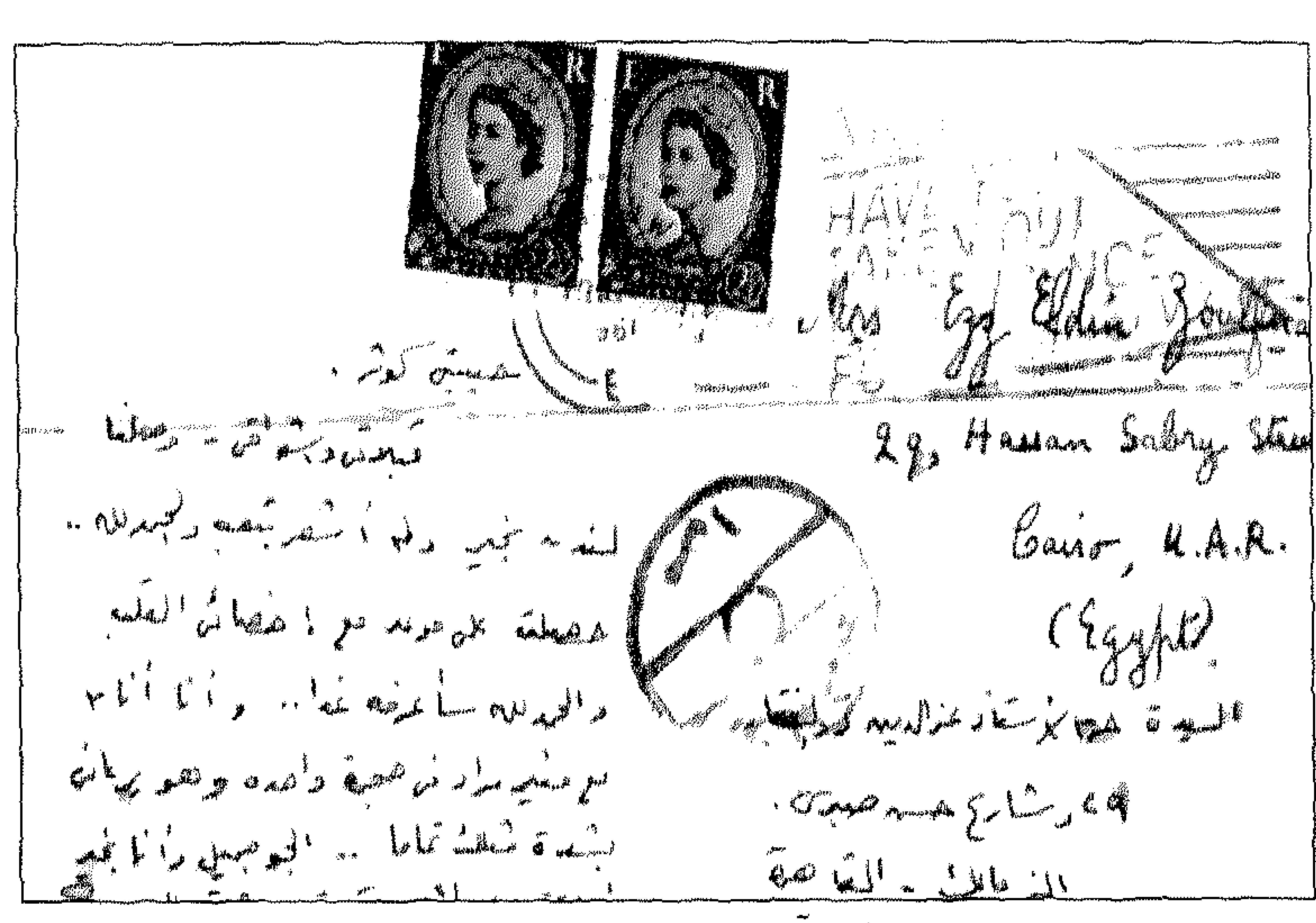
AIR MAIL

عزيزتي كوثر ..

United Arab Republic
Cairo, Zamalek
29, Hassan Sabry Street

شارع حسن صبري ٢٩ - الزمالك

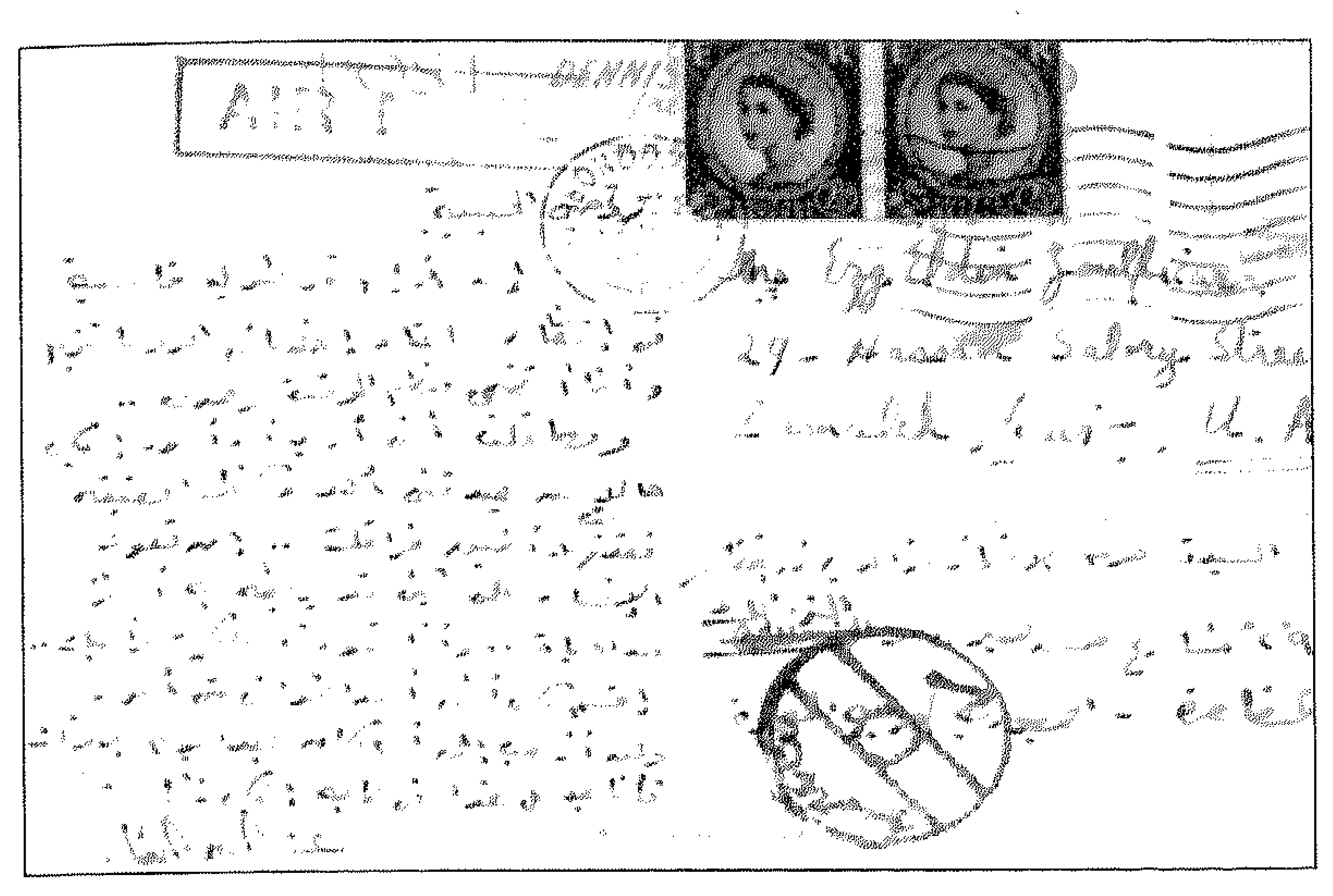
خطاب رومانسي من عز لزوجته



حبيبتي كوثر

29, Hassan Sabry Street
Cairo, U.A.R.
(Egypt)

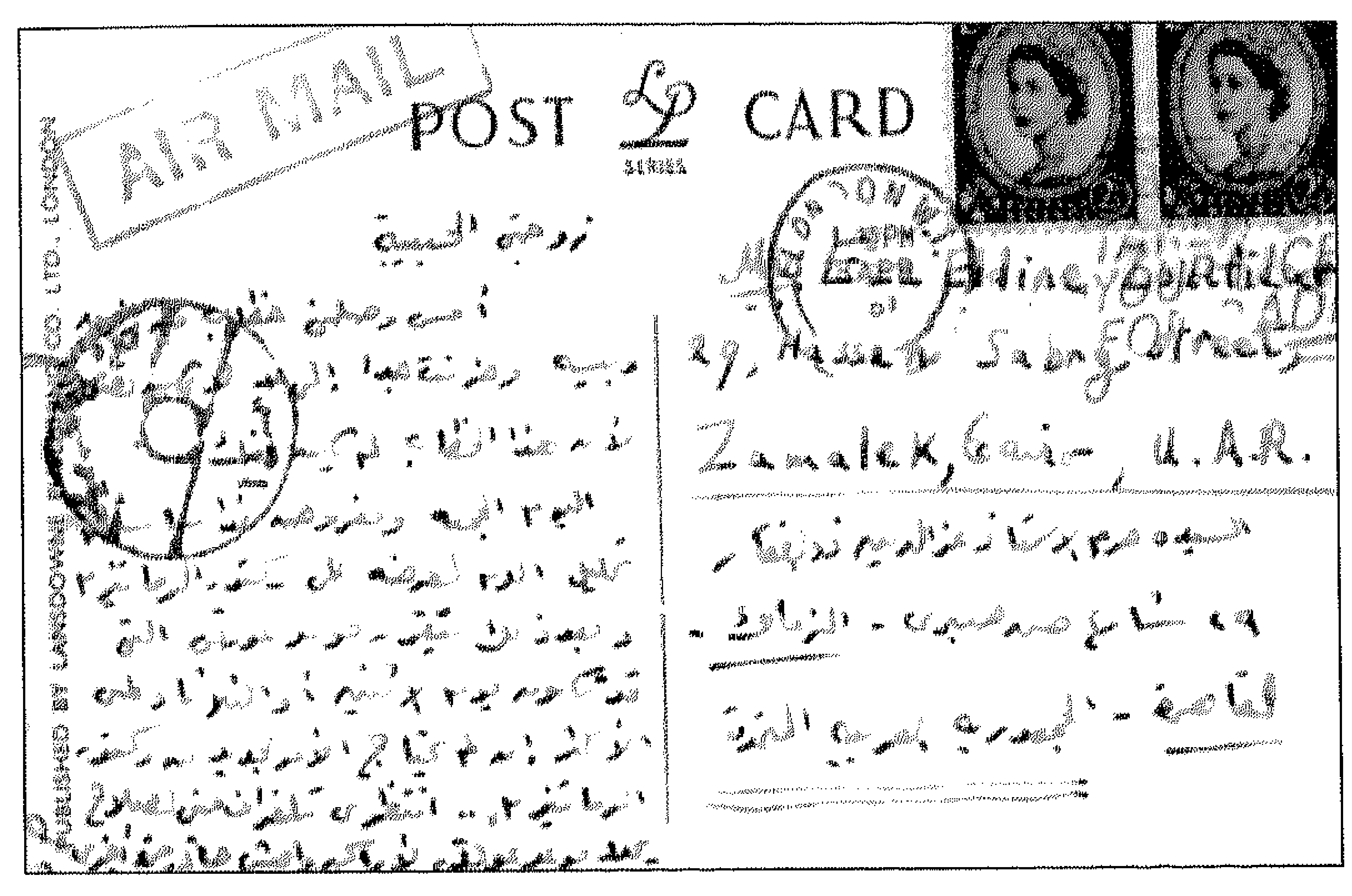
وخطاب آخر كتبه فى غربة المرض



29 - Hassan Sabry Street

Zamalek, Cairo - U.A.

اعتراف منه بحبه الدائم لزوجته



AIR MAIL

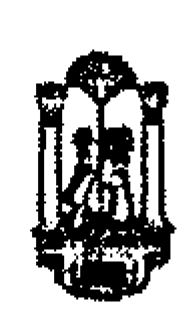
POST CARD

زوجتي الحبيبة

29, Hassan Sabry Street

Zamalek, Cairo, U.A.R.

من سرير المرض كتب هذه الكلمات



شاطئ النخيل
فندق وكازينو

HOTEL **SAN STEFANO** CASINO

سان استفانو في .... San Stefano, le ....

عزيزي بابا ....

ازيك وازي صحتك [illegible] بإذن الله تكون بخير.

انت وحشتني خالص خالص خالص.

وعلى فكرة انا [illegible] ماوزنتش نفسي انا باكل كتير علشان ازيد ٣ كيلو

انا نفسي اعرف [illegible]. انا زعلانة منك علشان مبتبعتليش جوابات

وبتكلمني في التليفون [illegible]

[illegible]

وانا بعيط علشان انت وحشتني خالص انا نفسي اشوفك.

[illegible] على صحتك كتير على نفسك، انا عارفة [illegible]

[illegible]

[illegible] الشمال.

[illegible]

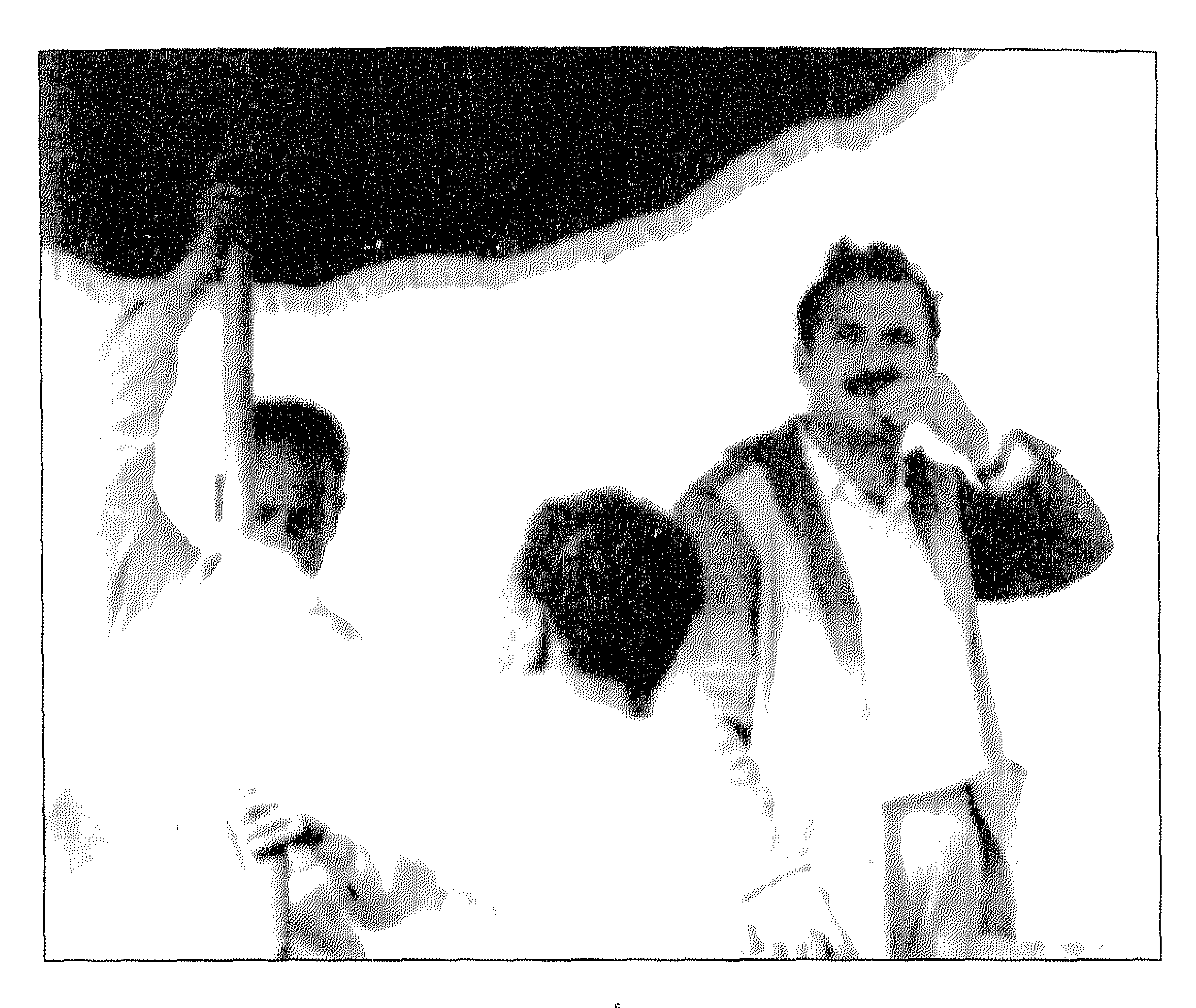
من ابنتك نادية ذو الفقار

MÊME DIRECTION HOTEL CONTINENTAL - SAVOY LE CAIRE

نادية ذو الفقار ابنته فى رسالة طفولية لوالدها



عز .. يبدو عليه الحزن



فى الإسكندرية يأخذ إلهامه من البحر



بالأحضان .. عز وحليم



ماذا كان يقول لنادية لطفى ؟!



صباح بين عز وصلاح



لم ينس إنه أب



مع صباح .. بطلة شارع الحب



مع فاتن .. زواج انتهى .. وحب بقى للأبد



مع السادات .. وفى الصورة مديحة يسرى ومحمد فوزى والسباعى



مع سميرة أحمد



عاشق الكاميرا .. فى أسعد لحظات حياته



مع كوثر .. فى شهر العسل



عبد المطلب ينصت إلى حديث عز ونادية لطفى



مع جليل البنداري .. أصدق من كتب عنه



فی عز شبابه



مع عبد الوهاب فى الأستديو



آخر صورة له على سرير المرض

المحتويات

رقم الإيداع ١٠٥٩٠ / ٢٠٠٣
I. S. B. N.
977 - 305 - 488 - 8
مطابع المجلس الأعلى للآثار

إن حكمتى فى الحياة هى :
" إن الحياة تأخذ منك فخذ منها أنت قبل أن تأخذ هى منك "
إن الطريق المظلم يثيرنى، يأكل شوقي، يأخذ قلبى
يثير فى روح المغامرة ، أما الطريق العادى فما قيمته ؟:
طريق مكشوف لا جديد فيه .. وخالى من الإثارة .

عزالدين ذوالفقار



